

# الكتب وجاهات نظر

Weghat Nazar - Volume 10 - Issue 111 - April 2008

مجلة شهرية، العدد المائة وأحد عشر، السنة العاشرة، أبريل ٢٠٠٨، الثمن عشرة جنيهات



رجاء وأوذيس

جدال

العروبة والشعبوية !

حلمى القاعود

بهاء ظاهر

واحة الغروب ووطأة التاريخ

منى أنيس

احتضار الفكر العربى !

جهاد شافل

هؤلاء الأقباط

«المصريون»

س. ه. ليدر

جوشوا فوير

أرشيف الدماغ .. فى غياهب الذاكرة !

**ow** life style  
rugs & carpets

elegantsimplicity



A Division of Oriental Weavers

عضو مجموعة النساجون الشرقيون

City stars phase 2, shop number 15& 20

Email: [owlifestylecs@orientalweavers.com](mailto:owlifestylecs@orientalweavers.com) Tel: 202 24 802475 Fax: 202 24 802476



الكتب  
وجهات نظر

في الثقافة والسياسة والفكر



تصدر عن:

الشركة المصرية

للطباعة والنشر

العربي والدولي

رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم المعلم

رئيس مجلس التحرير

سلامة أحمد سلامة

رئيس التحرير

أيمن الصياد

رئيس التحرير الفني

حلمي التوتوني



## كتب العدد :

- أبو زيد راجح.. رئيس الهيئة العامة لبحوث الإسكان والبناء والتخطيط العمراني سابقاً.
- أبو يعرب المرزوقي.. كلية العلوم الإنسانية جامعة تونس الأولى.
- ثروت عكاشة.. وزير الثقافة الأسبق.
- جهاد فاضل.. كاتب ونقاد لبناني.
- جوشوا فوير.. صحفي متخصص في المجالات العلمية.
- حسين عبد الله.. حبير اقتصاديات الشغل والثقافة.
- حلمي محمد القاعود.. أستاذ الأدب والنقد بجامعة سطفا.
- السيد أمين شلبي.. سفير مصري سابق.. الرئيس التقني للجمعية المصرية للشئون الخارجية.
- س. هـ. لير.. كاتب بريطاني عاش في مصر بداية القرن العشرين.
- فكري اندرايس.. كاتب مصري مقيم بالولايات المتحدة.
- محمد يوسف عدس.. باحث في التاريخ والشئون السياسية مقب في إنجلترا.
- على أنيس.. صحفية مصرية.
- وليد محمود عبدالناصر.. كاتب مصري.

رسوم العدد للفنانين

محمد حجي - محمود عبده

Alen Lauzan Falcon - Angel Boligan



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على معامات ورقية  
أو عبر الحاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء  
منها، بغیر إذن كتابي مسبق من الناشر.



## المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي

٣ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية

ت : ٢٤٩٠ - ٢٣٩٣ / ٤٩٢ - ٢٣٩٢ / ٤٩٢ - ٢٣٩٢ - ٤٩٨ فاكس (٢٠٢)

البريد الإلكتروني (التحرير) : e-mail: info@alkotob.com

## الاشتراكات :

السنة الواحدة (أثنا عشر عدداً) شاملة أجرة البريد : داخل مصر : ١٠٠ جنيه مصري - اتحاد  
بريد عربي : ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا : ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا وكندا : ٨٠  
دولاراً أمريكياً - بقى دول العالم : ١٠٠ دولار أمريكي.  
إدارة الاشتراكات : شارع سيوهي المصري، ص. ب. ٢٢ البانوارما - مدينة نصر  
هاتف : ٢٠١٣٣٦٩ - ٢٠١٣٣٦٩ فاكس ٤٨٤١٤ - ٢٠١٣٣٦٩ subscription@weghatnazar.com

## من النسخة :

في مصر : ١٠ جنيهات مصرية. السعودية ١٥ ريالاً. الكويت ١٠٥ ديناراً - الإمارات ١٥  
دورهما - مملكة البحرين ١٠٥ ديناراً - قطر ١٥ ريالاً - سلطنة عُمان ١٠٥ ريالاً - لبنان ٥٠٠٠  
ليرة - سوريا ١٥٠ ليرة - الأردن ديناران ونصف - ليبيا ديناران - الجزائر ٣٠٠ دينار - المغرب  
٣٠٠ درهما - تونس ٤ دينارين - اليمن ٢٠٠ ريال - فلسطين ٣ دولارات.  
Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £3 - USA \$ 5.

طبع بمطابع الشرق بالقاهرة

## محتويات العدد :

- ١ • وليد محمود عبدالناصر
- ٢ • «الإسلام» الياباني
- ٣ • الأديان في اليابان بين الماضي والمستقبل، تأليف: أمين ماکوتو ميزوتاني
- ٤ • فكري اندراوس
- ٥ • «هيئة عولية واشتياك حضارات» ومازالت اليابان.. يابانية
- ٦ • جهاد فاضل
- ٧ • «احتضار الفكر العربي»
- ٨ • حلمي محمد القاعود
- ٩ • «رجاء وأدوليس» جدلية العروبة والتعويبة
- ١٠ • أبو يعرب المرزوقي
- ١١ • «عطالة، النخبة»
- ١٢ • حسين عبدالله
- ١٣ • هل ارتفع سعر النفط (\$ 138) ..
- ١٤ • منسى أنيس
- ١٥ • «وفاة التاريخ غير المحتملة.. واحة بهاء طاهر»
- ١٦ • ثروت عكاشة
- ١٧ • «فلسفة التصوير الصيني»
- ١٨ • من كتاب: فنون الشرق الأقصى.. الفن الصيني، تأليف: ثروت عكاشة
- ١٩ • جوشوا فوير
- ٢٠ • «في أرشيف الدماغ تمهل حيواناً أو تخفني.. غياهب الناكرة»
- ٢١ • س. هـ. لير
- ٢٢ • «هؤلاء الأقباط «المصريون»
- ٢٣ • أبناء النزاعنة المحدثون.. تأليف: س. هـ. لير
- ٢٤ • محمد يوسف عدس
- ٢٥ • «عودة إلى كوسوفو»
- ٢٦ • السيد أمين شلبي
- ٢٧ • تقنيات «الروس وحرب أكتوبر»
- ٢٨ • أبو زيد راجح
- ٢٩ • «التمتية المبتورة»
- ٣٠ • إصدارات جديدة





تأتي أهمية أي كتاب عادة إما من موضوعه أو من مؤلفه. والكتاب الذي نعرض له اليوم يجمع الـ ثلاثين معاً، ولكننا سنبدأ هنا بتناول أهمية الموضوع، فللإسلام في اليابان قصص عديدة، بعضها يتصل بالمقيمين المسلمين في اليابان من غير اليابانيين ودخول الإسلام على أيديهم، وبعضها الآخر يرتبط بنحو بعض اليابانيين إلى اعتناق الإسلام سواء تم ذلك خلال وجودهم في بلادهم أو عبر سفرهم إلى بلدان إسلامية وانغماسهم في الإسلام بها. وقد بدأ البناء في مسجد بمدينة كوبي، في عام ١٩٦٨ من تبرعات المسلمين، وشارك في دفع التبرعات قفص من مصر في كوبي، في ذلك الوقت القفص له الدكتور محمود فوزي والذي شغل بعد ذلك عدداً من المناصب البارزة كان آخرها منصب نائب رئيس الجمهورية عمرو مصطفى وزير الخارجية ثم رئيس مجلس الوزراء، ثم تأسست انتهى بناء المسجد عام ١٩٦٩. ثم تأسست جمعية مسلمي اليابان، أحد أكبر التنظيمات الممثلة لليابانيين المسلمين، على يد الرعيل الأول من المسلمين اليابانيين وتولى رئاستها مؤسسها صادق إسماعيل في الفترة من ١٩٦٤ - ١٩٦٠ ثم تولى رئاستها عمر ميتا (مترجم معاني

## وليد محمود عبد الناصر



### «جمعية مسلمي اليابان، تقول إن هناك

### مائة ألف مسلم في اليابان، عشرة آلاف منهم

### من المسلمين اليابانيين والتسعون ألفا الآخرين من

### الأجانب الوافدين إلى اليابان من دول إسلامية

### مثل باكستان واندونيسيا وغيرها



الشرق بالشرق الأوسط. استمرت جمعية مسلمي اليابان بعد ذلك في مراجعة وتصحيح ترجمة معاني القرآن الكريم معتمدة على ترجمة الأهر الشريف، إضافة إلى تقوية العلاقات بينها وبين رابطة العالم الإسلامي بالسعودية. خاصة بعد أن ضعف تمثيلها للإسلام في اليابان بعد إنشاء المركز الإسلامي عام ١٩٦٦ وضم العديد من المسلمين المقيمين من غير اليابانيين. كما أنشأ في عام ١٩٦٤ أحد المسلمين اليابانيين وهو السيد هاشي توكيو، مجموعة للإسلام اليابانية، وأرسل أربعة مسلمين يابانيين للدراسة في ليبيا، وانضمت جمعية مسلمي اليابان رسمياً إلى رابطة العالم الإسلامي عام ١٩٧٥ وقامت بإيفاد عدد من الدارسين إلى جامعتي أم القرى والأزهر الشريف في نفس العام، وإنشأت عام ١٩٦٦، وبالتعاون مع المركز الإسلامي، تجمعاً للجمعيات الإسلامية في اليابان للتنسيق فيما بينها، وخلال الفترة ما بين عام ١٩٧٧ و٢٠٠٢ قامت جمعية مسلمي اليابان بمواصلة إدارة العمل الثقافي الإسلامي وتوسيعها كما بدأت وتوسعت في علاقات مع العراق. كذلك زار رئيس وممثلو رابطة العالم الإسلامي اليابان، وكذلك زارها في تلك الفترة الدكتور

دات العام افتتحت جامعة، «تاكشوكو، اليابانية قسماً للدراسة ودراسات الشرق الأوسط، وفي عام ١٩٦٠ بدأ عدد المتقنين لجمعية مسلمي اليابان ١١٢ فرداً، وفي العام ذاته بدأ نشاط الحملات اليابانية خلال تنظيم محاضرات مقصورة عليهن، وتزامن ذلك مع بدء نشاط جمعية مسلمي اليابان بهدف توفير مفيدة إسلامية يقدن فيها

يوسف القرضاوي عميد كلية الشريعة بجامعة قطر ولقد ضللت منهج لطلاب يابانيين للدراسة في الإسلام. وفي عام ١٩٨٢ أقيم مؤتمر للحوار بين المسلمين والطوائف المسيحية اليابانية (كاتوليكية وبروتستانت) بحضور ٧٨ مسيحياً و٦٩ مسلماً في مدينة اليابان. كذلك تم إنشاء مصلى داخل المقر الجديد لجمعية مسلمي اليابان بطوكيو، ونشأت طباعة وتوزيع ٥٠٠ مصحف مترجم إلى اللغة اليابانية، وشهد عام ١٩٨٣ وفاة السيد/ عمر ميتا من جهة وإنشاء المعهد العربي الإسلامي التابع لجامعة محمد بن سعود السعودية في طوكيو من جهة أخرى. كما أقيمت أول صلاة موسعة للعيد في قاعة أحد الفنادق بطوكيو بحضور ٥٠٠ فرد عام ١٩٨٨، ونشر في العام ذاته كتاب السيد/ أبو مويرينو لغتون مدخل إلى الإسلام، وسافر السيد/ حسن كاكازا إلى أنشط المسلمين اليابانيين في مجال التعريف بالإسلام عام ١٩٨٢، إلى مصر للدراسة وارتفع عدد المتابعين في صلاة عيد الفطر عام ١٩٨٧ إلى ثلاثة آلاف فرد، وتمت مراجعة أخطاء القرآن المسلمين اليابانيين لتتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية في هذا الشأن عام ١٩٨٨، وفي عام ١٩٩٠ توجه ممثلان عن مسلمي اليابان إلى مكة المكرمة واستقروا بالزير سوروكو لحقبة الرئيس السابق حينذاك توجرت أوزال بهدف تجديد بناء مسجد طوكيو بالإضافة إلى إعادة مجلة «الإسلام»، ونشروها لأول مرة.

بدات جمعية مسلمي

اليابانية. وفي عام ١٩٦٨ تم تجديد مسجد طوكيو بمساعدة من الحكومة الكويتية، وفي العام نفسه اعترفت السلطات المسنولة بالحكومة اليابانية عن التسون المدينة وتسجيل الجماعات والطوائف الدينية اليابانية لأول مرة بجمعية مسلمي اليابان وبالإسلام كأحد الأديان المتواجدة في اليابان. وفي عام ١٩٦٩ أنهى السيد/ عمر ميتا ترجمته لمعاني القرآن الكريم باللغة اليابانية وبدأ في تدريس اللغة العربية في الجمعية بغرض إعداد كوادر لترجمة الكتب الشرعية، تم توجع عدد من أعضاء الجمعية لدراسة الإسلام في جامعات المدينة المنورة بالمملكة السعودية والأزهر الشريف بمصر ولأهرو بباكستان وبرلين وألمانيا. واستمر عمر ميتا إلى مكة في العام ١٩٧٠، ليحصل على إجازة العالم الإسلامي لطبع ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة اليابانية، وشارك أحد أعضاء الجمعية في مؤتمر الدعوة الإسلامية بليبيا في العام نفسه. وفي عام ١٩٧٢ تم نشر ٥٠٠ نسخة من ترجمة عمر ميتا لمعاني القرآن الكريم، إلا أنه بعد ذلك بسنة واحدة أرتأت رابطة العالم الإسلامي جمع نسخ تلك الترجمة لتصحيح بعض أخطاء الترجمة، وتمت إعادة الطبع في نفس العام وتم إيفاد بعثة إلى السعودية لهذا الغرض، وفي عام ١٩٧١ وجهت الجمعية دعوة إلى عدد من الشركات اليابانية لتشارك في عضويتها كمؤسسات تقدم الدعم اللامعي للجمعية، فاستجابت أربع شركات عاملة في مجال التنقيب عن

المسلمون بدلاً من حرق الجنائين كما هو معمول به في اليابان بشكل عام. وتم خلال الفترة ما بين عامي ١٩٦٠ و١٩٧٢ العمل على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية للعمل على نشر الإسلام، بالإضافة إلى سعي جمعية مسلمي اليابان إلى توثيق الصلوات مع جماعة التبليغ والدعوة في باكستان، وإيجاد رابطة للمنظمة المسلمين في اليابان، كما بدأت المحادثات مع رابطة العالم الإسلامي بكرة حول إقامة مقبرة إسلامية في اليابان. وفي عام ١٩٦٢ تمت أول حالة دفن إسلامية سلمية يابانية (أهنية سايوتو) في مدينة إسلامية وقصدهم هذه الطائفة لتنقيت النطق لدى المسلمين، وذهب دارس إلى للدراسة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وخلال زيارة رئيس وزراء ماليزيا إلى اليابان عام ١٩٦٤ أعلن عن قيامه بدعوة سبعة طلاب مسلمين يابانيين للدراسة في ماليزيا. وشهدت المرحلة تالته إرسال ثمانية يابانيين دفعة واحدة للدراسة بالأزهر الشريف وهو الأمر الذي كرس إيجاب جيل من مسلمي اليابان المرتبطين بمصر دينياً وثقافياً، وأعقب ذلك لاحقاً سفر ستة طلاب يابانيين لزيارة الشريف عام ١٩٦٥، كما شارك مصريون في ندوات نظمها جمعية مسلمي اليابان، كما ساعدت مصر مسلمي اليابان في جهودهم لفتح قفص لبدء مقبرة إسلامية في مدينة إيزان التي تقع على بعد مائة

القران الكريم إلى اليابانية) من ١٩٦٠، ١٩٦٦، ومن ثم تعاليف على رئاستها ثمانين من اليابانيين المسلمين حتى مطلع عام ٢٠٠٨. وقد شهدت المرحلة التنكوبية في العقد التسريكي على بناء الإطار المؤسسي للجمعية وأطر الدعوة إلى الدين الإسلامي وجذب أعداد متزايدة من اليابانيين لاعتناق الإسلام، خاصة عبر توسيع الدعوة لنشمل مختلف المحافظات اليابانية، حيث تم لاحقاً على سبيل المثال إقامة جمعية مماثلة في مدينة كيوتو، عام ١٩٥٤، وفي فترة تالية لعبت جماعة التبليغ والدعوة اليابانية، دوراً في نشر الإسلام في اليابان عبر إرسال وفود سنوية لزيارة اليابان لمدة أربع سنوات متتالية، ومن ثم سافر عشرة مسلمين يابانيين للدراسة في باكستان، بالاقبال بدأ توجه اليابانيين المسلمين للدراسة بالأزهر الشريف بدءاً من عام ١٩٥٧، ونشرت ترجمة القرآن باللغة اليابانية لأول مرة في العام نفسه، وبما مسلمو اليابان في تقديم الإسلام بدورهم إلى مواطنيهم من خلال عدد من المحاضرات وإقامة الصلاة في عدد من المحافل، وكذلك عبر الصحف حيث أصدرت عام ١٩٥٩ جريدة «الإسلام»، وفي

الأديان في اليابان بين الماضي والمستقبل أمين ماكوتو ميزوناتي دار العلمية في بيروت، ٢٠٠٧م. عدد الصفحات ٢٠٨ صفحات مع صورة تقدم الطقوس اليابانية



اليابان مرحلة جديدة عام ٢٠٠٣ عبر تولى السيد أمين توكوماسو لرئاسة الجمعية. وهو أحد اليابانيين الذين درسوا بالأزهر الشريف وركز خلال هذه المرحلة على تقوية علاقات الجمعية مع سفارات الدول الإسلامية في طوكيو، وبناء مسجد ومركز إسلامي.



ونستطيع القول بقدر من الثقة أن جمعية مسلمي اليابان ركزت دائماً على إبراز الحاجة إلى كوادس معلومة يابانية لتتصدى لقيادة الجهد المبذول الإسلامي في اليابان بشكل أفضل من المسلمين من غير اليابانيين، وامتهنت الجمعية في ذلك بالأمانة والكريمة، وقد أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيبن لهم، إلا أن هذا المسمى يواجه عوائق في اليابان.

وننتقل الآن إلى المؤلف، فالأستاذ أمين ميزوتاني مستشرق ومستهرب ياباني من طراز خاص، بخلاف غالبية المستشرقين اليابانيين الحاليين، فإنه لا ينشغل من أرضية التأثر بالغرب لدى صياغة مواقفه تجاه العالم الإسلامي، بل على التمييز من تلك النقطة بوصفه يابانياً مسلماً، حيث اعتنق الإسلام طواعية في القاهرة بعد أن أجاد التحدث باللغة العربية عام ١٩٨٨ بعد دراسة وبحث طويل في الدين الإسلامي وعنه، ويعدها استقال من عمله بوزارة الخارجية اليابانية ثم تفرغ للكتابة والترجمة والتدريس والبحث بالمعهد العربي الإسلامي بطوكيو، وعن خلفيته الدراسية نقول أنه حاصل على الليسانس في التاريخ من جامعة كيوتو في اليابان عام ١٩٧١، ثم درس التاريخ كطالب مستمع في كلية الآداب في جامعة القاهرة عامي ١٩٧٣ و١٩٧٤، حيث بدأ يهتم بدراسة أعمال الكاتب المصري الإسلامي أحمد أمين، كما اهتم بدراسة الخط المصري خلال عهده الجديدة حيث وجد أن تطوره منذ عصر النبوة وحتى الآن عكس التطور الحضاري للفكر العربي والإسلامي بأسره بالإضافة إلى ما في الخط العربي من قيم جمالية عالية، ثم حصل على درجة الماجستير في دراسة منطقة الشرق الأوسط من كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام ١٩٨٢، وبعد الإصدار لمدكتوراه أعاد خلفيته المهنية، فقد عمل مستشاراً وقصلاً عاماً في سفارات اليابان في عدة بلدان منها مصر والمملكة العربية السعودية وليثان بربطاني والولايات المتحدة وبعثة اليابان لدى الأمم المتحدة في نيويورك، وخلال عمله في السفارة اليابانية بالقاهرة كان له دور في الإشراف على بناء المركز الثقافي (الأوبرا) الذي تم بمساعدة اليابان مع التزام بفن العمارة

الإسلامية أو فيما يتعلق بخلقته بالأكاديمية والبحثية، فقد كان الأستاذ أمين ميزوتاني محاضراً زائراً حول الثقافة الإسلامية في كليات الآداب بعدد من الجامعات اليابانية منها جامعة طوكيو وكيوتو، كما أنه نشر العديد من المقالات البحثية عن الفكر المصري والإسلامي الزاخر أحمد أمين، كما ترجم إلى اللغة

اليابانية كتاب «حياتي، لراحل أحمد أمين»، وقد نشر كتاباً كاملاً عن أفكار الأستاذ الراحل أحمد أمين باللغة الإنجليزية، وضر اهتمامه بالأستاذ أحمد أمين بأنه لم يكن عبقرياً مستمراً ولكن متقن يمكن النظر إلى عقله كمرة تنعكس عليها العقيدة والترات، وبذلك يمكن فهم كيف تنعكس هذه المسائل على عقلية المواطن العادي، فدراسة أحمد أمين كانت بالنسبة له مفيدة لأنه ليس شديد الارتفاع عن المستوى الفكري للمواطن العادي، ولكن أحمد أمين كان لديه اطلاع واسع وموقف أخلاقي، وقد أهدى أمين ميزوتاني رسالة الدكتوراة للمناقشة أمام جامعة لندن حول أعمال الأدبية والسياسية للأستاذ أحمد أمين، كما ألف الأستاذ أمين ميزوتاني كتاب: المساجد حول العالم، والجامع في الحج، وتاريخ الكنيسة المشرفة وأثارها، والجنة في الإسلام، وذلك باللغة اليابانية، وقد نشرت جريدة «الأمم» التي تصدر في اليابان، ولكن بالتشون الإسلامية خبراً حول لقاء أمين ميزوتاني لأول خطبة باللغة اليابانية يوم الوردية بعربلة في موسم حج عام ١٩٧٧هـ، وذلك أمام وفد الحج من اليابان حيث تناولت الخطبة أهمية الحج كأحد أركان الإسلام، وأهمية الوردية بعربلة كركن أساسي من عناصر الحج، مستشهداً في ذلك بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، ويظل يخطب ويكتب حول موضوع الدين عامة ودين الإسلام خاصة مثل كتابه الذي تعرض له اليوم، «الآداب في اليابان بين الماضي والمستقبل، الصادر من بيروت.



إن هذا الكتاب يبحث في صورة موجزة الأوضاع الراهنة للآداب في اليابان حول ثلاثة محاور رئيسية وهي أولاً سبب تاريخي لما يسمى بالسياسة «الفراع» العقلاني، في حالة المجتمع الياباني وثانياً صعوبات خاصة باعتناق الدين الإسلامي في اليابان وثالثاً حالة التجاذب للآداب لنفسها بصفة خاصة بين الشباب كما نلاحظ من نشوء الطوائف الجديدة المتعلقة بالآداب التقليدية.

وبما يقدم الكتاب الذي بين أيدينا معلومات متوفرة عن الآداب التقليدية اليابانية في يعرف القارئ العربي المزيد عن الخلفية الضرورية لفهم الموضوع بصورة واضحة متوازنة، بينما الكتاب يمدخل تهيدي عن الديانات اليابانية التقليدية والإسلام، يتناول فيه المؤلف ما يلي:

(١) يقدم الكتاب إحصائيات عن عدد معتنقي الديانات المختلفة باليابان، وذلك على النحو التالي:

يصل تعداد السكان في اليابان إلى حوالي مائة وسبعة وعشرين مليون نسمة، أما أعداد معتنقي الديانات المختلفة فيصل إلى ضعف هذا العدد وهو حوالي مائتين وعشرين مليون فرداً، وهذه الإحصائيات التي تبدو غير معقولة للهولاء الأولى سببها أن أكثر من نصف اليابانيين يقولون البوذية والتشنتاوية كلتهما ديانتهما، أما بالنسبة

للمسيحية، فعدد معتنقيها يبلغ حوالي مليون شخص، علماً بأن من تخرجوا من اليابانيين في مدارس مسيحية (جيجي) مراحليها من رياض أطفال وحتى الجامعة) يبلغ عددهم عشرة ملايين شخص، أي أن هناك ١٠ تقريبا من اليابانيين يدين في مؤسسة مسيحية في إحدى مراحل الدراسة، وكذلك هناك ١٠٪ من هؤلاء اعتنق المسيحية.

وبعيداً عن الإحصائيات السابقة هناك العديد من الديانات الأخرى تصنف تحت اسم «الديانات الجديدة»، ويبلغ عدد تلك الجماعات حوالي أربعين ألف مجموعة (أو ديانة) بين الكبيرة والصغيرة، معظم تلك الديانات خرجت من تحت عباءة البوذية أو التشنتاوية، فكل مجموعة من تلك المجموعات اختارت جزءاً صغيراً من تعاليم البوذية أو التشنتاوية، فبعض هذه الجزء من أعم تعاليم تلك الديانة وهو ما يجب أن يكون ركيزة للدين والتعاليم وإقامت تلك هذا الأساس بين جديداً بعد، وهناك منها المجموعات الكبيرة التي يبلغ عدد معتنقي تعاليمها من مليون إلى عشرة ملايين شخص، ومنها مجموعات امتد نشاطها إلى خارج اليابان.

وفي إحصائيات الحكومة اليابانية يصنف الإسلام تحت اسم تلك «الديانات الجديدة»، ويصل عدد رفق بعد معتنقيه بالإحصاص، ولكن جمعية مسلمي اليابان، تقول إن هناك مائة ألف مسلم في اليابان، عشرة آلاف منهم من المسلمين اليابانيين والتسعين ألف الآخرين من الأجانب الوافدين إلى اليابان من دول إسلامية مثل باكستان وإندونيسيا وفيرميا.

(٢) علاقة الإسلام مع الميكلات

حتى هذه اللحظة تسير الأمور على ما يرام بين الإسلام والآداب الأخرى في اليابان، وفي الآداب الأخيرة يقام حوار بين مؤسسات دينية مختلفة تحت قيادة «المؤتمر العالمي من أجل الآداب والعلوم» (WCWP)، وهي منظمة غير حكومية تتمتع بوضع استشاري لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة، وتشارك فيها مؤسسات بوذية وشنتاوية ومسيحية وإسلامية وغيرها.

الديانات الأخرى ويمتد نشاط المجموعات الشبابية والمجموعات النسائية لمنظمة (WCWP) (إلى جميع أنحاء اليابان، ويضع النظر عن التعاون بين الديانات المختلفة على الساحة الدولية، في اليابان تعاون وتسامح ملحوظ بين الديانات المختلفة ومن بينها الإسلام، وتبحث الكتب التي بين أيدينا عن ذلك في الفقرات التالية ولكن نستطيع أن نقول إن السبب في ذلك أن الدين بشكل عام فقد قلته في المجتمع الياباني بعد الحرب

العالية الثانية.

ومثال آخر على سلامة العلاقة بين الإسلام والديانات الأخرى في اليابان، ما ينشر من كتب في اليابان للتعريف بالدين بوجه عام نادراً ما لا يحتوي على الإسلام، فمثل ثلاثين كتاباً ما عدا لا نجد كتاباً دينياً لا يتطرق إلى الإسلام مما يوحي بوجود تغير ملحوظ في الأوضاع هذا، وهذا بالطبع وضع لم يكن يوجد

سوى من خلال تواضع علاقة سلمية بين الإسلام والديانات الأخرى وبشكل عام، فإن الحديث عن الدين دون التطرق إلى الإسلام في اليابان أصبح شيئاً نادراً مما يعنى أن الإسلام له طابع وفلق خاص في اليابان، ويمثل ذلك دليلاً إضافياً على الدور الهام للإسلام في عالم الأديان ومن هذا المطلق نشرت في اليابان مؤخرًا مناظرة ثلاثية بين ممثل عن البوذية وآخر عن المسيحية وثالث عن الإسلام. أما يلقى الدين الإسلامي كل هذا الاهتمام في اليابان بالرغم من قلة عدد معتقليه بها بعد معاملة خاصة من نوعها، حيث إن هناك العديد من الديانات الأخرى التي تصنف تحت اسم «الديانات الجديدة» لها معتقون ضدهم أكثر بكثير من عدد المسلمين.

ولم يكن السبب في هذه المعاملة الخاصة بسبب انتشار تعاليم الدين الإسلامي في اليابان، ولكنه كان نوعي اليابان تأثير الإسلام في الأبحاث العالية في الحاضر والمستقبل، وتستطيع القول بأن الأزياد المتصاعد في عدد معتقلي الإسلام على الصعيد العالمي سوف يؤثر تأثيراً كبيراً ومباشراً حتى في اليابان.

وإذا ما نظرنا إلى علاقة الإسلام بالمجتمع في اليابان فلن نجد احتكاكاً ملحوظاً يستوجب النظر<sup>(١)</sup>، ونسجم أحياناً قليلة للغاية إن هناك بعض المشاكل، وإن هناك من المسلمين من يقضب إذا ما عامله اليابانيون معاملة خاصة، أو من يشككون إن هناك بعض يتعرضون لطبائقات من أطفال يابانيين ولكن تبقى هذه حالات نادرة ومعزولة وغير معروفة للخصائص، وبالتالي غير واضح إلى أي مدى كان الانتماء للدين الإسلامي سبب هذه المشكلات، كذلك فهناك بعض الحذر الذي يستره اليابانيون في معاملتهم مع الأجانب من المسلمين بسبب حوادث الإرهاب التي تقع في العالم وخاصة عند التقدم للحصول على عمل أو استئجار منزل وما إلى غير ذلك، ولكننا لا نرى في اليابان أحدًا مثل تلك التي تقع في أوروبا أو أمريكا الشمالية بين المسلمين، ولذلك التجمعات مثل حفل ارتداء الفتيات للحجاب في المدارس أو أحداث الشغب التي يقوم بها بعض المسلمين رداً على ما يعتبرونه تفرقة عنصرية تمارس ضدهم، وحتى في الأحداث التي نشبت صمًا نشر في الصحف الأمريكية من رسوم كاريكاتورية مسيئة للرسول محمد عليه الصلاة والسلام، فإن رد الفعل في اليابان لم يتعد مظاهرة سلمية نظمها مسلمون أجانب مقيمون في اليابان أمام سفارة الدانمرك في اليابان، ويعرض للكتاب حصيلة مائة عام من الإسلام في اليابان، وذلك على النحو التالي:

#### ١. بناء المسجد

في عام ١٩٠٥ م بنى أول مسجد للمسلمين في اليابان وكان في مدينة «إيزومي أووسو» بالقرب من أوساكا. فقد اصطحب الجيش الياباني عدداً كبيراً من الأسرى من مسلمي وسط آسيا في حرب اليابان وروسيا التي دارت عام ١٩٠٥، هؤلاء

العدد المائة وأحد عشر - أبريل ٢٠٠٨ م

الأسرى قاموا ببناء مسجد وكذلك أسوا منطقة قبايرهم. وبعد ذلك قام تاجر هندي مسلم ببناء مسجد آخر في «كوبي»، عام ١٩٣٥ م، عام ١٩٣٨ م بنى مسجد في طوكيو بدعم من الحكومة التركية، وهو لا يزال قائماً حتى الآن.

وفي الوقت الحاضر (إذ حصراً عدد المساجد في اليابان، فسنجد في جميع أنحاء البلاد من إريغين إلى خيسين مسجداً، بما فيها: المسيحية، (أماكن صغيرة للصلاة)، يتركز أكثر من نصفها في طوكيو وضواحيها مما يأتي بعدها من حيث العدد «أوساكا»، ثم ناجويا، أما الباقي فينتشر في جميع أنحاء البلاد من «هوكايدو»، في الشمال إلى «أوكيناوا»، في الجنوب. وكانت المساجد في اليابان في مجملها نتاج جهد شاق لن قاموا ببنائها، وتخطط «جمعية مسلمي اليابان» لبناء مسجد كبير بهد اليابانيين أنفسهم، ولكن الخطوات العملية لهذا المشروع لم تحدد بعد، وطبقاً للتقاليد اليابانية في سياسة البناء والتصميم والمظهر الداخلي فليس من المتوقع أن يكون مثل هذا المسجد فائق الزخارف مثلاً، فالمهم بالنسبة لهم هو بناء المسجد في حد ذاته.

**في الحج**  
في عام ١٩٠٩ كان السيد «ياماواكا كوتارو» أول الحجاج اليابانيين كما ورد في السجلات، في بادئ الأمر كان مكلفاً من الجيش الياباني بجمع المعلومات عن اليابانيين ولكن الأمر انتهى به إلى أن يتحول إلى الإسلام ويستمر على دينه الجديد، إلى أن وافته المنية، لم تكن سجلات الحج التي تركها منسقة بشكل صحيح، ولكنه لمصلى الياباني عن يقراها بحماسه الزائد وشجاعته، لم يسبقه أحد من اليابانيين للحج فكان أول وآخر من ذهب للحج زاكيا الحجل من إلى اليابان. وجاء بعد السيد «تاكاتا إيبين»، وكان قد ذهب للحج مع مسلم من الصين عام ١٩٢١، ثم ذهب للمرة الثانية عام ١٩٣٣، وقد ترك تلك سجلات رحلات الحج التي قام بها، كانت إقامته في الصين لفترة طويلة وكان على معرفة كبيرة بالبوذية والشنتوية والكفوشوسوية وكذلك الشاوية، وبعد عودته إلى اليابان قام بتأليف عدة كتب ليس من أجل الإعلام فقط بل من أجل تحقيق تسامح فيما بين مختلف الديانات في اليابان.

وجاء بعد ذلك السيد «سوزوكي تسويوشي» والجمعية التي ذهبت معه، فقد أدوا فريضة الحج ثلاث مرات في الأعوام ١٩٣٥ و ٣٨٩، وترك لنا سجلات وتقارير عن رحلات الحج بعنوان: (مذكرات الحج)، وقد ترجمت إلى اللغة العربية<sup>(٢)</sup>، وقد بلغ عدد الحجاج من اليابانيين حتى قبيل الحرب العالمية الثانية عشرين شخصاً تقريباً بمن في ذلك هؤلاء الذين سبق ذكرهم، وزادت الأعداد تدريجياً بعد الحرب حتى أصبح عدد من يؤدى الفريضة في السنوات الأخيرة يبلغ أربعين شخصاً في كل عام، أصبحت الطائرة هي وسيلة الانتقال وذهب العلماء إلى ياكوجا بعد الأتول، ولكن مذكرات الحج لم تعد تنشر كما كان يفعل الرواد، ربما كان ذلك لزيادة عدد الحجاج، وإن كان هناك الكثيرون



#### بدء البناء

#### في مسجد بمدينة

«كوبي» عام ١٩٢٨

#### من تبرعات المسلمين،

#### وشارك في

#### التبرعات قنصل مصر

#### في «كوبي»

#### في ذلك الوقت الدكتور

#### محمود فوزي

#### وزير الخارجية ونائب

#### رئيس الجمهورية

#### فيما بعد



الذين يودون الاطلاع على تفاصيل هذه المرحلة الجلية.

**جد ترجمة «معاني القرآن والتفسير»**  
صدرت الترجمة اليابانية الأولى لمعاني القرآن اليابانية في عام ١٩٢٠ م في اللائقنيات والخمسينيات، وكانت الترجمة المباشرة الأولى من اللغة العربية عام ١٩٥٧، وقدمها السيد «إيزونسو توشينيكو»، وفي عام ١٩٧٠ قام لثنان من علماء اللغة العربية بتجربة جديدة للترجمة.

وكال محاولة لياباني مسلم كانت ترجمة السيد «عصر ميتا» عام ١٩٧٢ (الطبعة الثانية عام ١٩٨٢)، أعرض السيد عصر سنوات طويلة في مكتب مستغرها في تحقيق مهمته وتوفي بعد أن انتهى من نشر عمله مباشرة، وقد ترك هذا العمل الكبير، وادخلت بعد ذلك «جمعية مسلمي اليابان» تعديلات وتحسينات متواصلة على هذه الترجمة، حتى أصبح هذا الكتاب هو الترجمة الأكثر تداولاً للقرآن في اليابان، أما بالنسبة لتفسير القرآن فلم تكن هناك الترجمة الشاملة، ولكن مؤخر صدر عن «جمعية اليابان» السويدية، ترجمة (تفسير الجلالين) للسيدة «فانكا كاوري» والتي استغرق العمل فيها من عام ٢٠٠٢ وحتى عام ٢٠٠٦، وهو كتاب كبير مكون من ثلاثة أجزاء، ولكن الحجم الكبير يعوق تفسير التداول، لذا تدرس «جمعية مسلمي اليابان» إمكانية إصدار كتب تفسير صغيرة الحجم.

#### د، الأحاديث النبوية وسيرة النبي

#### محمد عليه الصلاة والسلام:

أما بالنسبة للأحاديث النبوية فقد صدرت عن «جمعية مسلمي اليابان» ترجمة لـ (صحيح مسلم) في ثلاثة أجزاء عام ١٩٨٧، وغير ذلك صدر مختارات من الأحاديث النبوية مثل (الأربعون حديثاً) (الماننا حديث)، وهناك مشروع لإصدار (مقالة حديث)، بإصدار هذه المجموعات من الأحاديث بشكل سهل الاستخدام ومنسق يسهل على المسلم الياباني استيعابها والاعتماد بها.

أما سيرة النبي عليه الصلاة والسلام فبعد القرن التاسع عشر وحتى الآن صدر ما يقرب من ١٥ كتاباً، معظمها ترجمات من لغات أوروبية يبدو واضعاً فيها روح الاستشراق، ولكن في عام ١٩٨٣ صدر أول ترجمة عن اللغة العربية لكتاب من كتب السيرة من «جمعية مسلمي اليابان»، وكانت الترجمة كاملة لكتاب (سيرة النبي) للسيد «حسن السباعي».



إن التساؤل الذي يظل يشغل المسلمين عن اليابانيين هو: ما هو اعتقاد اليابانيين عن الهدف من الحياة وما هو اعتقادهم عن ما بعد الموت؟ كيف يتصورون خلق الكون؟ وفي الفترة الأخيرة كانت هناك أخبار أكثر عما قيل لنشر من حوادث قتل وانتحار في اليابان، فطرح التساؤل: هل هذا يعني وجود خلل نفسي ما لدى اليابانيين؟ وفي ضوء ما يشاع أحياناً من أن كل ما



يشغل اليابانيون هو السعي وراء المال، طرح البعض سؤالاً: هل اليابانيون بدون عقيدة؟ إلى آخر ذلك من التساؤلات. وثناؤوا الكاتب في هذا السياق بصراحة التساؤل في العالم الإسلامي عما إذا كانت اليابان تعتبر «بلاد كافراً، أو «دار حرب»؟ وربما يأخذ البعض هذا التساؤل على أنه إهانة، ولكن الكاتب يفتخر أن بعض المسلمين يفرحونه، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. فهو سؤال هام يراودهم ولا يستطيعون تجنبه، وحول هذه النقطة يستعين الكاتب بما قاله المؤرخ والمفكر المصري الإسلامي الراحل الأستاذ «أحمد أمين» منذ حوالي نصف قرن وهو: «وحسبنا دليلاً على ذلك أن أمة اليابان وهي وشيئة الدين لما حدثت حذو أوروبا وأمريكا في نهضتها كما قايت علماء الطبيعة والكيمياء، وعلمتكم التعليم الحديث وشجعتهم على الاختراع والابتكار ساروا، سيرهم ووصلوا إلى ما وصلت إليه أوروبا وأمريكا من حاربوا روسيا وانتصروا عليها ثم حاربوا أوروبا وأمريكا وانتصروا عليهم أولاً ولا الهزموا أخيراً. ولم تمنعهم وتثنيهم وأن من النهوض والتقدم وكان تقدمهم في وسائل النهضة الأخرى مقبلاً على انحصارهم الديني. فكيف لو صلح دينهم وسمت روحانيتهم؟»<sup>١١</sup>

نحن بالطبع لا نستطيع أن نضمر مرور الكرام بمثل هذا الرأي حيث إنه صادر عن مفكر بارز وضمن نقداً ضمنياً الذي وجهه الكاتب للديانات اليابانية. وهكذا نرى أنه أحياناً ينظر بعض العرب والمسلمين لليابان على أنها بلد بدون ديانة حقيقية، بل إن هذه النظرة موجودة بين بعض المثقفين وترجع إلى فترة زمنية بعيدة.

## التفسيرات المختلفة في التاريخ الياباني،

ويوجه الأستاذ أمين ميروثاني رسالة لرد على هذا الفهم لدى بعض العرب والمسلمين لليابان. ويستعين في رده بتاريخ اليابان الطويل في محاولة لتقديم صورة كاملة وواضحة وحيدة. ويرى أن هناك صعوبات تواجه الديانات عموماً في المجتمع الياباني من منظور تاريخي ولا يواجهها الإسلام وحده. وتحدث المؤلف بداية عن عصر حكم أسرة «إيدو» وهو عصر جاء في القرن التاسع عشر وعصر في التاريخ الياباني باعتباره مهذاً «ميجي». وشهد قرب نهايته بوأثير افتتاح على العالم الخارجي بما في ذلك إرسال بعثات إلى أوروبا، خاصة برطانيا وإلى مصر في عامي ١٨٦٢ و ١٨٦٦ للتعرف على أوجه تقدم هذه البلدان في المجالات المختلفة وما حققت من نهضة في ميادين الري والتعليم والإدارة وغير ذلك. ففي عصر أسرة «إيدو» كانت البوذية هي الديانة التي تتيهاها السلطة رسمياً. بينما كانت الحاد تقوم بتسجيل معتنقي الديانة وتغني بإدارة الأمور الخاصة بالأحوال الشخصية مثل إصدار أحكام العصف والرحلات، وتسجيل عقود الزواج وشهادات الميلاد. أي كانت موكلة بأعمال التي يقوم

الكاتب إلى مقولة كان يسمعا في شبابه انتشرت وتولفت بين صفوف اليابانيين تغير عن السخط الذي شعر به كثيرون تجاه الديانات الموجودة، وكانت تقول، لقد فعلنا الكثير من أجل البوذية والشنتاوية ولكنهما لم يمدنا يد المساعدة، وكانت تلك القولة «جسب إلى الزايف». تعبر عن مشاعر ساذجة ترفض تكلف الصناء ومواجهة التجارب المريرة التي يتعين على المؤمن بالتعبئة تحملها.

وذلك حرص الدستور الياباني الجديد الذي صيغ عقب الحرب العالمية الثانية وفي ظل الاحتلال الأمريكي على الفصل بين الدين والسياسة بشكل واضح وقاطع، وعلى زعزيع العالقة الديني عن كافة المؤسسات والصالح الحكومية والرسومية، ولم يلق ذلك التوجه الجديد، معارضة تذكر من المجتمع الياباني وسيور الوقت ترسخت جذوره في المجتمع أكثر وأكثر. وفي ظل هذا التوجه الجديد، لم تتوقف رغبة غالبية المواطنين عند مجرد الفصل بين الدين والسياسة، بل يعتبر الأستاذ أمين ميروثاني أن رغبته تلك كانت امتداداً للوعي لفرع الطائفة الدينية عن كافة مناهي الواقع المعاش. فبعد هذا التغيير الفكري الذي شهدته فترة ما بعد الهزيمة، عبر إدخال الديمقراطية الليبرالية والفصل بين الدين والسياسة، تطور التحول ليتصلح متعلق مناهج فطاعنا واسعة من الشعب الياباني إلى القضاء على كل أثر للدين في الحياة اليومية. وفي ظل هذا التطور، جاءت ثمرات كانت غالبية المجتمع تنظر فيها إلى من يتسكن بالدين بشكل سلبي، كما تردت في خاصة في بدايات تلك الحركة، مفادها أن القوات الأمريكية التي كانت تحتل اليابان حينذاك كان لديها خطة لاستغلال كل الموقف تجاه الديانات اليابانية التقليدية لجعل اليابان دولة مسيحية. ويضيق النظر عن صحة هذه المقولة من عدمها أو إلى أي درجة كانت القوة المحتلة جادة في هذه الخطة، فالتنبية يرى المؤلف أنها واضحة وهي عدم صقل هذا الهدف، في حالة افتراض وجود أهدافاً وهو ما يراه أسوأ طبيعياً، فقد أدى مثل مشاعر تاريخية في القضاء على كل وأل الأديني، لم تكن المسيحية تحظى وحدها باستثناء من هذه المشاعر.

## «الدين الياباني بين جيلين»

يستخدم المؤلف هذا التعبير ليشرح للقرآن العربي عابرة ما يعتبره الوضع الحالي للعقيدة الدينية باليابان والذي يصفه كما لو أن جيلين قد سقط في أعماق أو محصورين بين شيئين. ويدعو إلى عدم الحكم على مجريسات الأمور بنظرة إلى التاريخ المعاصر الذي لا يشكل سوى جانب واحد من تاريخ اليابان، ويشير الكاتب إلى أن عامل السقوط في ذلك «الوادي» كان هو السبب الذي أدى إلى استمرار فترة من الصعوبات التي واجهت مجتمع انتشار العقيدة الدينية باليابان، بحيث إن هذا يمكن حال الدين الإسلامي فقط.



المؤلف وعرضنا لها فيما تقدم، فإن مهمة التغلب على عوامة الحروب لمواصلة الحياة كانت من العوامل التي ساعدت على تشكيل الوضع الحالي للأديان في اليابان، وكذلك كانت مهمة إعادة بناء الاقتصاد. كما أنه حدث تلامز زمني بين تطوّرين، تزعزع الثقة في العقيدة وتنمية الاقتصاد. ومن هنا جاء وصف "الوحش الاقتصادي"، الذي أطلق على الياباني في فترة ما، ولم يحيا عدد كبير من اليابانيين بأن يطلق هذا المصطلح على بلادهم بل ولم يتفخوا هذه الصفة عن أنفسهم، مما عكس أن قطعا كبيرا من اليابانيين غابت عنهم - ولو لفترة - احتياجاتهم الروحية الإنسانية. ولكن إلى أي درجة وحتى متى يمكن أن تتغير الفطرة، لدى بعض البشر؟ ويحيي المؤلف أن هناك ثوابت لا تتبدل، مثل حقيقة أن الإنسان يولد كقرد ثم يرحل إلى العالم الآخر كقرد بعد حين، ومثل أن الإنسان في نهاية الأمر ضعيف ولكنه بالرغم من ضعفه يتصارع مع الآخرين من أجل البقاء حتى وإن قضى وحيدا في معركة ذلك. وهناك أيضا حقيقة أن قلب الإنسان سوف يظل يسعى وراء الحق والعدل والاستقرار والسلام الذي تدعّمه عزيمة لا تتزعزع أن هذا هي الطبيعة الإنسانية، وإلى هذه الطبيعة الإنسانية أيضا ترجع، عودة ظاهرة التندين، التي تشهدها اليابان هذه الأيام، كما أننا نستطيع القول أنها أحد العوامل التي ساعدت على زيادة الاهتمام بالآديان عموما، وبالإسلام خصوصا في اليابان مؤخرا.

## صعوبات خاصة تواجه اليابانيين في طريق فهمهم للإسلام:

يرى المؤلف أن عدد الذين ينظرون إلى الإسلام نظرة جادة ويؤمنون أن يتعرفوا على صورته الحقيقية يتزايد في اليابان، ولكن غالبية هؤلاء لا يستطيعون فهم الإسلام والشعور بالتجانس مع فلسفته وتعاليمه رغم أن الجهود التي يبذلونها. ويشير المؤلف إلى وجود العديد من الصعوبات والعقبات التي تقف في طريق من يحاول فهم الإسلام فهمًا صحيحًا في اليابان. ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى أنه حتى هؤلاء الذين يهتمون بالتعرف على الإسلام يتقصصهم الدواعي الداخلية لحالة فهم محورية فكرة الإيمان في الإسلام، كما أن الكتب التي تقدم الإسلام لليابانيين وتركز على روح الإسلام، ويعتبر الأستاذ أمين ميزوتاني أن روح الإسلام هي الصفاء من النفس، أو ما يمكن وصفه بـ "السلام". وفي اللغة اليابانية كلمة (nagoyakasa) هي أرق الكلمات التي تعبر عن روح الإسلام، تعني "الصفاء من النفس والعيش في سلم وتآلف ووفاء مع الآخر". وهذه هي الصفات التي يجب أن يكون عليها الإنسان المسلم، دائما بحسب المؤلف، وهو ما تتفق معه بشأنه.

(١) صعوبات التقضية الإعلامية للإسلام والمسلمين،

إن أكبر العقبات التي توجد منعا سببا حول الدعوة إلى الإسلام في اليابان هي الأخبار البوذية في الصحافة ووسائل

الإعلام، والتي تقود الناس إلى الحيرة والذهشة والاستغراب على أفضل الأحوال. فهي لا تتحدث عن الإسلام إلا باستخدام مصطلحات مثل "معتقد"، أو "أصول"، أو "إبراهيميين"، وما إلى ذلك. ولحق، فإنه لا توجد في اليابان أية هيئة لتصوير الإسلام في صورة مرعوبة بتغيير الحقائق مثل تلك التي توجد في بعض الدوائر في أوروبا وأمريكا. ولكن بالرغم من ذلك، فإن نقل الحقيقة الإسلامية عن وسائل الإعلام الغربية يوجد تأثيرا من الإعلام الموجه من الغرب في تناول قضايا الإسلام والشرق الأوسط على الرأي العام الياباني يوجهه في اتجاهات معينة قد تكون بعيدة عن الحقيقة.



(٢) الخلط بين الدين والعلم:

والعقبة الثانية التي يشير إليها الكاتب هي عقبة يرى أنه من الصعب أن يلحظها أحد، ويعني فيما فهم الإسلام على أنه علم. إذا ما نظرنا إلى هذا الفهم على أنه تصور الإسلام مجالا للبحث والدراسة، ويعتبر المؤلف أن هذا قد يكون جيدا على المدى القصير، ولكنه يضل عن الرسالة الأساسية لإسلام كدين وعقيدة إيمانية. ويساوي الكاتب بين الوضع في اليابان وعمله في دول الغرب، حيث يزداد الاهتمام بالعلوم المتعلقة بالإسلام موضوعات بحث ودراسة في علم الفلسفة وعلم البيانات المقارن والتشريح وما إلى ذلك، كما يوجد اهتمامات من النواحي الأنثروبولوجية والاجتماعية لدراسة ظواهر مثل الصوفية والأصولية. كما يتم استخدام منهج بحث تستخدم كمنهج لطرق علم النفس لتحليل تعاليم الإسلام من منظور اللزراء، بل إن هناك أيضا محاولات لتحليل باستخدام علم الأعصاب عبر إجراء أبحاث علمية علمية في فرع المخ والأعصاب لتكشف الشكاب عما يدور كدبر البعوض البعوض المسمىولوجي للإيمان بعقيدة، أي أن الإسلام يتهضر لتحليل وتفسير من كافة فروع العلم الحديث، ولكن دون أن كافد فرعا يهتم بالإسلام كروحانيات وعقيدة أي ينظر إليه ويعالجه بعيدا عن العلوم المادية المحسوسة.

ويرى الأستاذ أمين ميزوتاني أن هذه العقبة لا يمان منها الإسلام وحده، فعندما ننظر إلى التاريخ نجد عبارة من القرن الثامن عشر تركها بعض أحد أكبر المذهب البوذية يقول فيها: "يؤمن الكثير من العلماء والحكماء ويتناولون العديد بالتحليل العلمي، بينما المحضرون أن نستمر في الترتيل والسير بالظاهر كأهل العلم والمنطق، وهكذا يخلص المؤلف أنه من قديم الأزل شرقا وغربا يوجد اتفاق على أن الإيمان ليس علما أو موضوعا لعلم، وإنما يمان يعتبر ما يسمى "تقديس العلم وتبجيله"، مرضا أصاب الأديان منذ انشغال فقط بالعلوم الحديثة ومنهج دراستها.

ويعد المؤلف هنا من جديد للندم عن "الصيغ الغربية" في تعريف المجتمع

الياباني الحديث بالإسلام، ويرى حديثه على افتراض يسلم هو وصحته مبقا وهو أن نظرية الإحباط الميت من الغرب للإسلام حقيقة يصعب تصديقها. وهي نظرة مستمرة لدى الغرب منذ الحروب الصليبية، وربما قبل ذلك، كما أنه في العصر الحديث فإن أهم علماء الإسلاميات الغربيين من اليهود حتى وإن لتفسوا بعباءة المنطق والدليل العلمي، ويخلص المؤلف أنه بالتالي فإن علم الإسلاميات التي دور إلى اليابان من الغرب في التاريخ الحديث والمعاصر، وإن لم يضح عن عدائه للإسلام، فهو على الأقل يتعامل معه على أنه موضوع للبحث الحيادي والتشريح. فهي سبيل المثال، ركز بعض علماء الإسلاميات في الغرب على التسرية في رسالة<sup>(١)</sup> من يدافع المؤلف أن جوهر الإسلام هو الشكك الصافية المومة والإيمان الخالص من القلب.

ويرى الكاتب أن اليابان كانت تعاني من عيب مضاعف في هذا الصدد كشكله كل من الموقف الذي فرض عليها بأن تبدأ دراسة، وبما باستيرادها من الخارج من جهة، وكذلك الموقف الذي فرض عليها التأثر بالموقف الغربي من الإسلام من جهة أخرى.

(٣) أكبر العقبات: انصراف الناس عن الاهتمام بالروح والعقائد، وأخيرا يتحدث الكاتب في هذا الجزء عن أكبر العقبات التي تواجه فهم المجتمع الياباني لحقيقة الإسلام بحسب رأيه، وهي عدم وجود ما يشترط عملية الحساب للإيمان أو شعور القلب العامر بالإيمان، ويرجع المؤلف ذلك إلى الاستيعاب الطوسي الإداري من جانب غالبية اليابانيين لكل ما له علاقة بالدين على مدار السنين عاما الأخيرة، ويشير آخر، أصبح عالم الروح بكل سحره وجاذبيته بعيدا إلى حد كبير عن غالبية اليابانيين فرادى وجماعات.

ويعد المؤلف يؤكد على أن التعامل مع الإسلام من منطلق أنه علم ومادة بحث لا يؤدي إلى فهم روح الإسلام، ويشدد على أن الإيمان يقتضيه على العامل النفسي الإنساني والروحي، ولذلك يرى أن الكثير من البيانات تعتبر الفشون التشكيكية والموسيقى وسائل مساعدة تؤدي للإيمان، ويخلص الأستاذ أمين ميزوتاني إلى أن سبب تضرر اليابانيين في فهم حقيقة الإسلام لم يكن العادات والعقوس التي لم يالفعوا بل كان لأنه لم يتعرفوا على روح الإسلام وجوهر رسالته.

ويطرح الكاتب السؤال يحاول الإجابة عنه: والحوال هو: ما هو هذا العالم الروحاني الذي يستشعره من يؤمن بالإسلام؟ وما الذي يشعرون به يعمر قلبه بالإسلام؟

وفي معرض محاولة الرد يذكر الكاتب أن الإجابة الموجهة تكمن في كلمة واحدة وهي: "الصفاء، الذي هو - بحسب رأيه - روح الإسلام، ويعتبر بعيدا كل البعد عن العنف والقتل، بل هو القلب العامر بالحب والشكر المتواصل، هو أمر لا يستطيع الإنسان التوصل إلى معرفته من منات النظريات أو الوثائق أو السجلات، بل يستطيع المرء

عام ١٩٦٨ تم

## تجديد مسجد توكيو بمساعدة من الحكومة الكوبينية. وفي العام نفسه اعترفت السلطات المسئولة لأول مرة بجمعية مسلمي اليابان والإسلام كأحد الأديان المتواجدة في اليابان





أن يستشعره في مشهد إنسان يصلي في خشوع، وزمعا في الطبيعة بكل ما فيها حيث يقودنا التأمل في الطبيعة إلى أن نشعر بنعمة الحياة ونتمنى الخير لكل من حولنا. ومن أجل المحافظة على قلب بكل هذا الصفاء، يؤمن الكاتب بأن هناك قلبا من الإيمان لا تنطوئ تظل موقدة في قلب المؤمن. ويخلص المؤلف إلى أن الاهتمام بالإسلام، وهو أهم ما يشتد تعريفه بالإسلام في اليابان، وهو ما يحاول أن يركز عليه في بقية كتابه.

١. أسئلة اليابانيين: يتناول الكاتب ما يعتبره التساؤلات الرئيسية لليابانيين بشأن الإسلام ويحاول الرد عليها. وذلك على النحو التالي:

أ. جوهر العقيدة

فيما يتعلق بهذا الموضوع يذكر المؤلف أن الإسلام دين توحيد، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل يستطيع اليابانيون استيعاب هذه المسئلة المحورية المتصلة بوحداية الإله؟

ب. التوحيد:

ويتساءل المؤلف: كم يابانيا يستطيع أن يقتنع بفكر التوحيد هذا دون أن يناقشه ويجاده؟ ويرد بأن اليابانيين لن يتقبلوا هذا الفكر بسهولة، أو على أفضل الأحوال سوف يتساءلون: «وما الفارق بين هذا الفكر وما لقوله البوذية من أن كل شيء عديم، أي لا وجود مطلقا». وبناء على ذلك يخلص المؤلف إلى أنه لا أمل في تحريك قلوب اليابانيين باتجاه القبول بالإسلام ما تم البدء بالدين، بل بالإيمان الخصة في الإسلام (وهي الإيمان بالله، وملائكته، ورسوله، ونكتبه، واليوم الآخر). وذلك نظرا لأن الشعب الياباني له خلفية ثقافية مختلفة، ولا تناسيه مناهج الدعوة الموهودة في المجتمعات الإسلامية.

ج. روح الإيمان:

يسرد المؤلف تعريفا تقليديا للمسلم وهو أن المسلم هو كل من يسلم الروح والجسد إلى الخالق. حيث ينسب كل ما حوله وإرادته الخاصة بترك كل مجريات الكون ليدوه وهو يعطي ما أمره الله ونفقا في رحمته وقدرته.

ويتساءل: لماذا يتوكل المؤمن على الله هل كل شيء؟ ويحاول الإجابة بالتقول بأن السبب في ذلك يرجع إلى أن المسلم يرى في الله القدرة والرحمة والعدل. حيث يشعر بكل كيانته، بقلبه وعقله، باجتماع الحق والخير والجمال في الله سبحانه وتعالى. وهو بذلك يشعر بقيمة وجوده في الحياة ويصبح مقتنعا بأن من شأن هذا الإيمان أن يضمن له الأمن والفرح يوم البعث، فغالبية المسلمين، طبعا ليسوا التعريف، لا يجابون كثيرا بالدين. أو هكذا المفترض. قدر ما تشغلهم الأخرى.

ويذكر الكاتب في هذا المقام بعض الحركات التي يقوم بها المسلم مثل أن يرفع يديه داعيا رافيا رحمة الله ووعايتها ثم يسمح وجهه بكفيه وكأنه تلقاها من ربه وشعر بها. وكذلك الارتياح والسعادة التي ترسم على وجه المؤمن العابد بعد أن يفعل ذلك. كما يشير إلى مشهد الصلاة وهو يذكر اسم الله عز وجل وهو يرفع عينيه إلى السماء بنظرات ساجدة وكأنه يرى شخصا ما عن بعد.

«أسماء الله الحسنى»:

يقول المؤلف في كتابه «إلى الله واحد. وأسماءه الحسنى تسعة وتسعون اسما» وهي أسماء تصف قدرة الله وعظمته. وهو يرى أن أسماء الله الحسنى ليست محدودة بثمانية وتسعين اسما فقط، ولكن هذا العدد تمثال على صفات وقدرات لا حدود لها. ويعتبر أن هذه الأسماء جميعها لها واقع مسجل على المؤمنين. ولكن في بعض الأحيان يتساءل البعض أي أسماء أكثر سحرا وتأثيرا؟ ففي بعض الأحيان يقولون إنها الأسماء التي تعبر عن القوة، وأحيانا أخرى يقولون إنها الأسماء التي تعبر عن الرحمة والحب، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وجود الله في أذهاننا دائما برونه: قويا حيا ورحيما حيا آخر.

ويتبّه المؤلف ذلك بمقولة تذكر في النجاة اليهودية: «سرى بوذا في شمس الغيب». ويجذب الاهتمام إلى التشابه بين القلوب المؤمنة بين أتباع مختلف الديانات. وهي التي تحاول أن تتخيل خالقها وإلهها في عدة صور ومواقف.

٢. وجود الله

يواصل الأستاذ أمين ميرزواني طرحه، حيث يذكر أنه حتى وإن أدرك اليابانيون أن جوهر العقيدة يكمن في قيام الإنسان بعبادة وعبادة الله وما يحليه ذلك من صفات النفس شعور بالسعادة. فإن الكثيرين منهم سوف يتساءلون قائلين: «هل حقاً الله موجود؟». ويقر المؤلف بأن من يسأل مثل هذا السؤال لن يكون مؤمنا. ولكن هذا لا يمنع غالبية اليابانيين من غير المؤمنين من طرح هذا السؤال. وذلك كره فعل طبيعي وإنساني. ولكن إذا لم يجد المؤمن بالإسلام اهتماما ولو بسيطاً بالإجابة عن أسئلة هؤلاء فمن يستطيعوا مساعدتهم على إدراك روح الإيمان التي سبق وحددنا عن تناول المؤلف لها. ولذلك يخصص المؤلف جزءا من كتابه للحديث عن حقيقة وجود الله. ويورد المؤلف مقولة البهمن: «إن الله موجود لن يؤمن به». ولكن هذه الإجابة تبدو له وكأنها مجرد تكرار للكلمات لكنها لم تأت بجواب، وبالتالي يحاول أن يجتهد لتقديم إجابة هو. والتي تتلخص في أن اختلاف الأمور في عالم الواقع تبدو للمؤمنين دليلا قاطعا لا مجال للشك فيه على وجود الله. فعلى سبيل المثال، بعد سماع موسيقى جميلة، أو مشاهدة فن تشكيلي راقٍ يشعر الإنسان بسعادة وإرتياح وهذه تجربة قد مر بها الكثيرون. وبعد ذلك ولفترة ما يشعر الإنسان بأن كل ما يسمعه ويراه قد أصبح جميلا. إذا، يتساءل المؤلف: لماذا لا نجد من يسأل عما إذا كان الجمال موجودا أم لا، والإجابة لديه هي أن هذا ناتج عما شس الإنسان حقيقة وجوده وتجربة ملموسة فلم يوجد داع للاستفسار عن وجود الجمال من عنده.

ويتنطلق المؤلف للتحدث في سماء تأملاته عن جوهر الإسلام فيذكر أن من أسلم قلبه لله وحافظ على تعاليم الإسلام فقد وضع حدا فاصلا بين قلب الإسلام ويعتد. وهو عندئذ يجد الأدلة والبراهين على وجود الله حوله. ومع كل دليل ويراهن

يشعر بحلاوة الإيمان ويزداد إيمانه صلابة. ويضرب الكاتب مثلا على ذلك بالصدقة، ففي بادئ الأمر يؤذيها المؤمن كمسألة لشخص فقير يحتاج إليها، ثم ترتقي مشاعره إلى أن يدرك أن هذا واجب فريضة الله عز وجل عليه ويجب أن يؤديه. وعندما يصل إلى هذه المرحلة -بحسب المؤلف- يكون قد وصل إلى المعنى الحقيقي للإيمان، وهو قبول بتمام التسامى والترح، ويكون هذا بالنسبة له مصدر العطفة المؤسسة على الحقيقة الأدبية، ألا وهي النعمة والقول الصادق، كما تكرر المؤلف من قبل بالنسبة اليابانية nagoyakasa. فأياها يوجد الله هو أساس الإيمان في الإسلام. ويرى الكاتب أننا لا نصل إليه إلا بالآلة والتخلق بل يسعى الإنسان إليه ويطلبه بقلبه.

الدافع وراء البحث عن الله عز وجل: يطرح المؤلف تساؤلا يراود اليابانيين وهو: ما الذي دفع المسلم إلى البحث عن إله والتوكل عليه؟ ولماذا هذا المؤلف عبر ثلاث نقاط على النحو التالي:

١. النقط الأولى: أن لدى المسلمين قناعة بأن الإسلام هو أفضل الديانات بالنسبة للإنسان وكذلك قناعة بأن الأمانة الإسلامية لأصل أمة شهدتها البشرية. وهذه القناعة تحمل بدورها دالة ضمنية وهي أن الدين الإسلامي والأمة الإسلامية على ما يجب أن يتطوروا إلى الديانات والأخرى كمنافسين للإسلام والمسلمين.

وفي العصور الأولى، كان الإسلام محاطا بتيارات الشرك الخفية المتعددة في شبه الجزيرة العربية بالإضافة إلى اليهودية والسجيرة. ولذلك كانت هناك مشكلة اختيار ديانة للاعتناق. ولكن لم يكن هناك مجال للبقاء دون مقيدة، ويرى المؤلف أن هذا المناخ الدلبي على مستمر حتى الوقت الحاضر، ويضرب مثلا على ذلك بأنه مع انهيار الاتحاد السوفيتي التقطت الإجابة البدنية التي تبعت في الجمهوريات السوفيتية السابقة، شهدنا انقساماً بين من يتشاركون في المصير الشيوعي والشيوعي، وفي أفريقيا يعتبر الكاتب أن هناك توترا بين الشمال المسلم والجنوب المسيحي. وهنا لا يبدو الكاتب ملما بالتفصيل أو الدقة اللازمة بالأوضاع الدينية لأفريقيا، حيث إن عدد أتباع الديانات الأفريقية الأصلية يفوق المسيحيين في عدد من دول القارة، كما أن الإسلام موجود أيضا في العديد من دول جنوب وغرب وشرق ووسط القارة وغير مقصور على الشمال.

النقطة الثانية: يتذكر المؤلف أن من فهم مشقوة الدين ولكنهم لم يتمكن من فهم تصنيفه كأحد الموهوبين بموهبة ما، وهذه الموهبة تتطلب بقاء رافعا من الإدراك البدني والإيمان، وإذا كان المناخ الديني مساعدة فهذا يساعد على زيادة قلق هبة الديانات الأفريقية الأصلية يفوق المسيحيين في عدد من دول القارة، كما أن الإسلام موجود أيضا في العديد من دول جنوب وغرب وشرق ووسط القارة وغير مقصور على الشمال.

النقطة الثالثة: يتذكر المؤلف أن من فهم مشقوة الدين ولكنهم لم يتمكن من فهم تصنيفه كأحد الموهوبين بموهبة ما، وهذه الموهبة تتطلب بقاء رافعا من الإدراك البدني والإيمان، وإذا كان المناخ الديني مساعدة فهذا يساعد على زيادة قلق هبة الديانات الأفريقية الأصلية يفوق المسيحيين في عدد من دول القارة، كما أن الإسلام موجود أيضا في العديد من دول جنوب وغرب وشرق ووسط القارة وغير مقصور على الشمال.

النقطة الرابعة: يتذكر المؤلف أن من فهم مشقوة الدين ولكنهم لم يتمكن من فهم تصنيفه كأحد الموهوبين بموهبة ما، وهذه الموهبة تتطلب بقاء رافعا من الإدراك البدني والإيمان، وإذا كان المناخ الديني مساعدة فهذا يساعد على زيادة قلق هبة الديانات الأفريقية الأصلية يفوق المسيحيين في عدد من دول القارة، كما أن الإسلام موجود أيضا في العديد من دول جنوب وغرب وشرق ووسط القارة وغير مقصور على الشمال.

يسطر المرء إلى السلم وهو يرفع يديه داعياً ربه تحت الشمس الحارقة وهو لا يمسأ بحراولها الشديدة يشمر المرء بظافة وبركير لا حدود لهما. ويقرآن المؤلف هذا الوضع مثبته لدى اليابانيين فيخلص من إله أنه سمر من منهن هذا التكرس ومثل هذا لطفاً موجودة لدى اليابانيين أيضاً ولكنهم موجهة لأشياء أخرى غير التبعيد الشفاعة. فيقول المؤلف أن العلاقة في الإسلام بين العبد وربه تنصص ما إنشائية. ويشير إلى عبارة الفيلسوف العربي بنسبته التي تقول: لقد ماتت الألية. كما يشير إلى نظرية الرقي عند تشارلز داروين. ويعتبرهما وجهين لعملة واحدة. وهي التعبير عن الشعور برخص الإله بسبب تجاوزات الكنيسة الكثيرة والطولية. أما المسيحية المعاصرة فركزت على الأخلاق. أي علاقة الإنسان بالإنسان. وليس على العلاقة بين الله والعبد المؤمن من مخلصان اليهودية فيقول المؤلف أنها ركزت على أهمية أن تكون هناك علاقة قريبة ودودة من "الإله" مما ساعد على تراخي فكرة الإلهام وإدانت إلى إبطال القلب المؤمن عندما أقرت طقوساً للتقرب من الإله. وكذلك أقررت نفس الأثر عندما قالت بأن جملة: "الزور (الزور) الشديدة البؤى بالجلوس (استأمل) في نفسهم جلسة الإله كما أقرت بأن صفات الانوهمية موجودة في جميع البشر. وإن المرء يستطيع أن يكون ربانياً بمجرد قراءة الترائيل. وأن كل من يموت يصيح إلهاً وعلى الجانب الآخر. ففي الإسلام لم يكن هناك تاريخ لقد أو رفض للإله. ولم تكن هناك طقوس شكلية للتقرب من الله وهناك أيضاً توازن شديد بين الرهبانية والبرجانية في العلاقة بين العبد وربه. فعدنا من يتجه العبد إلى ربه يظل محافظاً على علاقة تسودها الرهبانية من الله والثقة في رحيمه.

ويعترف المؤلف أنه بينما يصعب علاقة العبد بربه في الإسلام على أنها علاقة سوية مقارنة بالمسيحية واليهودية فإن هذا لا يعني أن المسلم يكره في وصف أو تقييم لهذه العلاقة. بل ولا يجد داعياً على الإطلاق للتفكير في تقييم هذه العلاقة. فأنسلم لا يعكر سوى في تلبية الله وطاعته وهذا هو كل ما يشغله.

**حماة الإيمان لدى معتققي المين الإسلامى**

ويتطرق المؤلف هنا إلى نقطة هامة وهي أن الإنسان يحتاج إلى صبر ومثابرة وشغف بالإيمان وقوة تحمل للمحافظة على هذه الحالة من الصفاء والنفاء التي تحدث عند هيمما سبق. ولكنه يشرع إلى آخر دانه من الصعب على اليابانيين فهم صلب المؤمن اليابانية بسهولة ويعود المؤلف هذا مرة أخرى إلى النقطة التي بدأ منها. وهي صعوبة بدء التحدث مع اليابانيين عن الإسلام بنظرية التوحيد. وهذا يرجع - ويحتمس - إليه إلى أنها إحدى ظفريات الانوهمية في علم الديانات ومن الصعب على عامة الناس استيعابها. ولكن هناك سبباً آخر يسرد المؤلف ويعتبره الأكثر أهمية ويتشغل في كيفية تعريف الإله في نظرية التوحيد. حيث لكي تتضح معالم الصورة كاملة

يجب مراعاة وجود الشعور والحماة الإيمان لدى المسلمين. حيث يشبه المؤلف هذه الحماة مجرى من متدفقاً لحجم بركانيه. ويرى أن هذه الحماة الدينية هي بمثابة قشرة دافعة تجرى في قلوب المسلمين حصصاً قلقة مشررك وهو أمر لا يحتاج للجدال أو النقاش. وقد يكون هذا الشعور الدينى هو السبب في وجود حاجة طبيعية بالنسبة لهم للظفر إلى البحث والجدل في التوحيد. أما بالنسبة لليابانيين. فإن المؤلف يحصل إلى القول بأنهم إذا ما يقوموا بإعادة النظر إلى كيفية هذا وذاك هذا الشعور الدينى الذي يمسك قلوب المسلمين وايضا إذا لم يمسحوا الشعور بهذه القوة اليابانية الدافعة القائمة لدى المسلمين. يصبح عندك نظرة اليابانية قاصرة تعقيد الشورية تجاه فهم الدين الإسلامى. ومن هنا يعتبر المؤلف أن نظرية التوحيد ليست إلا جأشاً واحداً من صورة أشمل

ويتناول المؤلف فريضة الحج. حيث يذكر أنه في كل عام يجتمع أكثر من مليون حاج من جميع بقاع الأرض فيزدنوا للاراس البيضاء ويتكاتفون في صلاتهم وقد وصف هذا المشهد العظيم كثير من الحجاج اليابانيين في سجلات دولتهم. فيصفون فيها تساوى جميع البشر في هذا الموقف العظيم وهو تساوى بدعته صماء القلب ونقاؤه. وعظمة هذا المشهد تعكس تدور به القلوب ويمثل قوة هائلة تعكس طلاقة الإيمان في الإسلام.

ويعود المؤلف للمقارنة بين الإسلام واليهودية فيشير إلى كلمة متدين. في اللغة العربية وهي تستخدم في الحديث عن هؤلاء الدين لا يحدون عن طريق الإيمان. ويقرآن بينها وبين كلمة "ميوكونيو" (الصالحين). يرى المؤلف أن هذا التماثل كانت تستخدم في عصر حكم أسرة. ليندو للإشارة إلى الذين لا يتحرفون عن طريق اليودية. وكان الذين يشتمون لهذا التصنيف في الأميين يتميزون بقوة إرادة شديدة في تعبدهم.

وفي حتام كتابه. يعود المؤلف لتأكيد فاشعته بأن الشغف بالإيمان وقوة الإرادة هما العاملان الأساسيان للذات ركز عليها الإيمان. وهما المجالان اللذان اغتلتما - بحسب رايه - العلوم المدنية التي تدرس الإسلام في اليابان وغيرها من البلدان غير الإسلامية. وهما من مانهج المهم الصحيح للإسلام في اليابان خاصة. ولذا ما تم إغفالهما. يكون قد تحقق لمل النصيب الياباني الذي يقول: صنع إلهاً ولم يضع فيه روحاً. فيدون محاولة شرح هدية المجازين. يرى المؤلف أنه في هذا المدرك المنصية للإسلام في الوصول إلى شيء ويشير المؤلف إلى أن ما يقرب من ستين دولة أصبحت أعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامى. أي ما يقرب بدوره من ثلث دول العالم. كما أن المسلمين يشكلون أكثر من ٢٠٪ من نسبة سكان العالم. ولكن إذا ما أخذنا في الاعتبار الأعداد المتكسر في عدد المسلمين وناقصنا عدد معتققي الديانات الأخرى. يخلص المؤلف إلى أن الإسلام سيصبح في القريب أكبر الديانات في العالم تليه المسيحية (وهو حالياً يمثل ٢٧٪ من سكان العالم). ويمتشر المؤلف أن

مبيع هذه الطاقة الحصاره التي مكنت الإسلام من الانتشار لم يكن الدرابا التي تراكمت بها كليات العلوم الدينية أو الطبيعية أو غيرها من العلوم ولكنها كانت بسبب الإيمان الذي يملأ قلب كل مسلم ولأنه لا يصعب في مجموعته قوة لا مة لاسلامية وهكذا يرى خصوصية منح المؤلف في معالجة موضوعه فاقول المياة البورية لتلك البوة فيه بشكل لا إرادى وتحتج مع خاترة واضح بالشيخ الحدى. والذى ينطلق من أرضية المظللّت والحواص ينطلق من أرضية المجردة. والتشكيك على المعروى والشورى بعيداً عن الحسوس ومن هنا يبرز المؤلف مفاهيم يفتقر بها بعد في بعض أجزاء. الكتاب من الصوفية كما يرى في بعض أجزاء الكتاب نقد للدانية اليهودية والاساليب ممارساتها من جانب أتباعها من اليابانيين وهو أمر ليس بالقوي على كل من يتحول من دين إلى دين آخر بشكل عام. وذلك حيث أنه ما كان ليترك دينه الأصلي في المقام الأول إلا لو كان ليس مجرد مقتنع بالدين الجديد وإنما لديه من الاعتراضات والتحفظات على دينه الأصلي ما يحمله على تركه. وهو غير عادة ما يكون شديد الصعوبة لدى معظم البشر.

وترى في الكتاب تعظيم للداني على الموصى. وهو ما يتفق مع الملاحضتين المقتنيتين. كما أنه يقف في نفس مربع المعركة لاسلامية في التفسير العالبي للثقافة الدينية بشكل عام. إلا وهي غلبة مفهوم المسؤولية الفردية والمسائلة وحاسية لشدة في إطار الإيمان وما يترتب عنها. وفي الكتاب طرح إيجاسي يشعلني صافية أدراك أن الدعوة لا دين. أو حتى أهمية دينية. يجب أن تراعى خصوصية المكان والزمان الذي تتم الدعوة في إطاره وما يتصل بذلك من سياق تاريخي وتطور ثقافي واجتماعي. بل ما قد يربط بذلك من أوضاع اقتصادية وسياسية. بحيث يكون على الدعوة التكيف مع هذا الواقع حتى تحقق نجاحها واستمرارها والتألف مع المعطيات المتوافرة في البيئة المحيطة. ومواءمة ذلك مع ضرورات الاحتفاظ بالبعد الأدنى من القيم الخاصة بهذه العقيدة والتي تحمض لها هويها وتماسك منطوقها. ❁

## المسؤوليات

- ١- [الدورية السويدية لأديان] إصدار من مساحه الشافه بوراة لتعليم اليابانية عام ٢٠١١ صفحة ٣٠ ٣١
- ٢- مقال بعنوان "الإسلام في اليابان. مجلة نيويورك الطعة اليابانية ٢٥ فبراير عام ٢٠١٤ (من صفحة ١١ إلى ٢٢) كتاب [مختص المسلمين في اليابان] لتكديس سوكوراي كيكو. عام ٢٠٠٣ - تشيكوما شوبو للتشر
- ٣- [الياباني في مكة بداره الملك عبد العزيز الرياض عام ١٩٩٩
- ٤- كتاب [يوم الإسلام] دار النهضة القاهرة في ١٩٥٢ صفحة ١٣٨ - ستدرك لكند لعاد.
- ٥- [الوصلة التي يرضي دون عميدة. وكذلك حمى عن مصاصات الممات لا أخرى (غير المسماة)]
- ٥- [الحصارة الإسلامية] جيب هاميلتون كوكوبوا ١٩٧٦ صفحة ١١١



■ الياباني بلد مدعها طموح حكومتها الاستعماري في منتصف القرن الماضي. قتل خلال تلك المصاهرة اليابانية حوالي ثلاثة ملايين ياباني ما بين مدنيين وعسكريين وانتهت بالتدمير الشامل لمدينة هيروشيما وناجازاكي سنة ١٩٤٥. استسلمت اليابان للحكم العسكري الأمريكي الذي استمر حتى سنة ١٩٥٢ وما زالت هناك قاعدة عسكرية أمريكية كبيرة في أوكيناوا. كيف نهضت اليابان بعد هذا الدمار الشامل في فترة وجيزة لتصبح ثالث قوة اقتصادية في العالم؟ إنها الآن ذات قوة اقتصادية في العالم

بدأ الصراع الياباني مع العرب في القرن التاسع عشر كما حدث في مصر. كان الصراع في أساسه صراعاً حضارياً (وهنا لا أقصد صراع الحضارات من وجهة نظر صمويل منتجوتون، بل قصد الصراع بين دولة متقدمة تكنولوجياً وأخرى غير متقدمة أو ليست على نفس المستوى. فمثلاً الصراع بين العرب وإسرائيل هو صراع حضاري في أساسه كما ذكر المستشار محمد سعيد العثماني، دار المعارف سنة ١٩٩٧) استوعبت اليابان حقيقة ذلك الصراع، تعلمت منه وتحلته دون أن تفقد ثقافتها المميزة ومارلا نتشر

كانت مصر في عهد محمد علي أول دولة غير أوروبية تسعى للتحديث. لقد سبقت مصر اليابان في محاولة التحديث بل على نضج قرر. كانت مصر في قلب العالم وذات موقع متميز ومحل إطماع عديدة، بينما كانت اليابان على أطراف العالم ولم تكن في أهمية مصر ولكننا أيضاً لم نستوعب الصراع الحضاري كما استوعبته اليابان. إننا نستوعب فقط قصور الحضارة الغربية دون التعمق في أساسها الحقيقية وهي الديمقراطية. احترام الإنسان، التعليم الجيد اللبني على تسمية القدرة على التفكير بدلاً من التفكير، وأيضاً الفصل بين سياسة الدولة والدين أو بالأحرى سلطة بعض رجال الدين وبمسيرهم المحدود للدين. إننا نتميز بالعرب. نحن متجانسون ونحب به، ولكن في نفس الوقت نكرهه لأنه يذكركنا بصنعنا ونفث أمامه عاجزين رغم ما لدينا من تاريخ غريق ومن قوة صمغ وتواتر وإن كانت مارات كاتمه

في هذا المقال سأستعرض تاريخ اليابان منذ بداية صراعها الحضاري مع العرب، بل ومع أمريكا على الخاص. كانت هناك مرحلتان بارزتان لذلك الصراع،

## هيمنة عولمية واشتباك حضارات

## وممازالت اليابان يابانية؟!



### فكسري أنسدراوس



### كيف تعلمت اليابان من الغرب؟

#### وكيف اختلفت في طريقها للتقدم الحديث

#### عن الغرب؟ لم يكن انفتاح اليابان «سداح مداح وكل

#### شء مباح، كما قال أحمد بهاء الدين -

#### رحمة الله - في وصف الانفتاح المصري



الأولى كانت في منتصف القرن التاسع عشر والتي انتهت بانتهاء نظام الإقطاع الياباني وبداية التحديث. والثانية كانت خلال الحرب العالمية والتي بدأتها اليابان كدولة استعمارية على نطاق القرب، بل ونافسته وتوسعت أكثر من إمكاناتها. مما أدى إلى هزيمتها هزيمة ساحقة خلال الحرب العالمية الثانية.

كيف تعلمت اليابان من الغرب؟ وكيف اختلفت في طريقها للتقدم الحديث عن الغرب؟ لم يكن انفتاح اليابان «سداح مداح وكل شيء مباح، كما قال أحمد بهاء الدين، رحمه الله - في وصف الانفتاح المصري. لقد رفضت اليابان الكثير من نظم أمريكا الاقتصادية. تلك النظم التي تفرضها أمريكا على كل الدول التابعة. ومنطقنا من ضمنها. إن النظام الرأسمالي الياباني يعملياً نموذجاً أفضل من نظيره الغربي. بالإضافة إلى النجاح الاقتصادي فالجانب كانت شديدة الحرص على ثقافتها. ولو لم تكن اليابان قد حافظت على ثقافتها لكادت قد وقعت في هاوية التبعية الحضارية والاقتصادية وسأحدث عن ذلك.

إن اليابان بلد جميل، وأهله لهم طابع متميز في العمال وتذوقه. ولكن مع هذا الإحساس بالجمال والقدرة على تذوقه، فالجانب يبدو لبعض أنه بلد به قدر كبير من العنف، بخشاه جيرانه ولا يشون به كثيراً. هل حقيقة أن اليابان به قدر كبير من العنف؟ سأعرض لبعض تلك الأسباب في هذا المقال.

إن خصوصية اليابان بل خصوصية أي دولة قد لا تجعل خبرتها أو لغاتها صالحة للنقل والاستعارة. ولكن وراء اليابان درساً لو استوعبناه قد يفيدنا في تحديد بعض مفاهيمنا الاقتصادية والثقافية. هناك دول كثيرة تدرس النموذج الياباني وتتعلم منه. إن بعض كتابات الأفغان بها إشارة لليابان بوصفها نموذجاً للنهضة الشرقية. لقد ترجم د. نصر أبو زيد كتاب عن الساموراي وهم فرسان ونبلاء اليابان (أبو زيد، دار سعاد الصباح سنة ١٩٩٢). أشتمل هذا الكتاب على مقدمة طويلة (٥٩ صفحة) وعصية وشيقة، قارن فيها د. أبو زيد بين ثقافتنا وثقافة اليابان وكيم يمكننا أن نستفيد من تجربة اليابان التي حققت تقدماً مع احتفاظها بجمورها الثقافية.

كان النظام السائد في اليابان حتى أواخر القرن السادس عشر نظاماً يحكمه عدد كبير من الإقطاعيين. كان هناك أكثر

رغم اتصالاتها المحدود بكل من الصين وكوريا والهند. فإنها كانت دولة تكاد تكون مغلقة على ذاتها.

في أواخر القرن السادس عشر ابتدأ بعض المبشرين الكاثوليك

من إسبانيا والبرتغال يغزون اليابان كمراهقين للتجار



كانت تدفع الضرائب لم يكن تحديث اليابان بالأمر الهين. فقد كان هناك صراع بين أنصار العزلة الذين رفضوا كل ما هو غربي وأنصار التحديث انصر فيها الآخرون وحققوا تقدم اليابان في فترة وجيزة. اهتمت اليابان بالتعليم وأرسلت البعثات للتجار وأصبحت الخبرة من حوالي ٢٠ دولة حتى لا تقع تحت تأثير أحدها. يعتقد البعض أن اليابانيين اهتموا بدراسة محاولة تحديث مصر خلال عصر محمد علي وعصر اسماعيل، حيث إن مصر سبقت محاولة اليابان اليابانية بمصر قبل دهاها لعزنا عام ١٨٦٢. لم تكن التجربة المصرية معيدة عن فهاض المبشرين اليابانيين لم تشجع اليابان الاستثمار الاجنبي لانه غالبا ما يكون مصحوبا بنفوذ اجنبي وهو ما تجنبه ايضا محمد علي.

بدأت الحكومة السياسية بعض الصناعات والمشاريع العامة، بعضها لم يحالف النجاح ولكن كانت نتيجة هذا القطع العام انه اوجد فئة من الفتيين والاداريين لم تكن موجودة من قبل على نطاق يسمح بتقدم سريع شجع وجود هذه الفئة فيما بعد في القطاع الخاص الذي بدأ ينمو ويتوسع في رعاية الدولة في ويحصد لقواتها وسيطرته حلاف ما يحدث في الغرب بدأت الدولة في اواخر القرن التاسع عشر تعمل بعض الصناعات الثقيلة مثل صناعة الحديد والبواخر وبعض الصناعات الاخرى المهمة والتي كانت اساسا لتقدمه. ترك للنطاق الخاص حرية العمل ولكن في إطار ما تراه الدولة صالحا لخطتها. ولم تنجح أسيرة بعض رجال الأعمال المستعبلين.

كان الاقتصاد الياباني عهد الحظ خلال فترة الحرب العالمية الأولى حين عرفت الحرب اتصال أوروبا وسياح وجهت الاقتصاد الأوربي للحرب. في تلك الفترة زادت صادرات اليابان الصناعية حوالي خمسة أضعاف. بدأت عملية التقدّم تسير وبسرعة وأصبح لليابان جيش قوي ومنضبط ومتأثر بشقافة الساموراي. انصراف الموت لحسن الاقتصاد كثيرا واحتياج اليابان لتأمين الأسواق واستيراد المواد الخام، حيث إنها فيرة في مواردها الطبيعية. وإن كانت غنية في مواردها البشرية. إضافة إلى كفاءة وإقامة واجتهاد الإنسان الياباني.

بدأ النمو الاقتصادي

التطورات السريعة التي لم يستطع الحاكم العسكري الصمود أمامها. أن انهارت دولة التوكوجاوا وأصبحت قوة جديدة تحت تأثير مجموعة صغيرة من المتطرفين من متشقي الساموراي قنارلت عائلة توكوجاوا عن منصب الشوجان وأعادت القوة للإمبراطور ميجي سنة ١٨٦٧ أي بعد ١٤ سنة من دخول البواخر الأمريكية مياه اليابان وبداية الصراع الحضاري مع الغرب. كان إمبراطور اليابان حتى ذلك الوقت مجرد رمز وكانت مهمته رئاسة الاحتفالات الدينية كالشعائر الكبرى. بداية اليابان الرئيسية في الـ٢٠، وهي عبارة عن عيادة طبيعية في صورها المختلفة. وقد اعتزجت سياسة الشنتو بالبودية وكذلك الكونفوشيوسية الوردان إليها من الهند والصين. أهم إلهة الشنتو إله الشمس والتي تعتبرها الأساطير اليابانية الأم الأولى للإمبراطور اليابان منذ القرن السادس قبل الميلاد وحتى الآن. ولذلك فهناك تقديس لشخص الإمبراطور. إن الدين في الصين واليابان وبعض دول جنوب شرق آسيا هو طريقة وفلسفة حياة مع اختلافها ببعض تعاليم المذاهب. الدين في اليابان ليس دينًا متعاليًا، بل دين الحدود والمحرمات والمجالات كما في أديان التوحيد. بل لا توجد كلمة واحدة يمكن ترجمتها إلى كلمة الدين كما نعلمه



كانت ثورة المتطرفين الذين وضعوا الإمبراطور ميجي على رأس الدولة ثورة من داخل النظام وكانت تتحسس طريقتها. ألقى الحكم الجديد بعض الإقطاعيين بالتنازل عن أراضيهم للإمبراطور مع إعطائهم وظائف مهمة حتى لا يعضوا ضد النظام. وشجعو هؤلاء الحكام الجدد أن يمنحوا المواطنين المهمة لوظائف الحكم. تصرف المنظر عن كرامتهم هي المجتمع أصبحت البيروقراطية اليابانية متميزة في الأداء. وألهم ميجي أيا. اكتسبت الحكومة تأييدا شعبيا كبيرا شكلت حكومة على النمط الأوروبية برأسها رئيس وزراء سنة ١٨٨٥. ثم ما دامت سنة ١٨٨٩ يتناهى في عامه مائة ستادى الحرب ولم كان قد اعتر عية من الإمبراطور. لم يبتكرت في الاستنابات سوى قلة قليلة وهي التي

في المبشرين لما سيبدو من متابع ولقلة للنظام. بعد أن استقر الأمر لعائلة توكوجاوا طرد المبشرين وأجانب وعوقف المسيحيون وقتل الكهنوت من رفضوا انكار مسيحيتهم أو التحول عنها كان اليابانيون يرون الغربيين وكأنهم هج. فهاستقامت كانت غريبة وغير آتية طابعهم غير مهذبة. لا يستحقون إلا نازدا. ويستحدمون أياديهم في عملهم وكان اليابانيون على عكس ذلك تماما أصبح وجود الأوروبيين مقصودا على التجارة ومحصولا في جزيرة صميرة سوار ماجازاكي يربطها بالارض جسر عليه حرس.

استأثرت الثورة الصناعية في الغرب قوتى لها صراعا فازدادت قوة تلك الدول وأرادت زراعتها في الثراء على حساب الدول الأخرى. ازدادت المستعمرات والاستعمار الأوروبي لفتح الأسواق واستيراد المواد الخام. كان مصدر الطاقة في ذلك الزمان هو الفحم واستخدام ريت الموت لتشجيع الآلات. استنفدت أمريكا لصحيط المحيط الأطلسي والتحت لصحيط الهادي بعد استيلائها على ولاية كاليفورنيا من المكسيك عام ١٨٤٨. زادت شراهة الاستعمار الأمريكي والذي أصبح ينافس الاستعمار الإنجليزي.

في عام ١٨٥٣ ذهبت أربع باواخر حربية أمريكية بقيادة فيتادو بيرى إلى اليابان وطالبت بفتح اليابان للتجارة. وأهله اليابان أن تتحمل الموافق. كانت البواخر الحربية الأمريكية لا قبل لليابانيين بمواجهتها. كان طلب الأمريكيين هو الصمم لتمويل التمرات وحل التجارة واستخدام الموانئ. كان ذلك بداية الصراع الحضاري مع أمريكا أو الحصارية الغربية عامة. لم يكن أمام اليابانيين سوى الموافقة على مطالب الأمريكيين وأمنت تلك الموافقة لتشمل دولاً أوروبية أخرى والتي عرفت بالتأقية (Edo) سيطر الغرب على موانئ اليابان وحددت الضرائب على الوارد والصادر بالإضافة إلى استخدام القضاء المختلط كما حدث في مستعمرات أخرى كانت السنوات التالية في اليابان مهيمنة بالاضطرارات الاقتصادية والسياسية وشملت المظاهرات العديدة من البلاد كان هناك شعور بالذل وكراهية للأجانب الغربيين. كانت نتيجة تلك

من مائه مقاطعة وكانت الحروب دائمة بين المقاطعات. القوى بينهم الضعيف كانت اليابان معزقة وكان الفلاحون دائمي الثورة لتصلهم تكاليف تلك الحروب. كل إقطاعي كان تحت سيطرته بعض من المحاربين الأشداء يسمى ساموراي (نفس الكلمة مفرد وجمع). كان الساموراي يتمتع فنون الحرب منذ الصغر ولا يتنازل إلا وسيفه بجواره ولا يخرج من بيته إلا وسيفه معه. كانوا على درجة عالية من الشجاعة والجرأة والحزم والتحكم في أجسامهم ومهارتهم. أعطاهم كل ذلك قوة ذاتية كبيرة. كان الساموراي يدين بالولاء التام لربائسه، ولو طلب منه رئيسه. لم لو حتى تركه أنه خذل رئيسه لا تشجر دون أي تردد وكانت لذلك طغوس معينة وتسمى هاراكيري (Harakiri) كانت حياتهم وموتهم بشرط.

في بداية القرن السابع عشر سيطر على اليابان أحد الإقطاعيين يسمى ليو توكوجاوا (Leyau Tokugawa) كان ليو توكوجاوا قد سيطر على اليابان بذاته وبقوته العسكرية. إلا أن معيده ليميتسو (Lemitsu) يعود له الفضل في استقرار اليابان وأصبح الحاكم الفعلي وأن سمي الحاكم العسكري والذي يسمى في اليابانية شوجان (Shogun) اصعب ليميتسو توكوجاوا نال حكام المقاطعات وأصبح نوموهي لا يتمتع بالمقاطعات وإن كانوا أغلب الوقت في العاصمة تحت نظر ومراقبة الشوجان وأعوانه. ضمنت طائفة السامراي واستخدم بعضهم كموظفين في الحكومة واتجه بعض المتطرفين منهم لدراسة الفكر وكاتبه الشعر والاهتمام بالعلم. استمر حكم عائلة توكوجاوا حتى منتصف القرن التاسع عشر

اليابان رغم اتصالاتها المحدود بكل من كوريا والهند. إلا أنها كانت دولة تكاد تكون مغلقة على ذاتها. في أواخر القرن السادس عشر ابتدأ بعض المبشرين الكاثوليك من إسبانيا والبرتغال يغزون اليابان كمراهقين للتجار. وكانوا جوار الإيجيل يحملون معهم البنادق. كان هذه أول مرة يرى اليابانيون البنادق وقد أعجبوا بها. كان هذا أول احتكاك ياباني بالغرب. استبدل بعض الإقطاعيين البنادق بأعتابهم المسحقة وآلياتهم. ولو شكلا. تغلف المبشرين في اليابان وفي القرن السابع عشر تحول حوالي ٣٠٠٠ ياباني للمسيحية الكاثوليكية. لكن ذلك لم يستمر طويلا حيث إن الشوجان لم يشأ

التد المائة وأحد عشر - أبريل ٢٠٠٨



والسينما. أو الرسم والنحت وصناعة  
البحار. في الحدائق الرائعة. في تصميم  
الأرياء. في الفنون اليابانية. أو حتى في  
الطعام الصحي وطريقة تقديمه. إن  
يابان اليوم الناجحة تحظى بكثير من  
الاحترام والتقدير وإن كان مازال عالقا  
بها بعض ذكريات الحرب.

خلال الحرب العالمية الثانية. كان من  
المستحيل أن يستمر الاستعمار الأجنبي  
أو الياباني لمدة طويلة. في ٧ مايو سنة  
١٩٤٥ استسلمت ألمانيا لقوات الحلفاء.  
أما في اليابان في يومى ٩ أغسطس  
من نفس العام ألقى أميركا قنبليتها  
الذرية على هيروشيما وناجازاكي على  
التوالى. حاولت العسكرية اليابانية  
الاستمرار في الحرب إلا أن ذلك أصبح  
مستحيلا. حاول الإمبراطور الاستسلام  
على شرط الاحتفاظ بالسياسيين  
الإمبراطوري. إلا أن الأمريكيين رفضوا  
ذلك وقرروا أن يترك هذا الأمر للحلفاء  
وللتسليم الياباني. في ١٤  
أغسطس أعلنت اليابان الاستسلام غير  
الشرطي. وفي ٢ سبتمبر على متن  
البارجة الأمريكية ميسوري في خليج  
هوكيو وقعت وثيقة الاستسلام غير  
الشرطي.

هناك سؤال ما زال محل نقاش مل  
أسف الكثيرون. في كانت القنابل الذرية  
ضد اليابان ضرورية وخصوصا القنبلة  
الثانية؟ هل كان من الممكن استخدام  
قنبلة ذرية في ألمانيا؟ لقد قرر زوغلر  
وتشرشل عام ١٩٤٤. كانت الحرب على  
وشك الانتهاء. إن تستمر أبحاث القنابل  
الذرية وإن تجرب في اليابان. لم تخلص  
أمريكا عن وجود قنابل ذرية ولم تعلن  
أنها قد تستخدم القنبلة الثانية إن لم  
تستسلم اليابان. لقد أرادت أمريكا أن  
تجرب أسلحة الذمار الضالعة. وما زالت.  
وإن ترسل رسالة قوية لتلاذذ السوفييتي  
في بداية الحرب الباردة بين العسكريين.  
ولكن لماذا تجرب القنابل الذرية في  
اليابان؟ لقد كانت ومارتال العنصرية  
تحكم في الجنس البشرى. لقد وضعت  
أمريكا كثيرا من اليابانيين الأمريكيين  
خلال الحرب في معسكرات لتجنيد عدم  
احيائهم لليابان. ولم يحدث مثل ذلك  
مع الألمان الأمريكيين. هناك جنود  
أمريكية تكراهية ول سوء معاملة  
الصينيين واليابانيين أو من اعتبرهم  
«جنس أضر». عام ١٩٢٢ منعت المحكمة  
الدستورية العليا منح الجنسية  
الأمريكية للجنس الأصغر. وأيضا لم  
يسمح لهم بملكية الأرض أو مشاريعها  
لمدة طويلة. بل ومنع ذوالهم إلى أمريكا.

يوليو القادم. كان هناك أيضا ٣٦٠٠٠  
معتقل إحلزيرو وأمريكي ماتوا في الأمر  
الياباني (حسب المصادر الغربية).  
كان الاستعمار الياباني استعمارا  
عنيفا شأنه شأن أغلب الاستعمارات. قد  
يكون أكثر قليلا ليس إلا. من السلون على  
عنف الاستعمار الياباني. هل الشعب  
الياباني أم الدكتاتورية التي  
سيطرت على أمور اليابان في غياب  
الديمقراطية؟ لقد كان التدريس  
العسكري مادة إجبارية في مناهج  
الدراسة اليابانية وكان مصحوبا بتمويل  
منعوى هائل للحرب. إن الشعوب تقع  
ضحية سياسات ومراوات الحكومات السيئة  
خصوصا في غياب الديمقراطية  
والتعليم المستنير. بعد الهزيمة كان  
هناك حوار واسع حول الهزيمة وأسبابها  
ولكن اليابان لم تتعامل بالقدرة الكافي  
من المسؤولية إزاء ما سببته من بلاء  
للدول التي احتلتها. كانت اليابان من  
ناحية متعملة بمساكلها بعد الحرب  
وكانت حقا مشاكل عويصة فحاولت أن  
تتسأ أو تتناسأ ومراوات الشعب. وس  
ناحية أخرى لو اعترفت اليابان بما  
سببته من بلاء فربما يقاضها الآخرون  
بطلب تعويضات فذلك (هذا) لم يحدث  
إلا في حالة يهود ألمانيا خلال حكم النازي  
حتى بعد مرور أكثر من نصف قرن على  
الحرق). إن الاعتراف بأخطاء الماضي  
أمر قد يشير الألام ويحتاج لشجاعة  
أخلاقية غالبا ما تكون مفقودة لدى  
القادة السياسيين  
إنك الآن لو زرت اليابان أو تعرفت  
على شعبها لجد أي أثر للتعسف. بل  
العكس تماما. كما في غاية الرقي  
والحيدية والبلقة والأمانة في العمل  
والإنتاج والقدرة على تنويع جمال بيئته  
إن دراه في أي مكان. في العالم. سواء  
في الفن المعماري. أو الأدب. أو المسرح

وهي نفس الوقت جرب حططا عسكريه  
جريئة للغاية لفرض سيطرتها التامة  
على أغلب جنوب شرق آسيا. لم تنجح  
المفاوضات مع أمريكا. وفي ٧ ديسمبر  
سنة ١٩٤١ وجهت اليابان ضربة مفاجئة  
وقافلة للأسطول الأمريكي في المحيط  
الهادي في بيرل هاربر في جزر هاواي  
قتل فيها أكثر من ٣٠٠٠ أمريكي. دخلت  
اليابان الحرب في جانب دول المحور. بعد  
شهور قليلة استولت اليابان على  
العلبين والشعب الأمريكيان منها ونقل  
جنرال ماك آرثر القائد الأمريكي مقر  
قيادته إلى أستراليا. استولت اليابان أيضا  
على إندونيسيا. ماليزيا. وسنجاور.  
وانسحبت الدول الأوروبية من أغلب  
مستعمراتها. كان نصرا سريعا ومدهلا  
ولكنه لم يدم طويلا ولم يكن ذلك  
ممكنا.

كان جنوب شرق آسيا مأكمله قبل  
الغزو الياباني تحت التمدد أو الاستعمار  
الغربي. وقد استعفلت اليابان ذلك ورفضت  
شعار «آسيا لآسيويين». ولكنها استبدلت  
بالاستعمار الغربي استعمارا يابانيا كان  
يشعأ أحيانا. بالإضافة إلى السفرة  
والاستخدام نساء الصينيات. خصوصا  
من كوريا. للتزويج الجنسي عن العسكر.  
كان القتل بلا هوادة ولا رحمة حتى إن  
لم يقتض الأمر ذلك. بقدر الصينيون  
إن اليابانيين قتلوا في مدينة نانجينج  
(Nanjing) وحدها في عام ١٩٣٧ حوالي  
٣ ملايين ألف صيني وإن كان تقدير  
اليابانيين للعين فقط. ولكنه كان حمام  
دم بالقياس. حاليا يجمع ٢٠ مؤرخا  
من كل من الصين واليابان لكاتبه تاريخ  
تلك المنة وسوف يصدر تقريرهم في

اليابان يرداه في كوريا والصين. استولت  
اليابان على بعض الجزر القريبة ثم على  
فوموزو (تايوان) سنة ١٨٩٥ انصم  
اليابان لتأدي المستعمرين الغربيين  
سنة ١٩١١ باحتلال كوريا وقد تم ذلك سنة ١٩١٠.  
أما الفلبين فكانت من نصيب  
الأمريكيين حين اصطدمت مصالح  
اليابان وروسيا في منشوريا دمرت اليابان  
الأسطول الروسي في بورن ارثر سنة  
١٩٠٤. ثم احتلت اليابان منشوريا. كانت  
اليابان حليفة مع الغرب ضد ألمانيا في  
الأسطول الروسي وقد كوفت على ذلك في  
مؤتمر فرساي بمنحه مستعمرات ألمانيا  
في جنوب شرق آسيا.

بدأ التمدد الياباني يزداد في كل من  
كوريا والصين ما بين ١٩٢٠ - ١٩٣٠ قرر  
القادة اليابانيون التوسع في السياسة  
الاستعمارية تحت حجة دواعي الأمن  
وحمية المصالح. ونحو الديمقراطية  
جانبا حتى في نظامها الصديق. استوردت  
اليابان العمالة من كوريا فيما يشبه  
السفرة ومارتال لليوم بقايا جاليات  
كورية في اليابان. ازدادت شراهة اليابان  
وقامت بغزو الصين سنة ١٩٣٧ واحتلت  
أجزاء كبيرة منها ومن مصنفها بكيين  
العاصمة السياسية وتشانهاي العاصمة  
الاقتصادية. وكذلك شمال الصين حيث  
مناجم الفحم والحديد. كانت الصين في  
ذلك الوقت مخوض حرمأ أهلية يس  
الشعب بقيادة ماوتسي تونغ وحكومة  
كومنتانج (Kuomintang) بقيادة شاي  
كاي شيك

باحتلال الصين استادت اليابان  
تقلص التمدد الأمريكي والغربي في  
جنوب شرق آسيا. كانت الدول الأوروبية  
متعملة بما يحدث في أوروبا خلال  
الحرب العالمية الثانية وخاصة الطعام  
الألمانية والإيطالية المنافسة إنجلترا  
وفرندا. قررت الحكومة الأمريكية أن  
تعرض حصارا دوليا لمنع وصول البترول  
لصياان. وقررت أيضا مد الصين  
بالأسلحة لمواجهة اليابانيين بدون  
البترول لي تستطيع اليابان الاحتفاظ  
بوقتها العسكرية أو الاقتصادية. لم يكن  
لدى اليابان لرفع الحصار إلا أن  
تنسحب من الصين كما طلب  
الأمريكيون أن أن تهاجم المستعمرات  
العربية في جنوب شرق آسيا للحصول  
على البترول وعلى أمل أن تجرى  
مفاوضات من مركز قوي. سارت اليابان  
في الطريقين معا. جزئي من الصين.  
محدثات لانحجاب اجرت من الصين.

## كان اليابانيون يرون الغربيين وكأنهم

هجم. فملايسهم كانت غريبة وغير أنيقة.

طبايعهم غير مهذبة. لا يستحسون إلا نادرا.

ويستخدمون أياديهم في طعامهم.

اليابانيون على عكس ذلك تماما





لصناعات تعتمد على التكنولوجيا الحديثة. بعض الشركات التي لم تستطع الحصول على قروض من الحكومة حصلت عليها من بنوك أجنبية ولم تعترض الحكومات. كانت رأسمالية تقودها الدولة التي شغل الشعب باجمعه ولا يقودها رجال المال والصناعة كما يحدث في أمريكا. كان حجم الاقتصاد الياباني في سنة ١٩٨٠، أما الآن فحجم الاقتصاد الياباني بعد ثلثي اقتصاد في العالم بعد الاقتصاد الأمريكي. استمر الاقتصاد الياباني في التقدم وأصبحت اليابان رائدة في صناعات عديدة أهمها صناعة السيارات والإلكترونيات التي غزت العالم أجمع.

ما زالت هناك مشاكل بين اليابان وأمريكا فيما يتعلق بالقاعدة الأمريكية في أوكيناوا والتي احتلتها بها أمريكا منذ احتلال اليابان سنة ١٩٤٥ وحتى الآن. اشترك الصكرويون الأمريكيون في أوكيناوا في ٢٠١٤ حادثاً أو جريمة من ضمنها حوادث اغتصاب. الأمر الذي يسبب لكثير من اليابانيين وبداهم بالاحتلال (مرجع رقم ٤). أمريكا لها ٨٦ قاعدة وتسهيلات عسكرية في أنحاء عديدة في العالم (مرجع رقم ٤ ص ١٣٧ والمصدر من وزارة الدفاع الأمريكية). يدعون هذا للتساول هل ستفرح أمريكا من العراق دون أن تترك وراءها قواعد عسكرية كبيرة لحماية مصالحها الاستعمارية؟

كان النجاح الاقتصادي الياباني على مستوى شعب وليس فقط تتمتع بعض فاهش. مصدر تساؤل الكثيرين. يعني فقط عن سبب التقدم، بل أيضا عن اختلاف النظام الياباني الرأسمالي عن نظيره العربي وخصوصاً الأمريكي؟ قد يكون أحد أسباب هذا الخلاف هو الاختلاف الثقافي والديني.

إن المسيحية الغربية في أغلبها بروتستانتية ابتدأت في القرن السادس عشر وتحض على العمل الجاد والإخلاص والأمانة وقد ساعد ذلك ومهد للثورة الصناعية في القرن الثامن عشر. أنتجت الثورة الصناعية جيلاً من الأغنياء لم ير العالم له مثيلاً من قبل أحد تعاليم المسيحية يقول: «إن دخول غنى إلى

الأحرار. الحزب الشيوعي. الحزب الاشتراكي الديمقراطي. الحزب الأخضر. وأحزاب أخرى صغيرة وغالباً ما يحكم اليابان ائتلاف وراري. انته امریکا احتلالها لليابان عام ١٩٥٢ مع بقاء قاعدة كبيرة في أوكيناوا. بعد حوالي ٢٠ سنة فقط. أصبحت اليابان ثالث قوة اقتصادية في العالم بعد أمريكا وروسيا وأصبح حجم اقتصادها أكبر من الاقتصادات كل من إنجلترا. فرنسا وألمانيا. لم يكن معدل النمو الاقتصادي في مثيل من قبل. والذي دعا مجلة الإيكونوميست أن تصفه بالحرحة. كيف حدث ذلك وكيف اختلفت رأسمالية اليابان عن رأسمالية الغرب؟ كانت جذور التقدم الصناعي في اليابان هي الصناعات الثقيلة وصناعة الكيماويات والتي دمرتها الحرب ولكن بقيت الخبرة الفنية. نالت اليابان بعضاً من القروض وخصوصاً من أمريكا وكان الاقتصاد الياباني سعيد الحظ بحرب كوريا التي بدأت خلال سنة ١٩٥٠ وحتى سنة ١٩٥٤. دخلت أمريكا الحرب في صف حكومة الجنوب. أصبحت الحرب للولايات المتحدة كبيرة للصناعة اليابانية ولتقوية القوات الأمريكية. ابتدأت الحياة تدب من جديد في الاقتصاد الياباني الذي ابتدأ يتحسناً. كثيراً. لقد كالت الفجأة الاقتصادية. أصبحت اليابان حليفاً اقتصادياً وفنياً وأمريكا في حروبها حيث إن كانت على دراية جيدة بكوريا.

كان للحكومة اليابانية دور مهم في توجيه الصناعة دون إلزام أو فرض بل تفهم قادة الصناعة والمال موقف الحكومة وساندوها. لقد وفرت الدولة حمايتها للصناعات المحلية من المنافسة الخارجية. الدولة توفر العملة الصعبة والإعانات الضريبية والقروض ذات الفائدة البسيطة طويلة المدى

دستوراً ليبرالياً أوروبياً يكفل الحقوق المدنية والسياسية وحرية الإعلام ويفصل ما بين الدين والدولة. الحقيقة أن الدين في اليابان عبارة عن مجموعة من القواعد للسلوك الأخلاقي: المدارس اليابانية يمنع فيها تدريس الديانات وتنص المادة العشرون من الدستور أنه ينبغي أن تحصل أي هيئة دينية على دولة علمانية متدنية ومتعددة الأديان، المواليد الجدد يحتفل بهم في معابد الشنتو. بينما الوفاة والذكرى السنوية تتم في المعابد البوذية. هناك الآن حوالي ٤٠٠ دين مسجل رسمياً في وزارة التعليم وإن كان أغلبها مشتقاً من ديانة الشنتو ومن البوذية.

هناك صامتان آخران مهمان في دستور اليابان بالإضافة للعاملين، الأول هو زوال سلطة الإمبراطور مع بقاءه كرمز. والثاني (المادة التاسعة في الدستور) أن تظل اليابان منزوعة السلاح. وإن كان ذلك قد عدل ليصبح بإنشاء قوات أمن للدفاع فقط. بعد استقلال اليابان عام ١٩٥١ ضمنت الأمم المتحدة حدود اليابان في معاهدة السلام في سان فرانسيسكو. لقد حاولت أمريكا فيما بعد أن تحت اليابان لإنشاء جيش قوى لسانتها في حرب كوريا والآن في حرب العراق إلا أن المعارضة اليابانية كانت ولا تزال رافضة. تساهم اليابان ببعض قواتها المسلحة ليس في الحرب ولكن في نطاق الخدمات. اليابان بعد متصد الأحزاب وإن كان أهمها الحزب الليبرالي الديمقراطي. الحزب الديمقراطي، حزب

لقد أثار كل ذلك عصب قادة اليابان في ذلك الوقت. بعد الحرب العالمية الثانية تغيرت تلك الأوضاع. اعتدت أمريكا على ذلك التصرف العنصري خلال حكومة كليسون. بعد حوالي نصف قرن من الزمان. لم تدمر أمريكا الإدارة اليابانية وإن كانت قد حاصمت جرمسي الحرب والمنسولين منها في محكمة دولية شكلت في أكتوبر ١٩٤٥. اشترك في تلك المحكمة محامياً وياًحاً من الحلفاء ٢٣٢ من اليابان. حوكم فقط ٢٥ من ضمنهم رئيس الوزراء توجو هايدكي. استقرت تلك المحاكمات ٨١٨ جلسة خلال مدة تقرب من الخمس سنوات. صدر الحكم بالإعدام على سبعة أشخاص فقط وسجن ١٨ آخرون لمدة مختلفة ووجهت لهم جميعاً تهمة بارتكاب جرائم ضد السلام. (قارن بين تلك المحاكمات ومهزلة محاكمة صدام حسين). لم يساهم الإمبراطور هيروهيتو رغم أنه كان شريكاً في اتخاذ القرارات المهمة. قرر الجنرال مكاوشي المحافظة عليه حرصاً على الكيان الياباني. وإن كان قد قرر خلال مناقشات الدستور أن تكون للإمبراطور قوة اتخاذ القرارات. بل أن يصبح مجرد رمز.

حتى قبل نهاية الحرب العالمية كانت الحرب الباردة بين روسيا والغرب قد بدأت. كان لليابان مواقع استراتيجيية تقريبا في روسيا وكذلك الصين. التي كانت في طريقها للشيوعية. لذلك كانت الإدارة الأمريكية العسكرية جادة في مساعدة وحديث اليابان. وكان لدى قوات الاحتلال خبراء متخصصون في الاقتصاد والقانون والإصلاح السياسي والدستور والحقوق المدنية والتعليم وشؤون العمال. كان بعض هؤلاء من اساتذة الجامعات المحققين في شؤون اليابان. هكذا كانت الحكومة العسكرية الأمريكية مؤهلة للنجاح في مهمتها وفي أن تصبح اليابان حليفة في الحرب الباردة. لقد أدار جنرال مكاوشي الحكومة العسكرية بكفاءة يشهد بها اليابانيون أنفسهم (مرة أخرى هارن بين ذلك وما حدث في العراق). كان لدى الأمريكيين خبراء واكاديميون في شؤون العراق. ولكن يبدو أن الحكومة الأمريكية كانت إما في منتهى الجهل لتأسست على خبراتهم. أو أن الشية كانت مهيئة لتدمير العراق (!). كان من أهم الإصلاحات الدستور الجديد، والذي كان في الواقع صياغة أمريكية عليها غشاء ياباني، حتى إن البعض أطلق عليه دستور مكاوشي. كان

الدين في اليابان ليس ديناً  
شعائرياً أو دين الحدود والحرمان  
والمحلات كما في أديان التوحيد. بل لا توجد  
كلمة واحدة يمكن ترجمتها  
إلى كلمة الدين كما نفهمه



رما كان لفشل النظام الاشتراكي في دول شرق أوروبا أن توحشت الرأسمالية العربية، وخصوصاً وأصبح لها متكاثر كثيرة وتحتاج لإعادة تقييم. إن الإنتاجية الأمريكية تصفد بينما يزداد غنى فئة تسيطر على المال والسياسة تواجهها في عالم سريع التغير وخصوصاً على ضوء المنافسة الآتية من دول جنوب شرق آسيا وخصوصاً من الصين والهند. من الواضح أن رروح التكوين الحضاري، الجذور الأخلاقية، الارتباط بشركة الانتماء.. كلها عوامل ساهمت في تفوق النموذج الياباني على الغربي (أو على الأقل منافسته له).

هل سيؤثر النظام الياباني على النظام الغربي أم أن النظام الغربي سوف يغدو النظام الياباني؟ لا اعتقد أن الأخير سوف يحدث حتى وإن كانت الشركات اليابانية مرتبطة بالسوق العالمية ولديها صلة بل حديثاً أصبح رئيس شركة سوني اليابانية يرحط إلى الحنبية وهو هاوارد سترنج. والسؤال الذي يهمني هو أي نظام رأسمالي يسود منطقاً الغربية اعتقد أن نظامنا أقرب بكثير للنظام الأمريكي ١١

## المراجع

- (1) Modern History of Japan from A Tokugawa Times to the Present, Andrew Nathan, Oxford University Press, ٢٠٠٠
- (2) The Allied Occupation of Japan, Tamekazu Eiji Continuum, New York - London, 2003
- (3) Embracing Defeat, John W. Dower, W.W. Norton & Company, The New Press, 1999
- (4) Nemesis. The last days of the American Republic, Chalmers Johnson, Metropolitan Books, Henry Holt and Company, New York 2006
- (5) The New York Review of Books, volume LIV, November 19, 2007
- (6) CEO Compensation and Firm Performance in Japan, Takao Kato and Katsuyuki Kupo, Journal of Japanese and International Economics Elsevier 2006
- (7) The Evolution of Income Concentration in Japan, 1885-2002, Chiaki Moriguchi and Emmanuel, Review of Economics and Statistics, Harvard University Press, 2007.
- (8) Who Rules America? Power, Politics, and Social Changes, G. William Domhoff, McGraw-Hill, 2005

وفي شركة (جنرال موتورز) وجميعها شركات متنافسة. من وجهة النظر اليابانية إنسان مثل أياكوا لا يجب أن يوفق به.

أما من حيث دخل رؤساء الشركات بالنسبة لدخل العاملين فهذا الفرق شاسع في أمريكا أما في اليابان فثالثك الفرق متواضعة. شركة وول مارت (Wal-Mart) الأمريكية يحصل رئيسها على ٩٠ ضعف متوسط ما يحصل عليه العاملون بشركته. عائلة وول مارت تقدر إيرادته بحوالي ٩٠ مليون دولار أو ما يحصل عليه ٩٠٪ من فقراء الأمريكيين. أي حوالي ١٢٠ مليون أمريكي (مرجع رقم ٥٠٠). متوسط دخل رؤساء ٥٠٠ شركة أمريكية حوالي ١٠ ملايين دولار سنوياً (Business Week ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٦). بينما متوسط دخل رؤساء ٥٩٩ شركة يابانية حوالي ٢٠٠٠ دولار. (مرجع رقم ٦). أغنى ١٪ من اليابانيين يحصلون على ٦٠٪ من الدخل الياباني (مرجع رقم ٧). بينما يحصل أغنى ١٪ من الأمريكيين على حوالي ٢٥٪ من الدخل الأمريكي (مرجع رقم ٨). ولذا نلحظ أن إلى بعض الدول الغربية نجد أن ما يحصل عليه رؤساء الشركات الأمريكية هو تقريباً ضعف ما يحصل عليه الكنديون. ثلاثة أضعاف ما يحصل عليه البريطانيون. وأربعة أضعاف ما يحصل عليه الألمان. في عام ١٩٧٠ كان متوسط نصيب رؤساء الشركات الأمريكية بالنسبة لمتوسط نصيب العاملين بالشركة هو ٢٥ ضعف. في عام ١٩٨٠ أصبح ٤٢ ضعفاً. لقد قل هذا الرقم الآن إلى ٣٧ ضعفاً. هذا بينما متوسط الدخل الحقيقي للمواطن الأمريكي كان يتناقص في الثلاثين سنة الماضية.

## رأسمالية اليابان هي رأسمالية متأخرة بالكونفوشيوسية المنسوبة إلى كونفوشيوس الذي عاش في الصين في القرن الخامس قبل الميلاد (وهو نفس وقت ظهور بوذا في الهند وسقراط في اليونان)

٢- الطاعة البتية على الحب والنية. حيث إن الكونفوشيوسية تعتمد على الصمود المستمرة التي تعمل لصالح الجماعة. إن الرأسمالية اليابانية هي مهدية تقودها الدولة لصالح الشعب. بل قد يقال البعض فيقول: إن اليابان هي دولة العائلة. هذا يختلف بشدة عن النظام الأمريكي الذي يتحكم فيه رجال المال والصناعة

إن الإنسان الياباني يعمل في جهة عمل واحدة منذ بداية حياته العملية وحتى يتقاعد. له ولاء لجهة عمله وجهة العمل ولأولئك العاملين وأنداً ما يغير العامل جهة عمله. من النادر أن يفصل أي عامل إلا في ظروف غير مألوفة مثل السرقة أو الإهمال وهذا مآثر الحدوث في اليابان بالإضافة إلى أن العمالة مصنوعة ولدى الحياة فإن علاقة العمال بالإدارة علاقة قوية ومتفاهمة ولا تتأثر كثيراً بتذبذب أسعار البورصة. فالعاملون بالشركة لهم وزن مهم في قرارات الشركة أهم رأس المال الحقيقي للشركة. النموذج الياباني يؤدي إلى الاستقرار والحرص وكفاءة الإنتاج. أما في أمريكا فلا يوجد إبقاء بين العامل وجهة العمل ولا يوجد أمان لأي وظيفة. رئيس الشركة قد يفصل مئات بل آلاف من العاملين، بينما يظل هو مكافآت هائلة. هذا نموذج لا يؤدي إلى الاستقرار والإنتاج. في أمريكا أيضاً من المفضل أن يغيب الموظف الأمريكي مكان عمله عدة مرات حتى يتقدم في مهنته ويزيد دخله. فمثلاً أياكوا الرئيس السابق لشركة السيارات (كرايزلر) عمل أيضاً في شركة (فورد)

الجنة أصعب من دخول جمل من نفس الأسرة. كيف ألفت بعض المذاهب المسيحية أن يكون الإنسان متديناً وتقياً وهي نفس التي تنتعج براءة قد يكون فاحشاً؟ ماكس فيبر (Max Weber) أصدر سنة ١٩٠٤ كتاباً عن الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية. يتحدث هذا الكتاب عن مذهب منتسب من البروتستانتية يسمى الكالفينية (Calvinism) نسبة إلى كالفن الذي ظهر في القرن السادس عشر. انتشر هذا المذهب في بعض بلاد أوروبا ومنها لأمريكا. أحد تفسيرات هذا المذهب يدعي أن مصير الإنسان محدد منذ القدم. هذا المبدأ له جذور في أوروبا المسيحية في القرون الوسطى. بهذا المذهب يكون مصير الإنسان للخالص محدد. حتى قبل أن يولد. وإذا كان الأمر كذلك فلا يوجد لنافس بين الثراء (المناحش) وخالص الإنسان أو تحول الجنة. بل يعتقد البعض أن توفيق الإنسان وحتى النجاح المادي يدل على رضا من عند الله. يعتقد البعض أن هذا المذهب والنزعة الصناعية بالإضافة لجشع الإنسان قد هيأ الظروف لثراء في الغرب وخصوصاً في أمريكا من ثراء يصعب تصديقه مع وجود الفقر جنباً إلى جنب. وهي نفس الوقت قد يصفي على هؤلاء الأغنياء ربح وتقسوي المسيحية التي تتناقض في أساسها مع الأغنياء

أما رأسمالية اليابان هي رأسمالية متأخرة بالكونفوشيوسية المنسوبة إلى كونفوشيوس الذي عاش في الصين في القرن الخامس قبل الميلاد (وهو نفس وقت ظهور بوذا في الهند وسقراط في اليونان). انتقلت الكونفوشيوسية من الصين لكوريا وبيتنام ثم لليابان في القرن السادس إن الكونفوشيوسية هي دراسة لعلاقة الإنسان بالجمتمع تعتمد على الصلابة والعدل والشهامة أو كما عرفها واضعها الأول هي حب الإنسان. هذا الحب موجود في الإنسان بكثرة بالتعليم الرشيد الذي يبدأ في المنزل من الممكن أن تنسى هذه التفاصيل الإنسان الذي يعيش بالضعف لا يعيش على حساب أو إبداء الآخرين لقد تطورت الكونفوشيوسية وأصبحت علماً يدرس وامتزجت ببعض تعاليم بوذا الصامية. قد تأثر النظام الاقتصادي في اليابان ببعض تعاليم الكونفوشيوسية وأهمها.

١ الإنسان الذي يعيش بالضعف لا يعيش على حساب الآخرين أو إبدائهم.



# احتضار الفكر العربي



❏ قال لي مستعرب فرنسي محب للعرب ومطلع اطلاقاً جيداً على ثقافتهم، ومشهور بدفاعه عنهم في منابر تولده الأكاديمية والإعلامية، إن العرب عاثيون غيباً تاماً عن حركة الفكر العالمي، غير مؤثرين فيها، أو مضيين إليها، أو حتى مطلعين عليها الاطلاع الكافي

وأضاف ساخراً أو شبه ساخراً: إذا كنتم تملنون أن ترجمة روايات نجيب محفوظ وسواه من الروائيين العرب إلى بعض اللغات الأجنبية أو ترجمة اشعار لأدونيس ومحمود درويش قد ضمن لأديبكم العالمية، فأنتم مخطئون.. فالعالم لا تضمن يمثل هذه الترجمات، وإنما بمساهمات جديدة تدخل في صلب الثقافة العالمية، وتتحول مع الوقت إلى إضاءات حقيقية

وقدم هذا المستعرب أمثلة عديدة على صحة ما يقول. قال لناخذ الماركسية في القرن العشرين وقد كانت لها جلبية واسعة منذكم لدرجة أن الشيوعيين استولوا على السلطة في بلد عربي، وكادوا يستولون على السلطة في سواه من بلادكم، فهل إذا أطلع المرء على تاريخ الفكر الماركسي في القرن العشرين يلحظ فكرة ماركسية ذات شأن تفكر ماركسي عربي؟ لقد صدر ما لا يحصى من الكتب والنشرات الماركسية في بلادكم على مدى أكثر من خمسين أو ستين عاماً، فهل تلقى كتاب ماركسي عربي واحد أضاف شيئاً إلى الماركسية العالمية؟ وقيل كل شيء.. هل يهتم المرء على ترجمة واحدة دقيقة، للبيان الشيوعي، نفسه؟ وهل تداول مثقف واحد في العالم كتاباً أو نظرية ذكر أنها لفكر ماركسي عربي؟

وانتقل هذا المستعرب بعد ذلك إلى أنماط أخرى من الفكر ليؤكد، لا على انعدام الأثر العربي في الفكر العالمي، بل على ضحالة ما قدمه المفكرون العرب في كتبهم التي كتبوها بالعربية، قال: إن المتلصمة العرب الذين حاولوا تقديم فلسفات خاصة بهم، مثل عبد الرحمن بدوي في كتابه: «الزمان الوجودي»، وعثمان أمين في كتابه: «الجوانية»، ومحمد عزيز الحبابي فيها كتبته عن «الغدية» أو عن «الشخصانية»، وتوفيق الحكيم في «التعاليق»، لم يقدموا سوى محاولات يائسة لم تصمد واحدة منها مع الزمن، ولم يتجاوز التداول بها سوق المكتبات العربية التقليدية، كما أن هذه المحاولات العربية للتفلسف كانت في الواقع عالة على الفكر العالمي ومستندة إليه، أو مأخوذة منه أحياناً كثيرة أخذاً حرفياً أو شبه حرفي، فالزمان الوجودي،

معد عبد الرحمن بدوي، هو الزمان الوجودي للفيلسوف الألماني هايدغر، مصاطفة إليه، أرستية وجودية، أخرى لملاسة أوروبيين.. وللتدليل على عدم أصالة بدوي الفلسفية أنه ترك بعدما أنجز كتابه هذا (الذي كان عبارة عن أطروحته لنيل الدكتوراه من جامعة فزاد الأول) كل تصنيف لينصرف إلى الأبحاث والدراسات، وما هكذا يكون الفلاسفة عادة، أما محاولات زملائه الآخرين، سواء في «العربية» أو «الشخصانية»، و«الجوانية»، و«التعاليق»، فما هي سوى أشقات غير مؤتمرات لا يشار إليها الآن إلا في دراسة أكاديمية في هذا البلد المصري أو ذاك، ولم تتسرب أبداً إلى السوق الثقافية العامة.

وتساءل هذا المستعرب عما بقي من الوجودية العربية، التي كان الدكتور سبيل إدريس صاحب «الأداب»، وكيلها في بيروت، وفلان وكيلها في القاهرة، وما الذي يمكن ذكره في دراسة وصيفة عن خصائص الوجودية العربية، هذا إذا صح أن هناك وجودية عربية.

فالواقع أنه لم تكن هناك وجودية عربية، وإنما كان هناك النهار بصحة ثقافية، أو نهضة ثقافية في مارس وصلتنا بعض اصداؤها فشاركنا فيها متعلمين لا تملك سوى إعجاب ساذج يسر، أيها أكثر مما يحسن، بل يسر، ولا يحسن أبداً، فالكتب الوجودية التي ترجمتها وأصدرتها، دار الآداب، وسواها من دور النشر العربية قد طواها الزمن ولا يذكرها أحد اليوم.

وأخذ هذا المستعرب يتحدث بعد ذلك عن النظريات اليسارية والاشتراكية السائدة في الساحة الثقافية العربية منذ أكثر من ربع قرن، وعن إبداعات أو إضافات الباحثين العرب إليها، قال: إن نقاداً وباحثين كثيرين في العالم تبنوا هذه النظريات وأصافوا إليها، فهل بينهم ناقد أو باحث عربي واحد؟ لقد اندفع نقادكم للتعامل مع «صندوق» النقد الدولي، ومقره باريس هذه المرة، فهل أودعوا في هذا الصندوق إضافة عربية واحدة، أم كانوا على الدوام في المدين؟ وتحررت فقلت لهذا المستعرب ولكنك تنسى ما أضافه إيهاب حسن المصري الأصل، وإدوارد سعيد المصاطفي الأصل، فهذان الناقدان أو الباحثان لهما - على ما نسمع - إضافات حليمة في هذا الصمار، وهما كما تعرف عربيان!

وبسرعة البرق أجبني هذا المستعرب: أبة صلة لإيهاب حسن أو إدوارد سعيد بتفاهتكهم؟ إذا كان إدوارد سعيد يتحدث العربية



## هل هناك كتاب ماركسي عربي أضاف شيئاً إلى الماركسية؟ وهل هناك ترجمة دقيقة للبيان الشيوعي؟ وهل تداول مثقف في العالم نظرية ذكر أنها ماركسي عربي؟



الدارجة. فلم يكن يعرف العربية إلا معرفة بسيطة. ولكنه على التأكيد ابن الثقافة العربية، ابن جامعة هاروارد، وابن جامعة كاليفورنيا سيبويوك. وابن الحضارة العربية أولاً وأخيراً وهذا ما يمكن قوله عن إيهاب حسن المصري الأصل، ولكن الأكاديمي الأمريكي المدين للثقافة الغربية في كل شيء. إن إيهاب حسن أمريكي كأي أمريكي آخر. وإدوارد سعيد مثله. ونولا لحظة تاريخية معينة فيها اكتشف إدوارد سعيد أصوله الفلسطينية، واستجاب لنداء فلسطين الكاس في أعماقه، لربما كان مثل زميله الروسي الأصل نسوم تشومسكي الذي همما اعترض على سياسات أمريكا في الخارج، إلا أنه يبقى الأب الثاني للحضارة الأمريكية.

وقد عاش هذا المستعرب ليحول إن أحداً لا يحتج على طلب رواد نهضة العلم في الخارج، ولكن أين وثائق نهضتكم، وأين قصصها الكبرى. وأين إشباع حصاركم في العالم؟ هل يمكن لكتب طه حسين - على سبيل المثال - إذا ترجمت إلى الأجنبية، أن تلقى اهتماماً يذكر بها في العالم؟ وحتى كتابه «الأيام» الذي يمكن مع الكثير من النصوص اختياره سيرته الذاتية، هل يمكن أن يقرأه قارئ غربي من الدقة إلى الدقة، أم أنه سيكف عن قراءته بعد ضلوعه في مصححين، نظراً للتكلف الأسلوبي للكتاب ولكونه ليس سيرة ذاتية بالمعنى المعروف للكلمة؟ وما الذي مني من نظريات العقاد في العبقريات، وغير العبقريات؟ طبعاً أنا استثنى، والكلام للمستعرب الفرنسي. أدب توفيق الحكيم في مصر ما كتب مثل «عودة الروح»، وعصفور في الشرق، ووزارة العدم، وسجن العصر. فلماذا نكتبهم ويأثمهم وإبداعهم، ونقلهم إلى الأجنبية لا ينقص قيمته، فهو نموذج لتعاقل الشرق والغرب، ونموذج لصدق العاطفة والشاعر الإنسانيانية الإنسانية. ولكن أي أثر لتوفيق الحكيم اليوم في حركة الفكر العالي؟

ولا أتر للعرض في العلوم والتكنولوجيا العالمية المعاصرة. وأحمد زويل ونويل كيميكا مسالة ينطبق عليها ما نطبق على إيهاب حسن وإدوارد سعيد، هلولا المعامل والمختبر ومراكز الأبحاث الأمريكية لما كان أحد مع باحث زويل. ولما كان أحد زويل.

في الأعم الأغلب. سوى مدرس كيمياء في كلية العلوم بجامعة عين شمس، أو جامعة الأزهر. وحتى الشعر - قال هذا المستعرب - لم تقدموا منه للعالم النماذج الشعرية العربية السوية الخالدة، بل أعتمد إليه - أي إلى هذا العالم - البضاعة التي أخدموها منه. فبدلاً من أن تقدموا إلى أشعار العرب العريقة والخدمية بأفات حية خالدة قابلة لأن تليثت نظير المثقفين في العالم. وتؤثر فيهم، الاحتم على قصيدة النثر، وعلى أشعار وصفتوها بالحدثائية، ولا حداثة فيها. لقد ظنتم أن الحدث تسلم بالثورية، أو بالتعميم، وتقدم الشعرية العربية التقليدية، في حين أن الحدث ليست مجرد شكل، أو أنها تسلم بالشكل وعدم وفي خضم ما لا يقل عن نصف قرن من نضال عاشر في سبيل إرساء شعر عربي يتصف بالحدثائية، فقد الشعر العربي أنفع وأريجه كواحد من اعظم تراثات الشعر في العالم. وفي خضم كل ذلك، فقد الشعر العربي أجزء خاصة من خصله، وهو أن يتضمن معنى، في تعريضكم القديمة الشهيرة للشعر، أو الشعر هو الكلام الذي يدل على معنى، وهذا التعريف مزال صالحاً إلى اليوم، وسيظل صالحاً على النوايا. عشوائية ولا فوضى لا تحسده في الشعر. وإذا مع الفوضى في الشعر، وهو صحيح طبعاً. فلا يصح الإيهام المطلق.

على أن ما لم يقله هذا المستعرب، يمكن سماعه هنا أو هناك، من نخب عربية مثقفة تراعب حركة الفكر العربي المعاصر، ولا تجد في سوق النشر العربي أية أدلة على ولادة جديدة لفكر، أو على أن هذا الفكر يتمتع بالصحة والعافية.

فقد ذكر لي أحد كبار الناشئين اللبنانيين أن نخبة من أبناء بيروت قد التفت في مكتبة، وتداولوا أمر ما يصدر من كتب جديدة في العواصم العربية. قال هذا الناشر إن البحث دار حول سؤال مركزي يتصل بأهم ما صدر من كتب في العالم العربي خلال الأشهر الأخيرة. أي بتلك الكتب التي إذا قرأها الخلف شعر بأنه قد قفيراً فاقته، أو بأنه كان حائراً فزالت حيرته، وتشير مجرى عقله أو فكره. وعندما ساد الصمت في المجلس، بدأ الحديث عن بعض الكتب الأجنبية التي ترجمت مؤخراً إلى العربية، والتي لا علاقة لها بالإبداع العربي من قريب أو بعيد، فهي كتب أجنبية لا كتب عربية. ويتبين

لم تكن هناك وجودية عربية، وإنما كان هناك انبهار بضجة أو بهيصة ثقافية في باريس وصلتنا بعض أسدانها فشاركنا فيها متعطلين

بالطبع تشجيع النقل إلى العربية. ولكن هل لدينا نقل سليم، أو ترجمات دقيقة إلى العربية؟ وما هو عدد الكتب التي تنقل إلى العربية تمتلك الأمانة التي تتطلبها عملية الترجمة؟

قد يقول قائل: إن كفاءة الكاتب العربي يمكن أن تلتصم اليوم أكثر مما في السرد والقص، أي في القصص والرواية. أنجز العرب في هذا الفن ما تعدر عليهم إنجاز في ميادين أخرى. ولكن ما يؤخذ على هذا القول أنه لم يمتحن عملياً بما فيه الكفاية. أي بقيمة ما صدر من روايات وقصص على ضوء دراسات جادة، موضوعية فعلاً، ومحسنة ضد الفساد، فأية قيمة لدراسة حول



القرن العشرين على اكتشاف رواد ومؤيرون كبار درس أكثرهم في الغرب، ثم عادوا إلى بلدانهم ليقيموا، في التلقيح والتفاعل المطلوبة. وكان قسم كبير من هؤلاء الرواد والمؤيرون أعضاء في بعثات علمية كانت ترسلهم الجامعات أو وزارات المعارف أو الحكومات العربية للدراسة في باريس أو لندن أو مدريد أو روما أو سواها. بعدها كانوا يلتحقون بالجامعات العربية أو بمنابر الأدب والفكر والثقافة، ويمارسون تأثيرهم في الأجيال اللاحقة. من هؤلاء كان طه حسين ومحمد مندور وعبد القادر المشط ولويس عوض وعشرات من قبل هؤلاء المحسنين الخالدين، ولكن هذا الجسر بيننا وبين العالم الخارجي انقطع تقريباً. ومن بعدهم، ومن يعود، لا يتمتع، لسبب ما، بالكفاءة التي كانت تتمتع بها الأجيال السابقة، بل إن من هؤلاء من يعودون إلى يملك اللغة الأجنبية على النحو المطلوب. وعندما يستقر في جامعاته الوطنية، يكتشف هو، أو يكتشف من يتابع مسيرته الأكاديمية، أنه لا يستطيع الإبحار أيضاً في لغته الوطنية وفي تراثها الماضي والحاضر. شيء ما من عدم العناية والرصانة والماتة يحوم في أفق جامعاتنا كما في أفق منابرنا الثقافية وشيء ما في انعدام البوصلة يجعل التواصل بيننا وبين العالم الخارجي صعباً، بل متعذراً مع الوقت.

## لم يكن ادوارد سعيد يعرف العربية إلا معرفة بسيطة وكان بالتأكيد ابن الثقافة الغربية

جورج طرابايشي، نقاد الجابري ومشروعه معتبراً أنه ذل الباحث إلى أضعف درجاته عندما أجرى مسحاً شاملاً لفكره القديم مصدراً حوله الكثير من «الفتاوى» التي لم تصمد مع الوقت.

ولم يكن الطبيب تيزني أفضل حالاً من الجابري، فقد بدأ ولديه مشروع طموح لدراسة المادى الفكرى العربى على صوة المنهج المادى التاريخى الذى جلبه معه من ألمانيا الشرقية، زمن الشيوعية، حيث درس، ثم تراجع تيزني لاحقاً عن الخطوط العامة لمشروعه هذا موجهاً إليه، قبل أن يوجه إليه الآخرون، ملاحظات قاتلة

وعلى الرغم من سلامة بوصلته محمد جابر الأنصارى، كمفكر حديث ومستنير، فإن بعض نظرياته الأساسية، بنظر الكثيرين، تعوزها المتانة والتماسك.

وقد يكون فى مصع الذى قاله الدكتور هشام جعيط ظلم بحق هؤلاء الأساتذة الأعلام، وقد لا يكون، المهم أن يتوفر نقد، لا يحابى ولا يجامل، يراجع نتائجهم مراجعة علمية نزيهة، ذلك أن أكثر ما جنى على مجمل النتاج الفكرى العربى المعاصر والحديث هو مناخ «التصنيف الجاهل»، أو «العداء المسبق أو المطلق»، وقد أن الأوان للخروج من «أخلاقيات الغربية، إلى عالم المدينة والحاضرة الحديثة.

لقد سمعت قبل سنوات قليلة بولادة دار نشر عربية تسمى بالباحث والدراسات، وحرصت على الاطلاع على الأبحاث الاجتماعية والتاريخية التى أصدرتها هذه الدار وأنتى وضعت أساتذة جامعيين متخصصون، ولكننى فى كل مرة كنت أقرأ بحثاً من أبحاثها، كنت أصاب بالهستيريا، فإلى هؤلاء كانهم يتحولون أو ينتحلون، فى أجيالهم لا ينجبون إسمال المناهج، ولا يجهلون لغتهم العربية وتبين بجله أن معرفتهم بالعربية أهين بقاءاً لا يقاس من معرفتهم باللغة الأجنبية، وكثيراً ما كنت أحمى الله على أن هؤلاء الباحثين قد تركتوا من إنجاز أبحاثهم أو كتبهم، نظراً لقلة محصولهم من البحث والتأليف وعندما يكون الباحثون الأكاديميون الجدد على هذه الصورة فىنبى ذلك أن النهضة الفكرية والأدبية الراهجة، علينا أن نبحث عنها فى مصر طه حسين وميلاس محمود العقاد وأحمد أمين لا فى مصرنا الراعى والى المستقبل. ■

من ديريداو.. وبالتالى فهم لا يمتلكون فكرة أصيلاً حقيقياً، وإذا صبح أن كثيراً من هؤلاء له صدق فى العالم العربى، فذلك ليس لأنهم يستحقون هذا الصدى، بل لأن العالم العربى منحط إلى درجة أن هؤلاء صدى، طبعماً ناستثناء شخص واحد هو عبد الله العروى.

لا يوجد فكر فى بلدان متخلفة اقتصادياً، وفى ظل أوضاع سياسية كالتى يدكرها هشام جعيط، وفى اعتقادنا أنه لا يوجد فكر فى ظل سيادة فكر خرافى يتسرح الماضى، وينسج عليه، ولا يجزؤ على نقد، وقد علمتنا تجارب النهضة عند الشعوب المتقدمة أن نقد الماضى، بكل صوره وأشكاله، مقدمة لا بد منها لتحقيق نهضة جديدة مرجوة، وكيف يتم نقد الماضى، لا بسبب شرعية الدولة وأجهزتها القمعية الأخرى وحسب، بل أيضاً بسبب واقع

لعدة البحت، مثقفاً ثقافة عميقة، منهجاً بالمصادر والمراجع والمناهج، ولكن الاطلاع على ما يكتبه هذا الباحث فى أكثر الأحيان كميل بأن يفننا بأن أبحاث هذا الباحث، بالنسبة إلى الأبحاث الجادة، لا تختلف عن قصائد الشعر بالنسبة لقلم الشعر العربى.

ذكر هشام جعيط أن الوضع العام فى الدولة العربية وفى المجتمع العربى لا يشجع إطلاقاً على المعرفة والبحث والتفكير، وقال جعيط: «وأذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فأقول إنه لا وجود لنفط عربى باستثناء قلة قليلة جداً، كما لا وجود لمفكرين، وذلك لأن هم هؤلاء هو ادعاء التفكير فيما هو



سياسى، وليس بصفة نظرية، بل بشكل أنى يتخذ موقفاً دفاعياً. وهذا ليس فكراً، فلا يمكن أن يوجد فكر فى بلدان متخلفة اقتصادياً، وفى ظل أوضاع سياسية كالقومية والعربية، أو أمور أخرى تندرج ضمن ما هو ايدولوجى دون أن تؤسس لفكر، ومن ناحية أخرى، لا تسمى غريب الحريات، فكيف يمكن أن يتبع فكر معين فى مجتمعات تسيطر الحكومات فيها على وسائل الإعلام بغزوة شديدة؟

وعندما سئل هشام جعيط عما إذا كانت رؤيته السوداء هذه تنسحب على تجارب معروفة كتجارب الطبيب تيزنيى وعبد الله العروى ومحمد جابر الأنصارى ومحمد عابد الجابري، كان أكثر صراحة عندما أجاب: «أولاً هذه التجارب قليلة جداً بالنسبة إلى عالم عربى يتمنى إليه ٢٨٠ مليون نسمة. أغلب هذه التجارب ليست أصيلة لأنها تأخذ من الأوروبية منهاجهم، فواحد ينهل من فوكو، والآخر

ويسجل كل يوم من الفتوح، وهى كل مجال من مجالات العلم والمكر والحق، ما لم يعلم به إنس أو جن.

الماضى بطبعاً ولا يمكن الاستثناء منه أبداً، ولكن المشكلة فى تحويله إلى معتقل، منتقل فيه الفسنا، ولا يتمكن من الخروج من أسره فيما بعد.

إن جولة يمكن أن تقوم بها على أى معرض من معارض الكتب العربية السنوية، كغالبية بأن تميز لدينا فكرة المعتقل هذه، إن ما لا يقل عن سبعين سالمة من الكتب المروضة تشتمل بطريقة من الطرق بالثرثرة، أو بالمناضى، وهى كتب لا تحسن عرض هذا الماضى، ولا تنقذه، ولا تقدم إليه فائدة ما، وكثيراً ما حملت الجوانب السلبية فى هذا الماضى لا الجوانب الإيجابية، وكثيراً ما صال العقل الخرافى وجمال فى هذه الكتب، وأفتقد العقل المعلم، فليس ابن رشد، أو ابن خلدون، على سبيل المثال، هو من تعود إليه فى ماضينا، وإنما أبناء الآخرون للرجعية والتخلف والخرافة.

وكان الوضع برمته كان بحاجة إلى أن يعلى وفاة المريض أكثر مما كان بحاجة إلى أن يقدم أدلة إضافية على أنه لم يمارق هذه الدنيا بعد، فسيان فارق المريض الذى هو فى حالة نزاع، أو فى حالة صراع مع الموت، هذه الدنيا، أو لم يمارقها بعد، فلا ينبغي أن يعقد أمل كبير على الشفاء، وقد شخص الدرس الإسلامى أحسن تشخيص حالة المريض فى مرض الموت عندما قال إن هذا المرض ينتهيه ختماً بموت مصادبه، وأنه لا يجوز أن يكثر الجدل حول حالة المريض هذا، بقدر ما ينبغي أن ينصب البحت على التشخيص الدقيق وتوزيع الشركة.

ولكن المشكلة لتشأ عندما يتصور بعضنا أن الورم هو خيم لا مؤثر على مرض، فيتعامل بالتالى مع هذا الورم على أنه دمل بسيط وعافىة، فإذا انتقلنا من التعميم إلى التشخيص، ومن النظرى إلى العملى، قلنا إن ما ذكره الفكر المتوسس هشام جعيط مرة فى إحدى الدوريات العربية حول وضع الفكر العربى المعاصر، لم يضاجئ الكثيرين، ذلك أنه على أطار ما ينشر من دراسات وأبحاث أكاديمية، يعتبر هذا الجانب أحد أضعف جوانب الحركة الثقافية العربية المعاصرة، فى حين أن كان ينبغي أن يكون من أكثرها نجاحاً وحيوية لا لشبه إلا لأنه يفتقر فى الباحث الأكاديمى أن يكون مستمكلاً

# رجاء وأدونييس

حلمى محمد القاود

رساله عن مندو، فقد شغلت الصحافة شاماً عن العمل فيها، وأظن أنه لا كتابته في الصحف والمجلات، ما ظهر له كتاب، حيث جاء معظمها تجميعاً لمفالاته التي كانت تعرضها طبيعة الإصدار الصحفى، وارتباطه بأوقات محددة.

كان رجااء مشغولاً بالأدب منذ سابعه، فتفرع على الحياة الأدبية، ووعى تياراتها ونشاطاتها، ولعل أبرز نشاطاته بعد أن عمل في «روز اليوسف» عام ١٩٥٩، كان تحريره لركن الأدب أو أخبار الأدب الذي كان يظهر أسبوعياً في جريدة «الأخبار»، عقب أن تولى عنه النيس منصور، وكان يشارك بتناول الكتب في بعض المجلات الأخرى، ثم كان عمله رئيساً لتحرير «الهلال» في الفترة من ١٩٦٩ إلى ١٩٧١، فرصة فادرة لشاب مثله في الثلاثينيات، كي يقود هذه المجلة الرقيقة ويستوعب على صفحاتها إنتاج معظم الأدياء والتيارات الأدبية الموجودة في الساحة، ويثير من القضايا الثقافية ما يشد القراء والأدياء إلى المتابعة والمشاركة، وقد كرر تجربة «الهلال»، في مجلة «الإداعة» والتشبيرويون، حيث تحولت من مجلة تعنى بأخبار الفن وأهله بالدرجة الأولى إلى مجلة ثقافية عامة تستقطب الأدياء والفكرين في مصر وخارجها، وتقدم ما يمكن وصفه بالثقافة الثقيلة.

لقد كان الأدب والفكر الجاد، هاجسه في كل موقع حل به صحفياً أو أدبياً، فقد أسس جريدة «الراية»، أواخر السبعينيات في قطر، وجعل الأدب والثقافة جزءاً أساسياً من مادتها، وتصرع بعد «الراية»، لتحويل مجلة «الدوحة» إلى الأدب والثقافة واستكتاب كبار الكتاب في العالم العربى، فحققت وجوداً ملموساً في الشارع الثقافى، إن صبح التعبير، وظلت «الدوحة» تشد الوجدان العربى، حتى توقفت مع مجلة «الأمة»، وكانتا تصدران عن حكومة قطر، في عام ١٩٨٦، وعاد بعدها رجااء النقاش إلى مصر ليتولى مناصب مهمة في تحرير صحف دار الهلال، حتى صار كاتباً متفرغاً في جريدته «الأهرام»، يطالع القراء بمقال أسبوعى يتناول قضية أدبية أو عامة، وظل يكتب في «الأهرام» حتى رحيله. وكانت ميزة «رجاء» النقاش، أنه قرأ الثقافة التمرائية إلى جانب الثقافة الوافدة، وتأثر بأعلام العصر في مصر والعالم العربى، وتابع الحركة الأدبية في أركان البلاد العربية الأربعة، وعرف كثيراً

وباتى سياق القضية في إطار وعى «رجاء» النقاش، بالقضايا العامة، منذ شبابه الباكر، وارتباطه بأستاذ الناقد الراحل «محمد مندور» (١٩٠٨-١٩٦٥)، فقد تأثر به إلى حد أن سجل عنه رسالة ماجستير في قسم اللغة العربية بكلية الآداب، جامعة القاهرة، وقد أطلعت على السجل بنفسى حين ذهبت إلى هناك كي أسجل رسالتى للماجستير في دار العلوم، وأحصل من أداى القاهرة على شهادة تفيد بأن أحد فيها لم يسجل موضوعى من قبل.

المشاركة أن «رجاء» النقاش، لم يكمل

ويدا أن كثيراً من القراء وخاصة من الأجيال الجديدة، لا يعلمون شيئاً عن هذه الخصومة، وهى على كل حال، ليست خصوصية شخصية تخص الرجلين أو واحداً منهما، ولكنها خصوصية في سياق عام وقومى، يتعلق بالأمة كلها، وقد استثمر «رجاء» ما اشير في مجلة «الرسالة»، الإصدار الثانى - عام ١٩٦٤، وراح بحسه الصحفى والفكرى يناقش قضية «الشعبوية»، فى صراعها مع العروبة، وكان من آثارها المسألة أنفذ، كانوا يستثمرون ما حدث للأمة بعدد من مناصب والام مازالت قائمة حتى اليوم

■ عقب رحيل «رجاء» النقاش (١٩٧٤)، استعاد بعض الكتاب خسر الخصومة الفكرية بينه وبين الشاعر المصري المعروف «أدونيس» (واسمه الأصيل على أحمد سعيد أسير)، وذلك للكشف عن ذيل «رجاء» وتسامحه حين كان مديراً لمجلة «المصور» وكلف «أحمد أبوكف» لإجراء حوار مع «أدونيس»، وحين تردد الأخير في الموافقة على إجراء الحوار، خشية أن يكون طلب الحوار بدافع من المحرر، قد يحججه رجااء عن النشر، أقسم أبوكف لأدونيس أن «رجاء» هو الذى وجهه لإجراء الحوار.

بجسده حيا به يمدون لشمس وجهه قدس به يستقوى شى  
فمنه من أن يذلة نذر ١٩٦٩، ١٩٦٩، ١٩٦٩



# جدلية العروبة و الشعوبية

للمصوغات التي يسترها بحب القراءة دور أن يقع في شرك الإثارة أو المبالغة. ولهذا كان تعامله مع موضوع «دونيس» حافلاً بالهنية. والدعاة، خاصة أنه تناول الأمر في حينه بصحيفة «أخبار اليوم» عام ١٩٦٤، ونشر مقالته مجموعة ضمن كتاب له بعنوان «أدب وعروبة وحرية». صدر يوم تاريخ في العام التالي تقريباً وقد طرح موضوع «دونيس» وخبر، على صفحات مجلة «الرسالة»، تحت عنوان «شعراء الرقص»، ولم يكن المقتضود رفض النظام السياسي أو الاقتصادي أو احتلال فلسطين وجنوب اليمن مثلاً،

من إنتاج أدبي. من خلال حس قومي عال. موال للعروبة ومعطياتها. على العكس من بعض أقرانه، الذين شططت بهم انتماءاتهم، وخاصة اليسار المتطرف، إلى افاق بعيدة وغريبة.. أما ولاد للعروبة، فقد كان حاضراً لمواجهة «دونيس»، والصدى لضمون شعره دون أن ينكر موقعه الفنية ويعود بعد ربع قرن تقريباً، ليحدد الواجهة، ويستدعي المآخذ التي يأخذها على «دونيس»، وهكذا واتجاهه.

كان الحس المني (الصحمي) لدى رجاء النقاش، عالياً، وكان تقديره

منهما «موسم الهجرة إلى الشمال»، وسمى الأسوانية، وفي الوقت ذاته كنت أعده كتابي عن شعراء الأرض المحتلة، الذي قرأت به في جائزة «يوم الأرض» التي نظمه المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية (المجلس الأعلى للثقافة الآن) عام ١٩٧٤. وكنت قد نشرت بعض فصوله في مجلة «البيان الكويتية وأنا مجتد».

وفي كل الأحوال، فإن ما جعل «رجاء النقاش» أكثر حضوراً في المواقع الأدبية الدائمة، وإطلاعه المستمر على ما يظهر

من الكتاب الرواد وكتاب جيله، ومن جاء بعدهم، وكانت لديه قابلية التعرف على الآخرين، وإقامة العلاقات الإنسانية مع المخالفين فكرياً وثقافياً، والتعبير عن وجهة نظره في أسلوب راق، بعيد عن الترخيص والابتدال والأسائة.. ولعل معركته مع «العقائد الجبار» على صفحات الأخبار، مع شدتها وضراوتها، كانت نموذجاً لذلك، فلم يسع أو يهبط، ولكنه وهو الشاب المتيقن بأستاذ محمد مندور، المختلف مع العقاد سلفاً، كان حريصاً على الاعتراف بقيمة العقاد وتاريخه المعري، وخرج من المعركة، وخرج معه الناس، بفوائد ملموسة، لعلها شجعتهم فيما بعد على إصدار كتابه عن العقاد بين اليمين واليسار.

ثمّة ميزة مهمة لدى «رجاء النقاش»، وهي وضوح أفكاره، وبساطة أسلوبه التي اكتسبها من العمل الصحفي. وقد كان ذلك مسوغاً في تقبيل القراء ما يريد قوله حول الأصنام الأدبية والفكرية، التي يتناولها، بعيداً عن التفرع والركاكة والضعف والغموض، مما نطالعه لدى عديد من النقاد، الذين يفترض فيهم أن يصيخوا المصوص، ويحكموا عليها فإذا بهم يفتقونها ويمتمون عليها مع أنهم كانوا يسعون لتفريطها والإشادة بها.

ثم نتج إلى الفرصة لتعامل مع «رجاء النقاش»، فقد قابلته مرة واحدة، لعلها في أوائل السبعينيات بعرفة، فكرى بأباطة، المستطيلة القصى الطيقة، الثانية من «دار الهلال»، وسمو الحظ كان مكتبته يومها في هذه الغرفة التاريخية مكتظاً بأصنافه وأصحابه، ووجدتني وأنا الضحيح، استأذن لفرصة أخرى لم تأت أبداً، ولكن الرجل كان يتابع ما أكتب على تواضع، ويهيم به بصورة ما..

ومن المصيب أنني كنت أتناول بعض ما يتناوله دون أن أدري به، وخاصة في مرحلة التجنيد الإيجابي التي طالبت بالنسبة إلى عقب الهرزمة في عام ١٩٦٧ حتى الانتصار في حرب رمضان، حيث ودعت الجيش في مايو ١٩٧٤، باستثناء فترات احتياط قصيرة. في مرحلة التجنيد، هذه، كتبت في مجلة «سنايل» التي أصدرها عقيل مخلو، سكرتير عام محافظة كفر الشيخ، وكان يرأس تحريرها «محمد غفني مطر، الشاعر المعروف، عن «الطبيب صالح» وعبد الوهاب الأسواني،

وتناولت الرواية الأولى لكل



رجاء

## من اللافت أن رجاء لم يميت، إلا بعد مشاهدة كيانات انضالية يمولها الغرب علناً!

وقد اختار سعادة لأدونيس اسم الأسطورة التي تقول إنه شجرة علافة أثمرت من اللك القديم، جياش، وابنته ميرها، وقد تحولت ميرها، عقاباً لها على خطيئتها إلى شجرة، خرج من جوفها «أدونيس»، رمزاً للحياة الجديدة الخالية من الألم والرنيلة..

ويرى «رجاء النقاش» أن هذه الأفكار هي نفسها التي يقوم عليها أدب القوميين السوريين الذين يتركزون في لبنان، ويحاولون أن يجعلوا من الأدب خادماً لـ «الهيئة السياسية» التي يمارسونها ضد العرب والوطن العربي.. وأدبهم في جوهره يقوم على التحنن إلى العرب والمقدود والجنة الضائعة «فينيقيا» وهو أدب ملىء بالدموع، والتشاؤم والحزن، والتضيق، لأنهم يعيشون في «الأرض الخراب»!

ويجتهد «رجاء» في دحض فكرة القوميين السوريين، على أساس أن العرب حبيبة امتزاج حضاري عميق التقت فيه حضارات قديمة كانت موجودة في المنطقة. ثم ذابت والصحراء ليتكون منها ما يسمى بالحضارة العربية، وأنشأ هذا الانصهار الذي جرى للفينيقيين والفرعانية والبابليين والأشوريين والعرب القدماء إلى خلق شعب عربي واحد، تحكمه صفات أساسية مشتركة. ولو اتجهت الشعوب المقيمة إلى وضعها منذ ألفي سنة، لما أصبح هناك شعب واحد من شعوب العالم المعاصر مستحقاً للبقاء إلى اليوم.



ولكن القوميين السوريين يمحون الحضارة الفينيقية التي انبثقت من سورية، ثم يرفضون الاعتراف بالحضارة العربية وقيمة الحضارة العربية. والتاريخ يقول: إن العرب الأمويين الذين خرجوا من سورية منذ آلاف السنين الذين أقاموا في شمال أفريقيا وإسبانيا حضارة تفوق حضارة الفينيقيين الروحية والمادية، (يقصد الحضارة الإسلامية).

ويقف «رجاء النقاش» من الأساطير القديمة موقفاً مسامحاً شريطة ألا تستخدم لدعم أفكار متطرفة تقف في عروته الفكرية العربية، وأي عربي محصل لجهته لا يجد ما يجرحه، في استخدام الأساطير «الفرعونية» مثل إيزيس وأوزيريس، فذلك حق للعرب قبل أن يكون

مندفع، يملك قدر كبيراً من الذكاء والكرامية المتأصلة للقومية العربية والوحدة العربية، ذلك هو أنطون سعادة.. كانت أهداف «أنطون سعادة» تتركز في ثلاث نقاط، تعمل حركته على تحقيقها، وهي:

١ - خلق «الفردوس المفقود» الذي يحبه ويعشقه القوميون - السوريون. ويعملون على إعادته وتحقيقه في الواقع وهو سورية الكبرى، التي عندها امتدادا للحضارة الفينيقية التي طهرت في سورية. ثم في شمال أفريقيا قبل الميلاد بثلاثمائة سنة تقريباً. وسورية الكبرى فردوس المفقود.

٢ - خلق رمز تاريخي للحركة يتمثل في القائد الفينيقى السورى القديم هانيبال، الذي ولد في شمال أفريقيا ومات في سورية، بعد أن دخل في حروب طويلة مع الرومان في الفترة بين ٢٦٤ و ٢٠٢ ق.م. وقد وصلت جيوشه إلى أبواب روما، واستولت على كل شمال إيطاليا..

٣ - وإن كانت الحركة انتهت بسحق هانيبال، وهزيمته.

٤ - إحياء أساطير قديمة تساعد الحركة وترمز إليها وتدل على لونها وشخصيتها الخاصة. وقد بحث أساطير بابلية وآشورية، ودعا إلى استخدامها في الأدب القومى القديم، وفي مقدمتها: شون وعشتار، وأدومين، وكل منها يرمز إلى جانب في الحياة. وكان سعادة يهدف من وراء هذه الأساطير إلى تقديم أدب خاص يميز القوميين السوريين.

في نظر «سعادة»، تعنى إعادة مجد الفينيقيين وحضارتهم، وبعث العظمة الفينيقية والسيادة الفينيقية على البحر المتوسط. إذ سورية الكبرى أو «فينيقيا الجديدة» هي الفردوس المفقود، وهي الحلم الصالح، وهي الأمل بالنسبة للقوميين السوريين.

٢ - خلق رمز تاريخي للحركة يتمثل في القائد الفينيقى السورى القديم هانيبال، الذي ولد في شمال أفريقيا ومات في سورية، بعد أن دخل في حروب طويلة مع الرومان في الفترة بين ٢٦٤ و ٢٠٢ ق.م. وقد وصلت جيوشه إلى أبواب روما، واستولت على كل شمال إيطاليا.. وإن كانت الحركة انتهت بسحق هانيبال، وهزيمته.

٣ - إحياء أساطير قديمة تساعد الحركة وترمز إليها وتدل على لونها وشخصيتها الخاصة. وقد بحث أساطير بابلية وآشورية، ودعا إلى استخدامها في الأدب القومى القديم، وفي مقدمتها: شون وعشتار، وأدومين، وكل منها يرمز إلى جانب في الحياة. وكان سعادة يهدف من وراء هذه الأساطير إلى تقديم أدب خاص يميز القوميين السوريين.

بخلف الوالى، رجل يسقط شقين مقطوعاً بالصرار، رجل يمضى بساقين خيطين.. رجل يرسم وجهه بظلال ناقتة، رجل يعرف أمه في ولاء الملك، رجل يرقد مع زوجته تحت عباءة الأمير هي حبيب التسرى والوصف.. (الرمز) يصحو منارتنا، والشمس تهترئ في تجاعيد أيدينا. أه يا بلادي يا جلد الحراء.. هوذا سيدك يا خادمة، هاتى له قهوة عدن، هينى سريره.. وأين أنت يا بعد.. يا رسول الطوفان..

لقد احتفظ «مهيبار الدلمى» بنار الجوسية الفارسية في صدره وكراميته للعرب، ورفع «مهيبار الدمشقي» راية

بخلف الوالى، رجل يسقط شقين مقطوعاً بالصرار، رجل يمضى بساقين خيطين.. رجل يرسم وجهه بظلال ناقتة، رجل يعرف أمه في ولاء الملك، رجل يرقد مع زوجته تحت عباءة الأمير هي حبيب التسرى والوصف.. (الرمز) يصحو منارتنا، والشمس تهترئ في تجاعيد أيدينا. أه يا بلادي يا جلد الحراء.. هوذا سيدك يا خادمة، هاتى له قهوة عدن، هينى سريره.. وأين أنت يا بعد.. يا رسول الطوفان..

رفعه لكل ما هو عربي، وكل ما هو حتمى وضورى في حياتنا المعاصرة، كما يقول عبده بدوي، ومن خلال «النار المضربة» من أول عهد الخوارج والتي أكلت قلب مهيبار القديم ومهيبار الجديد.. تسير العربية دون أن تقتصر من كل منهما، بل إنها تتسم في وجهيهما الحاقدين، ولا تصاد حتى تمتد - لجمعهما بالنار المشبوهة، فالتاريخ الأدبى هو الكفيل بالحساب، وظاهر الدوايح، وإسقاط الأقمعة.

وعالج «رجاء النقاش» المسألة بالاقتراب من التاريخ أكثر من الشعر، فيستعيد تاريخ القوميين السوريين لم النقاش أن حركة القوميين السوريين لم للتعبير عن طائفته. يشير «النقاش» إلى أن الاستعجال لعب على وتر الألقيا والظواف، ليشين حرواً ضارية يسميها «حرب إبادة أدبية وفكرية ضد الأدب العربي والعكر العربي..» ولذا يرى النقاش أن حركة القوميين السوريين لم تكن سياسية فقط، بل كانت منذ البداية حركة واسعة تهدف إلى السيطرة على العرب بأوسع صيغة ممكنة. وقد قدر لهذه الحركة أن تبدأ على يد زعيم

ولكنه كان رهصاً للعربية. وكل ما قرمز إليه، واستدعا الفكر شموى قديم، يقوم على التمايز العنصري والحضارى، وقد وظف «أدونيس» بصورة خاصة، شعره للتعبير عن رؤيته الشمووية، والرواية بالمكره العربية والانتماء العربي.. تنبه إلى المسألة كتاب «الرسالة» أُلخّذ، في الأعداد التي ظهرت في صيف ١٩٦٦ وما بعده، وكان الشاعر «عبده بدوي» أول من لاحظ اهتمام «أدونيس» بالشاعر القديم «مهيبار الدلمى»، وهو من أصل فارسي، وغيرهم، لذا سمى «أدونيس» نفسه أو ديوانه باسم «مهيبار الدمشقي»، ليكون قاعاً أو لسانه الذى ينطلق من تعبيرا عما في نفسه، وعما يأمله، ومنه التذكر التى أشعراً حيث ينهال على وطنه:

تزينى بالرمال والذئاب  
يا امرأة الريح الدمشقية  
كلنا هي بلادي تملئ، كلنا نسمع  
الأحذية

يا امرأة الآلام واللصون  
يا أخت قاصيون  
يا وطننا مصغراً مكسور  
يسير مشلول الحظلي قبرى  
هرويت مدينتنا  
والرهض لؤلؤة مكسرة  
ترسو بقاياها على سفنى  
والرفض خطاب يمشى على  
وجهي.. يلغمنى ويشغنى  
والرهض أبداً تشئتني  
فارضى دسى وأرى وهى دسى  
.. إنهم أسلموا أحدهم للصحور..

ويصدق «عبده بدوي» ما يكتبه «أدونيس» استنجاذاً يبعث الشراء الشمووية من أمثال «ابن نواس» و«بشار» و«رشاد» للأيام الحاضرة (الاستنجات والوحدة العربية)، حيث يراها تعنى بغيريات النعى، وبالتاريخ العربي المصمى بمسك العنوس والآرام والعدالت من الحج، ويرى سورية صارت امرأة محجومة وجسراً للملحقات بعبده (الفرسنة) وتضيق لهم شخوذ الرمل (يقصد العرب المتحمسين للوحدة)، ويقول، «حيث يريد الفرانعة يأكل الناس بعضهم بعضاً وتنهى الكلمة، وحيث يبدأ الفرانعة أحمل كتبى وأمضى.. أترك والى أصدقائى قسمايان الحيد والسنجوح وأترك بلادي لأولئك الرواقيين المجانين، ودأباً يا عصر الدهاب في بلادي، ثم يكتب رسالة البيع للعربية قافلاً.. «لعل أعمى كتبنا رساله البيع».. رجل يبتكر



## رجاء يقرب بأن خلافه مع أدونيس لا يمنعه من القول بأنه شاعر موهوب

حقاً لعبرهم و لسالبين والاشوريين عاشوا في العراق. والعراق جزء من صميم الوطن العربي اليوم (٩). والصراعة عاشوا في مصر، ومصر من صميم الوطن العربي اليوم ويستخدم القوميون السوريون المصطلحات المقصودة التي تهدف إلى خلق فكرة مغرية يمكن لصفراء النعوس وصغار العقول أن يلتصقوا حولها بحماسة وقوة لتخريج عناصر حاربي المكرة العنصرية من داخل الوطن العربي، ولتبعث الأقليات العسكرية والدينية العنصرية الأخرى في الوطن العربي (الفرعونية في مصر، الكردية في العراق، البربرية في المغرب، قبائل الجنوب في السودان) لتتصنف الوطن العربي وتزقه.. ومن المالفات أن رجاء النقاش، لم يمت، إلا بعد مشاهدة كليات الصناعة على أرض الواقع، تلكت قوة عسكرية وسياسية واقتصادية، ويمولها الغرب الاستعماري علناً، ويدفع عنها.

«أمير شعراء القوميين السوريين، هكذا يسمى رجاء النقاش، الشاهر أدونيس، ويشير إلى هرويه من سورية واستقراره في لبنان، بعد فترات قصصا في نابيس، ليكون مديراً لمجلة «شعر، التي كانت تمولها المنظمة العالمية لبحرية الثقافة، وهي منظمة أثير حولها كثير من التلغيط، بسبب دور المخابرات الأمريكية المركزية في إنشائها، وقوامها بإصدار بعض المجلات المعادية للثقافة العربية، ومنها مجلة «حوار، التي كانت تدفع مكافآت طائلة، والنصر عنها كثير من الكتاب بعد اكتشاف المعاداة للعربية بالخيارات الأمريكية المركزية، كما رفض يوسف إدريس، جائزته الممنوحة له، وقد عوصه عنها في حينه الترتيب عبد الناصر، بمثل قيمتها، وحقق له الرخص شهرة عريضة.

لم يكن «أدونيس» قد أصدر مجلته المعروفة «واقف، بعد، فقد أصدرها عقب الهزيمة لتتبنى موقفا معاديا للإسلام والعروبة والتاريخ العربي جميعاً، وكانت ملتقى القوميين السوريين، واليساريين على اختلاف توجهاتها، ولكن «رجاء» يشير إلى أول قصيدة لأدونيس نشرت في مجلة «الرسالة الجديدة، التي صدرت في الخمسينيات من القرن الماضي، وكان يرأس تحريرها يوسف السباعي» ويشيد «رجاء» بهذه القصيدة لأنها تكشف عن شاعر موهوب له طعم ولون وشخصية خاصة، ثم يشير إلى أنه تتبع إنتاجه، فوجد أن فيها الموجه إليه بأنه قومي

سوري صحيح، لأنه شاعر القوميون السوريون الكبير، وقد غريه «انطون سعادة، رعيم الحركة القومية السورية. بعد أن وجده شاعراً وشاعراً موهوباً. لأن سعادة كان يعلم شام العلم أن الفن عموماً، وأشعر خصوصاً من أهم أسلحة الدعاية السياسية، وأنه سند كبير لنشر أية فكرة من الأفكار. وكان شعر أدونيس تطبيقاً لأراء سعادة وأفكاره.

ومع ذلك، فإن رجاء النقاش يقرر بأن خلافه الكامل مع أدونيس القومي السوري لا يمنعه من القول بأنه من الناحية الفنية شاعر موهوب، ولكنه للأسف اختار أن يسير في طريق مسدود.



يؤدي به إلى كراهية بلاده والتأمر عليها. طريق كل أحراره أفضا وأعلامه زائلة أفضا

بيد أن رجاء لم يشر إلى الهاجس الطائفي لدى أدونيس، وهو الهاجس الذي يعسر شعره. وكل مواقف تقريباً فأدونيس، ينسب إلى الطائفة العلوية، واسمها الصحيح أو الأصلي هو «التنصيرية»، ويصنعها البعض من القادسي، ضمن غلاة الشيعة. وقد ادعى مؤسس الطائفة النبوة والرسالة، ويدعى أبوشعيب محمد بن قصير الحضري النهمري (ت ٢٧٠هـ)، وعاصر ثلاثة من أئمة الشيعة (١٢٠-١٢٠٠). وقد قامت فرنسا دولة للعلويين عام ١٩٢٠، واستمرت إلى عام ١٩٣٦م. وعيش معظم أفراد الطائفة في منطقة جبال التنصيرية بالأردنية. وانتشروا مؤخرًا في المدن السورية المجاورة. ويوجد عدد كبير منهم في تركيا. غريب الأناضول خاصة. ويعرفون باسم «التنخبة» والحطابين والبيكتاشية، وهناك أعداد منهم في لبنان وفلسطين والبناني وقايس وتركستان. وأفكار الطائفة فيها كثير من العلو، واستحلال الحرمات، وانهاهم مختلفة عن صلا

المسلمين. ويستمدون عقائدهم من الوثنيات القديمة والعلاسة الجوس والأفلاطونية الحديثة التي نشأوا عنها نظرية الفيس الموزانية على الأشياء. والاكلام حول الطائفة يطول. لا يتسع له المجال. ولكن انتماء «أدونيس، إليها كان هو الهاجس، كما سبق الإشارة. الذي يحكم فكره وتصوراته. ولقد تلاقي مع انطون سعادة، غير المسلم، حول فكرة القوميين السوريين لتمثل له مجالاً رحباً يعبر فيه بطريقة غير مباشرة عن حاجته الطائفي. وهذا الهاجس له صلة أو علاقة بمواقف الطائفة في فترة الحروب الصليبية الأولى، وفترة الاستعمار

الحديث وقامة فرنسا دولة علوية لأفرادها. وهذه المواقف للطائفة التنصيرية أو العلوية جاءت في سياق المواجهة مع الأعداء، حيث غنّت حلاًلاً للأمة، وهروباً من المبدأ، مما حدا بياس تيمية إلى محاربتهم في عهد الصليبيين وكتابة رسالتين عنهم. وبالإضافة إلى ذلك، فإن مواقف الطائفة المتخاذلة انعكست على الشعور الشعبي في بلاد الشام. وترسنت مع التاريخ، مما ترتبت عليه آثار سلبية في العلاقة الاجتماعية بين الطائفة العلوية وبقية الشعب...»

أدونيس، يتحرك بهذا المبررات التاريخية فيعظم «فرطاعة، أو فرطاعة. ويشيد بدورها التاريخي الذي صنعه الصليبيون.

(ألمح أن أفتى جمرة أخاها فرطاعة العصور كل حجر شارة والطفل فيها حطاب - دبحه المصير).

ويحمل أدونيس موعود، فيبيها عوداً سعيدة، ولكن الواقع يشهد بانحزب الذي يدعه إلى الذب والعويل (فيبيك أده حصكت اللهب أي فلم تمسكه؟

وحينما يغمرك الرماة، أي عالم تحسه؟... وما هو الشوب الذي تريد - اللون الذي تحسه؟)

الحنين إلى فينيقيها، والرغبة في اعتادها، إلى الحياة ويمتها وانقادها من الموت.. تلك هي الثورة التي يحلم بها أدونيس.. ولقد أدرك الاستعمار قيمة هذه الفكرة فوقف وراءها وساندتها. وهي في حقيقتها كما يقول «النقاش، جزء من الثورة المصدرة. للثورة. والتكتيك في سلامتها.. ولعل هذا كافاً على قيام الحزب القومي السوري عمليات إرهابية في سورية ولبنان، من بينها الاعتقال والتصف والحرق، وهو ما أدى إلى إعدام زعيم الحزب، انطون سعادة، هي لبنا لنقد وضعه «النقاش، بأنه «أي سعادة. قائد عصابات حقيقية كانت تهدد أمن الناس، وتقوم بسرقة قطاع الطرق ويشيد: إنه كان طامناً لزعامة ومحنوناً بها. وأوصله هذا الجنون إلى أن يحفل الإيمان به شخصياً ميذا من المبادئ الأساسية في دستور الحزب، وأصبح الاحتفال بعيد ميلاده في فروع الحزب، مثل الاحتفال بولادة الأنبياء، ومن أجل هذا يمكن عليه «أدونيس، بوصفه شهيداً كبيراً، ويا له من شهيد مغامر ليس فيه شئ مما يوحي بالتشعر الحميشي الأصلي!

لقد استمر أدونيس في ازلاجه، كما يقول النقاش، حتى وصل آخر الأمر إلى حد الاعتقال على العرب ومصر وكرهايتها بعنف لأنها أصبحت - يوسف - ثغورة العربية، وأهملت كثيراً من تحقيق الوحدة العربية، بعد أن كان الأمر مجرد احتمال بعيد النال وهو في شعرة لا يكسب ثوربد النغمة الفائلة من المصربين هراصة ويوقو في بعض ثروتها ريلاد أمراء من الحمى جسر من اللدات، يعبره الفراغة، وتصفق لهم حشود الرمل يقصد العرب)

ولما يفتا يردد هذا الحمى في كل مناسبة بصورة أو أخرى. ويرى «النقاش، أن القوميين السوريين وقعو في أزمة كبيرة حين وقعو في تناقض كبير بين ما يريدونه، وما يعلنونه. ويلخص أدونيس الأزمة في العيتين التاليين:

## «أيها الشاعر الكبير إني أرفضك».. كانت هذه صيحة رجاء في وجه أدونيس

بأن نظم هذه العلاقة وجعل لها قانوناً. فجعلها تقياً وفقاً لطقس معينة، فالحب في الإسلام يعني كما كان في الجاهلية حبساً، ولذلك من الأفضل الاقتصاد على استخدام لمسة الجنس دون الحب، فالحب في الإسلام جنس في الدرجة الأولى، ص ٢٦١.

٢. «الإنسان مجزأ في الإسلام إلى جسد وزوج وعقل، ومن هنا يصعب فهم وحدته، وفهم الوحدة بعامه، ص ٢٢٧. ٣. «العريس المسلم لا تهمه المرأة بل تهمه النساء، وهو لا يهيم أن يهجن، بل يهيم أن يمتلكهن، ص ٢٢٧.

٤. «القرآن يعتبر النفس كتلة من الغرائز والأهواء، وهو يضع لها قانوناً يسمو بها ويصمدها، ولها أبى عليها كما كانت في الجاهلية، لم يحاربها ولم يفتلها، وإنما هذبها وصفاها، فليس هناك حبيبة في القرآن، بل زوجة، وليس فيه حب بل جنس، صورة المرأة فيه هي صورة الزوجة، والزواج متعة جسمية من جهة، وإنجاب من جهة، ومن هنا تقتصر صورة الزوجة بصورة الأم، ص ٢٢٧.

٥. «ينسجم الحب القرآني مع الحب اليوناني الوثني، ويملك أن نصف الحب القرآني بأنه امتلاك جسدي من أجل القضاء على الشهوة التي هي رمز للشيطان، فالحلم هو إشباع الشهوة، وتسهيل هذا الإشباع، ص ٢٢٨.

٦. «الحب في القرآن قرار أو علاقة يقرها الرجل على المرأة أن تحمص، فليس الغاية الحب، بل التيه الحسن، وهذا مما فصل الحب عن العمل واللغة، ص ٢٢٧.

ويتمثل الكتاب بكثير من هذه الأخطاء العلمية العاصفة، وينطوي على داخله على دعوة مرمية إلى التمزق والطائفية ومحاربة وحدة العرب شعباً، ووحدة المسلمين ديناً، مع الدعوة إلى الإغلاء من شأن المذهب الباطني بوصفها مصدرًا للقوة الفكرية والتجديد والأسس الصحيحة للعلاقات الإنسانية المفقودة شاملاً دعاة الطليعية العربية والمسلمة في نظر أدونيس.

ويتم رجاء الكتاب وما جاء فيه بالخلق والدجل من الناحية العلمية، وتفسير النصوص بنية سيئة وضيمير شديد الاتواء، والدين برجح، ثم عماد أصلاً يستطيعون انتقاد طاعة بالعقل والحجة والبرهان. ويؤكد «رجاء» في نهاية موضوعه صميته التي جعلها عنواناً لها «أيها الشاعر الكبير إني أرفضك».

أدونيس وانتماؤه للحزب القومي السوري، ويشير إلى إخفائه أول دواوينه (قالت الأرض... (١٩٥٤) الذي إلهامه أن أنطون سعادة، رئيس الحزب، بعد أن ضمنه قصيدة طويلة في رثائه بعد إعدامه عام ١٩٩١، تؤخذ بيته وبين الوطن.

(قيل. كوني بيثي قتل. بلاد جمعت كلها فكانت: سعادة).

ثم يشير رجاء، إلى محاربة أدونيس للوحدة العربية السورية، وإصداره لكتابه «الثابت والمتحول، الذي يطنش في الثقافة العربية حيث يتهمها بأنها لم تعرف التجديد والتطور والنهضة إلا

واستقبل محاربة كبيرة من أجهزتها الثقافية ومؤسساتها العسكرية. ويقول «رجاء» إنه لم يثن أن يمسد العرس، الذي أقامته مصر للشاعر «أدونيس» في كل مكان. ويرى أن الطبيعة العربية المصرية في معاملة الضيوف شيء نعين يجب الحرص عليه وعدم التضييق فيه، خاصة إذا كان هؤلاء الضيوف عرباً، لكنه مع ذلك لا يجب أن تقتصر رعاية الصنوبر وسماحة النفس وكرم الضيافة بأي نقص في المعرفة بحقيقة الأمور، وهو ما يمكن أن ينتهي إلى شيء من العملة وقلة الإدراك. ويعيد «رجاء» التأكيد على إيمانه



على يد أصحاب المذاهب الباطنية (!) أما أصحاب المذهب السنّي، الإسلامي بشروعه المختلفة فهم الذين كانوا وما زالوا يمثلون الجمود في الفكر والثقافة والفن، حيث يقول دانوس، «إن التحول أو التجديد أو الثورة في الثقافة العربية قد ارتبطت في الدور الحاسم منها بظهور نظرية الإمامة، عند بعض الفرق الإسلامية الباطنية، ويقدم «رجاء» نموذج من المجدنين لا تنتمي إلى الباطنية من أمثال أبي تمام والمعري وابن الرومي وابن خلدون، لخص ما يقوله أدونيس، هؤلاء وغيرهم ممن ينسبون إلى الخط العام في الثقافة العربية، ويشير «رجاء» إلى الفوضى العسكرية التي يريد أدونيس أن ينشرها في ثقافتنا المعاصرة، وتمتد إلى أمور لا يحسب الاقتباس منها بغير معرفة واسعة دقيقة، وميزان فكري شديد الحساسية والأمانة. وهذا في بعض النماذج التي جاءت في الجزء الأول من كتاب «الثابت والمتحول» يقول فيها أدونيس:

١. «لم يغير الإسلام طبيعة النظرة إلى المرأة كما كانت في الجاهلية. أو طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة واكتفى

(يا شعبة المستقبل الميمدة ما لي أخاف الطرق القصيرة) والابتهاج تصوير يار لنفسية الشاعر ونسبة الأدباء الذين ينتمون إلى اتجاه القوميين السوريين، إن عقدهم الكبرى هي أنهم يكرهون الطرق القصيرة الواضحة إلى الحقيقة، ويحبون عن الطرق المتوترة المنحرفة. فقد أصبحت لذتهم الكبرى هي المفارقة، هي لذة الاختباء عند الجرم القاتل الذي يطارد القاتلون. وأدونيس يستخدم أسطورة «العنق، ليلك لها معنيين هما: الموت والاحتراق. فقد مات فيلق وحرق.

ثانياً، البحث والتجديد، فقد بحث فينق وتجدد، وهو ينفق طويلاً عند المعنى الأول فيعبأ قصيدته بالحويل والدعوى، ويبدو أخيراً إلى التجديد والبعث من رمال الحرق، حيث تعود الحضارة الفينيقية إلى سورية، وهي فكرة سياسية، غير فكرة الحياة والتجديد التي تشير إليها الأسطورة. فينبق تلك الحمة البعائل الحديد، صابر شيه الرمد، صابر شرراً ولهييا كواكبيا.

والربيع دب في، لجدول، في الثرى. أراح رمل أمنا العجز والثلالة، الزكاء والعراج والدجج.

وقد تبع «أدونيس» في أفكاره لشعوبية عدد من الأدباء، منهم روجيه «خالدة سعيد»، وصديقه «أنس الحاج»، والأديب «سعيد تقي الدين»، الذي كان ييشر بمستقبل كبير في الأدب، ولكن انضمامه إلى القوميين السوريين، جعله يتحول إلى مخلوق آخر، يترك الأدب، ويحسب بيته بالمذاع، متوهماً أنه مهيد بالقتل. ووقف على حافة الجور، حتى مات على طريق القوميين السوريين في الأدب.

ويرى «النفاش» أن هناك بعض المذيعين الذين انساقوا وراء أدونيس وأفكاره، ولم يدركوا عيائته الحقيقية، وهي الخذل على العرب ومصر، والوحدة العربية.

«أيها الشاعر الكبير إني أرفضك»! كاتب هذه هي الصيحة التي أطلقها رجاء الشاعري بعد قرن تقريبا في وجه «أدونيس» عندما زار مصر عام ١٩٨٨.



هناك من يتبنى «أدونيس» ويرسخ أقدمه، ويجعل له نفوذاً كبيراً في الساحة الأدبية الثقافية

مجلته، مواقف، التي صدرت عام ١٩٦٨،  
 هدد الهزيمة السوداء  
 ويوم جاء الجلاء النشأت، على  
 ادوين، رفضه لزيارة القاهرة عام ١٩٨٨  
 دعوة من الحكومة المصرية. أو وزارة  
 فيها. ثم حضور إليها بها  
 خمسة عشر حرس على الخاص،  
 متعللاً بولفهم من اتفاقية، كإمام  
 يفيد، ثم يكن يعلم أنها سفير موقفه  
 من هذه الاتفاقية نوابه مقادها ١٩٨٠  
 ويصير من كإمام الاتفاقية  
 للعدو. ويشارك في اجتماعات دولية  
 (برشلونة مثلاً)، لوضع بحث محتملاً  
 في أسلحة من العرق والفرع. وقبل  
 أن كان مدفوعاً برؤيته في الحصول على  
 الدول، في الأنبي، حيث يتقدم  
 كل عام في الصحافة العربية ضمن  
 المرحمين لن. ولكنه حتى هذه اللحظة  
 لم يظهر بها. وإن كان من المؤكد أن  
 يكتبه أسبوعياً أو دواين يقف في صف  
 العرفض الذين يحتلون فلسطين، غير مثلاً  
 يرفض عمليات القنطرة، ويرها عملاً  
 ومضمية بربرية. ويرى أنها تظلم، لثارة  
 في مصممهم جميعاً في سنة واحدة،  
 ويطلب أن تفتش في أعمالهم عن  
 لكتابات الإنسانية. وأن ننظر إليهم  
 بموضوعية، فلا نمادهم، ولا نتبع  
 (مهم)

هل كالم رجاء النقاش، يسرد خارج  
الحسين بن علي وقف ضد أدونيس بوصفه  
مبتلاً لاتجاه معاد للأمة وفكرها وأدبها،  
فصلاً عن ديها ؟  
وهل تسمى هزيمة الأمة وانتصار  
أدونيس، أن العرب لن يهجموا من  
جديد ؟  
من المؤكد أن الدنيا لا تدوم على  
حال، ورحم الله رجاء النقاش. ■

مسیر اجمع،

ورجاء القشاش أديب وعربية ومسجلة كاتبة  
 تاليفات، المؤسسة قصصية العامة للأنثى و لستر  
 المرأة  
 ورجاء القشاش تاليفت عاصي الشعر والشعراء  
 في سعاد الصياح الكون، ١٩٩٢  
 ورجاء القشاش التاليفت، شعر في عصر المؤسسة  
 العربية للدراسات والبحوث بيروت ١٩٨١، ١٩٨٠م  
 المدونة العامة للشباب الإسلامية المؤسسة  
 لخدمة الأديان والتمادي العاصم، الرياض  
 ١٩٧٩م  
 مجلة الرسالة القادر الثاني، وزارة التعليم  
 والإرشاد القومي للإدارة ١٩٦٥ ١٩٦٥  
 المصحف الكريمي والمؤلفات الأدبية الأسبوعية  
 الشهيرة في مصر عام ٢٠٠٨

العربية، وبدلاً من توحيد الأوطان العربية، صارت هذه الأوطان نفسها عرضة للصراع، والحكم، والزعات العربية والطائفية والتجسيم، وما يجري من العدوان والعراق ولبنان والغرب وغيرها. خير شاهد..

أما على المستوى الذاتي بالنسبة للأوطان، فقد حقق هو والاباء الذين يتبنون إلى طائفته كثير من القوة والغنى، فصار قدام لهم كبريائون على اعتماد العالم العربي، يؤمنون بما يقوله كالأب وحسب، ويسرعون إلى خضاه في الكتابة والتدريس، ويرددون آراءه ومصطلحاته من الحجة إلى الخبيث، بل



إلى قيادات بعض الدول العربية صارت تتماخر باستضافته، ومنحه جوائزها واهتماماتها به، فضلاً عن صيافاتها له، وأضحت الإشارة إلى «ادونيس» من قريب أو بعيد، بالمرجعة أو التصحيح نوعاً من التجديف وكسر التابو والخروج على النص الذي يستحق فاعله العقاب الأدبي!

لقد كان أوديسس، الأقدر على محاطة نقاط الضعف، لدى العديد من النخب والسياسيين، واستطاع أن يستثمرها جيداً، بدلا من الحاد، وتمكن من نهجها إلى فرض إرادته في الواقع القاسي تحت سميتات برفافة خادعة مضللة، من هنا لا توافق مثلا على مصطلحات مثل: العرض والثورة والحداثة؛ فهي مصطلحات تجديل كل موقف يسعى إلى الإصلاح والتقدم، ولكن أي رفض وإرادة قوية وأية حداثة؟ لقد كانت هذه المصطلحات كلها تصب في واحدة رفض الأوروبية والثورة على الدين.

والحداثة بالعلمي الأوروبي الذي يسعى لتطعيته مع الماضي بكل ما فيه وهي فيه، بعدة معطيات ومفولات وأدوسس، لصدف أكثر وضوحاً في

عليه من حياة السلام والهدوء. ولكنه في الوقت نفسه لا يطيع صرخة على هؤلاء الذين يمشون بالحصنة في الأرض العربية، ويهدموننا جميعاً ضحايا له نتائج الأعداء، ويدعون بالظهور وسوء المآلات والمصائد التي هم يعملون أن يضعوا إصبعهم فوق رؤوسنا، دون أن يعلموا أننا نستطيع أن نقف في وجههم، لا نريد لهم أن يأتوا ليعيد نصوصهم لنا، ولا أن يأتوا ليقولوا لنا إذا استسلمنا هؤلاء الذين يعملون في تشرقي الوطن إلى أوطان عديدة متصارعة؟

كان رجاء، أو ما نصدق كتاباً

يعمل به منذ فترة تحت عنوان «جناية»  
أوديس على حق النقض الفعلي، ولكنه نجح  
في وقتاً مبكراً، بعد عدة سنوات من المحاكمة  
وأفضاء أخرى، يبدو أنه أصدر كتاباً مهماً  
عن اللاعنات في مصر. وفي ربيع  
فجر من الكتاب المصريين الكبار، الذين  
أرادوا أن يصرحوا بأنهم يعيشون في  
مصر، وهذا هو ما نلتقي بالآتي ما وراءه  
العدو، وأن قلنا الحيات مثل، وسوسرا،  
ثم تمتع بالبراءة والسلام. وفي هذا  
الكتاب استكمالاً لفكرته التي عارضه من  
خلالها، أوديس، والمثوبين في العالم  
العربي، فقد كان رجاء، أين الوجود  
العربية الحقيقية في الزمان الحقيقي  
لبينة الأمة الحقيقية، ونهضتها  
استقلالها.

وفي كل الأحوال، يبدو أن الأحداث كانت في صف «أدونيس»، وعلى عكس ما تمنى «رجاء النقاش»، فقد أثمرت جهود التمريق والتفنيب ونشأت كيانات جديدة لها صفة الأعراس الواقعة داخل الأوطان

وأذا كان هناك من تبنى الحرب القوي السورى، وغناه، وأمد بمقاتل الحياة، كما طلبعيا أن يكون هناك من ينفذ، كبريا في الساحة الأممية الثقافية لرجل جلت رجا، فإن النقاش يدل على أن بواجب يملك أسلحة كثيرة ضرورية ومتنوعة وسهلة الاستعمال، وأن يملك بحارته، وأن يملك صحفاته، وأن يملك ضد في الصحف والجلات، وأن يملك على، ولكن هذا لا يفي به عند رجاء، كيقينه أن يجد في مصر وفاقا، ويكتسب عليه، ولما يكتسب به، وصحيفة، فيستشر أزماءه بحرية واستقلال، وعندما يراه (درويس، عناه مصر، ويوسجل ذلك في أدبه وكشاته الفكرية، ويوسس المحررين، غرابا الفكرة، الجلاء، صرحا منهم، ومن دروس العرب، فهنا ينهض التصدي له، ليس من أجل مصر، ولكن من أجل الأمة العربية، كما صرحه القديم والتاريخ الحديث يؤكد أن ارتباط مصر بأمتها في العلم، والنزاهة، والوحاد خير شاهد على ذلك.

إن «أولونيس» يصر على أن «السنّة» مستطعدة للثغرة، وأنّه يتعرّض للهجوم لأنّه شيعي علويّ، وهذا تعرّض وصلال ومحاوله غير بريئة لمواصلة العمل الذي يحترقه، منمن أن أحسنه ورأيه معاصر للثغرة التي استغلّها «الخطوط عمادة» الذي اختار له اسم «أولونيس» - ومنمن أصدر كتابه «الثابت والمتحول» - الذي له في المكوّنات في الجامعة الشيعية في لبنان، في نقد الإسلام والسكر الإسلام، في جامعة لا يطمئن أن يخرج المسيحيون الشرفاء الذين يعرفون علاقاتها التاريخية ببعض أجهزة المخابرات الأميركية، ودورها في تخريج العناصر الشيعية التي تساعد على تطبيق الأفكار المعادية للحرية والسكر الإسلام الصحيح، وإبعاد لبنان عن الإسلام العربي.

ولو كان أدونيس، قد التزم في رسالته بالاصول العلمية الموضوعية لصحيحة، لقلنا إنه عقل حر يبحث وان اخطأ فله اجر وله قيمته وكرامته، ما الواقع فإن أدونيس، في كتابه الثبات والتحول، قد لجأ إلى اساليب غير امينة، وغير علمية لتشويه الفكر الاسلامي.

ويؤكد «رجاء النقاش»، أنه ليس من  
هواة المعارك والحروب، وليس أقرب إلى

أكثر عمقا. هالشكل الفلسفي لم يبق جدليا كما يدعي هيجل بل بات أصحابه يفصلون الشكل التأويلي والمضمون الديني لم يبق عقائد ذات صبغة عاطفية كما يدعي هيجل بل بات أهله يعزلون المضمون ذا النسق العقلي كما هو شأن كل الثيولوجيات ويدلك فها قد اتحدا شكلا ومضمونا ولم يبق مختلعا إلا الأسلوب.

الخط الثاني فيشك كلنا النحلتين أفقيا في العمق. فكلتاها تقسم بحسب تصور مقومات العمل التاريخي حسب إياها في بعدها المتعين وينتفض حصوله الأول أو فتحها على الممكن اللامتناهي في الحيز الفاصل بين الحاصل والمثال الأعلى من الوجود العقلي. لذلك كان الأصليون صنفين. أحدهما يتصور أحد تعينات الإسلام أو ما تحقق منه في الماصي الإسلامي التعين الوحيد الممكن والثاني يراه قابلا لأن يتخذ أشكالا جديدة بحسب التدرج في التوصل بين مثله العليا وتاريخ تعيناتها. وينقسم العلمانيون مثلهم إلى صنفين. أحدهما يتصور أحد تعينات التحديث أو ما تحقق منه في قرون العرب الأخيرة. التعين الوحيد الممكن والثاني يراه قابلا لأن يتخذ أشكالا أخرى بحسب التعارب اللامتناهي في المستقبل. والغالب على الساحة حاليا هو الصنف الأول من كلا المريقين. وهما مصدر الحرب الأهلية العربية والحرب الأهلية الإسلامية.

أما الصنف الثاني منها فهو لا يزال جينيا في كلا فرعيه. والفروض أن يكون فرعاه متحدتين على الأقل بمقتضى الانفتاح على المستقبل متسرعا وعلى الماضي تأويلا. لكن الحشد الفلسفي للحظنا التاريخية لا يزال متملا في الصنفين العالبيين الذين يعتبران

الأولى لأن مفهوم المجتمع المدني ينتسب إلى تاريخ الصور الأساسية في فكر الإنسان العملي من حيث الموضوع ولأن تعريفه ينتسب إلى تاريخ المناهج المنطقية الأساسية في فكر الإنسان التطري من حيث العلاج. فمسألة تحديد مفهوم المجتمع المدني من مسائل الفلسفة العملية موضوعا ومن مسائل الفلسفة النظرية منهجا بدءا بأفلاطون وأرسطو وختما بهيجل وماركس ومرورا بالعارفي وابن حلسون ومرورا بتجارو الأولين بنقدتهما وأعد لندك الثانيين بما تضمنته مما كان لا بد أن يحفلوا من أبعاد الثورة الكونية الإسلامية. ومن ثم فالعارفي وابن خلدون يعدان دليليا في هذه المحاولة.

يمكن أن نحدد الظرف الذي تبرر بمقتضاه نخب المجتمع المدني العربي خاصة والإسلامي عامة بخططين متعامدين يحددان أربع خانات ممثلة لأصناف الفصام الذي أصاب نخب الأمة الناطقة باسم التعبير عن رغبات التقاضي في العمران البشري.

فالخط الأول منهما يقسم النخب العربية (ومثلا كل النخب الإسلامية من غير العرب) عموديا إلى نحلتين لا تتعايشان إلا بمفهوم الحرب الدينية إيجابيا من منظور أحدهما وسلبيًا من منظور الأخرى. لذلك أن العلمانيين هم أيضا فكرهم ديني بالنسب تماما مثل الدينيين الذين يمكن اعتبار فكرهم فلسفيا بالنسب. فها يثبت أحدهما لما يدعي الاستناد إليه يكفي الثاني بنفيه فيكون كلاهما قابلا للتصريف بسلب الثاني. ومن ثم فكلاهما يتناسى أن الفكر البشري لا يمكن أن يخلو من الجعدين الديني والفلسفي ليس بحسب بالمعنى العييلي للملافة التي تجعلهما متحدتين بإحاطة ومختلطين بالشكل بل بمعنى

مباشرة تجعل القيم الحديثة والأصلية تتحول إلى معاول تخريب لقيم الأمة المطابقة للقيم الكونية وليست مساعدة على تطورها الذاتي. وتربيف الوعي بالهجوم إلى الماضي في ما يليه عن المهام التنويرية للقيم الدينية يؤدي حتما إلى ما نراه من غرق في قسور الهوية والقيومية عن شروط تنميتها وتطورها تحقيقا للتناظر بين قيم حقوق الإنسان العاقل وقيم واجبات الإنسان المؤمن وحتى لا يعد كلامي هذا تحليقا في سماء النظريات التي تعشير من الترف المكري في مثل هذه الندوات هائي سأحاول فهم علل هذه المعطالة أو علل تعوير المجتمع المدني صلتهما التي نستنها من عمل مجتمعا المدني ودور الساطقين باسمه بنوعيهما الحديث والتقليدي. وسنح نفرض أن هذه العلل لا تخلق من أن تعود إلى: ١- مقومات المجتمع المدني نفسه ٢- أو إلى الظرف المحدد لكيمة عمل الناطقين باسم هذه المقومات وتلتقط عليها اسم النخب القيادية لفعاليات المجتمع المدني.

قد تنهم هذه المحاولة بعيب مهني ينسب إلى صاحبها الميل إلى الإغراق في النظر الفلسفي المجرد. لكن المحاولة تعتمد بقصد على النظر الفلسفي لتخليص فكرنا من التكهف على العمل المباشر العمل الحالي من فهم الشروط التي توفقه إلى العلاج القويم فيبقى في ما يسميه أرسطو بتجنب المعاصي الأول جهلا بطبائع الأمور المفاصل تمام المقابلة لتعجب العالم المدرك لتحالفات وسريكو هذا النهج قاعدتنا على الأقل في المسألة

■ ■ ■ من منا لا يعجب من عجز الناطقين باسم المجتمع المدني بمعناه الحديث عجزهم عن إخراج الجماهير من لأميالها المحيية بانتهك أسط حقوق الإنسان رغم قرين من النهضة ومن منا لا يعجب نفس الإعجاب أو أكثر من قدرة الناطقين باسم المجتمع المدني التقليدي على حصر تحريك الجماهير في ما يليه عن حقوقها الفعلية رغم قرين من الصحة؟ ألا يدعوننا ذلك إلى الحيرة أمام الأمرين خاصة إذا ربطناهما بالحل الفعلي الذي لجأت إليه النخبات. الحل الذي أهدب طبيعته وما يترتب عليه كل من الصحة؟ ألا يدعوننا ذلك إلى الحيرة أمام الأمرين خاصة إذا ربطناهما بالحل الفعلي الذي لجأت إليه النخبات. الحل الذي أهدب طبيعته وما يترتب عليه كل إمكانية لتحقيق الإصلاح بالفعل المدني تحقيقا سليما فالعرب الأهلية بين التحديثيين المنحازين للمافيات الحاكمة وحمايتهم والتأصيليين المنحازين للمافيات المعاصرة ونفس الحماية وثمرتها استعانة الأولين بالقوى الأجنبية واستعانة الآخرين بالجماهير لا يمكن أن تنميا فاعلية المجتمع المدني إلا في وهم أصحاب هذا الحل السائد حاليا.

ذلك أن مثل هذا الحل يؤول إلى القضاء المبرر على كل إمكانية لحمل التناقض القيمي الذي هو جوهر كل حيوية عمرانية يجري مصوره صحيحة وسلمية لتكون تعبيراً عن المجتمع المدني. تغييره الأساسي وأداة تحقيقه المبرر. فالاستعانة بالأجنبي لن يفيو قوى التحديث ولا قوى التأصيل بل هو سيسمها بسمة الخيانة خاصة والقوى الأجنبية لا يقتصر إسهادها للقيم الحديثة أو الأصلية على استعمالها الخفي أداة لأجندتها بل هي مضطرة بمقتضى الظرف الخاص في علاقتها منا إلى اللعب بالمكتشف الذي يحول كل النخب التحديثية والتأصيلية إلى عملاء لصر ما تتميز به الأجندة من أهداف



# النخب

العميق الذي نحاول توصيه قبل الكشف عن دانه ووصف علاجه مترددة بين الأصولية الدينية والأصولية العلمانية، التفتت في العمق بحسب النوع الثاني الذي هو الفصام الأكثر تأثيراً على دور النخب لكونه يصيبها بالعقم الإبداعي في كل مجالات التطوير البشري. في مجال القيم الدوقية، فكل المهن العريقة صارت نسخاً مصححة من الإبداع الغربي رغم أن من تأثر بأدائها من ذوي الثقافة الإنسانية مثلاً يستوئح نجاح على الأقل في الرسم وأساليب القص.

في مجال القيم الزرقية وكل الاقتصاديات العربية توارثت هزيمة رغم أن تحمل الوطن قطعاً عالمياً لو وجهت الشروات السائلة التي تنجح، العطالة والصداء إلى استثمارات منتجة تقصي على الجهات والكساد. إذا كانت أغنى الأقطار العربية يمكن أن تفسد بين عشية وضحاها لأن رئيساً أمريكياً موهوباً يمكن أن يجمد رصيدها فهل نحتاج إلى دليل آخر؟ في مجال القيم النظرية، وكل الجامعات ومعهد البحوث العربية لا تعدون أن تكون صحوكات العصف ما وراثنا منها عن الماضي التليد بالتقليد أو ما حاكته محاولات التجديد بالتشويرد ويكي دليلاً أهم تطبيقات العلوم في حكم كل إنسان سوى حتى الأمي، الطب فإذا كانت الكليات الطبية عاجزة عن حماية أسر الدول العربية، لتي باتت صحة قادتها سرهونة بالمصحات الأجنبية بعد

نجماً أو لا وقبل كل شيء بفضل موقف عبر المسلمين منه ممثلين بالنجوم العلمانية. لذلك فهما نخبتان متصامتان جداً هي هذه النخببة التجسيمية التي يرفعوا فيها بالنجل على الرايين العاميين الألهي والأجسي فصارت هذه النخببة جوهر الأرملة الحضارية التي يعيها المسلمون والعرب منذ قرنين؛ نخب رافعة تدعي ما ليس لها وخاصة منذ ذهب الأجيال الأولى التي كانت محاولاتها وأبداً والتي قلقتها طاعوت الثورات المزعومة قومية الثورات التي وزعت السلطات بين النحل المدمومة والتسلل الخدمة شعاع الطبقات المحرومة ونبار الشعوب المظلومة.

إن النوع الأول من الفصام هو النوع الأيسر على الفهم، فحسب نراه بالعن المجردة. ويمكن أن نعتبره الوجه الطاهر من أزمة الأمة الإسلامية كلها. أزمته التي يمد النوع الثاني من الفصام عرضها الأهم وقد تخمين هذا العرض أتم تخمين في النخب العربية لما لقومي الثقافة العربية (الدين والناس بمقتضى نصي الدين الإسلامي) من منزلة في تاريخ الأمة الإسلامية وطعنا فهدد المنزلة يمكن أن تتبخر إذا لم تداركها فستعيد من الصلوة لاسترداد منزلتها الأصلية فالنخب العربية تستند منزلتها الكوكبية من دور العروبة في الإسلام ودور الإسلام في العالم. ولذلك فالعروبة، ولله الحمد لا تزال هي مصدر أهم الرموز والمقومات الإسلامية في كل دار الإسلام. والنخب العربي. بخلاف كل ما يزعزع في الإسلام غير العربي سواء كان في آسيا أو في حوض شرقي آسيا. لا يزال الأكبر عدداً والأغنى ثروة والأعرق تراثاً والأقرب إلى الحضارة العربية من كل الشعوب الإسلامية. لكن هذه النخب العربية التي جعلها الفصام

الصمت إلى التعبير عن أحد أنواع القيم وما يتصل بها من تعارض المصالح بين المتنافسين عليها لذلك كان الحرب الصامت الحزب الشامل الذي يمارله الجميع لاستعداد شرعية دعواه منه. أعني الرأي العام الذي له وجهان داخلي وخارجي مع تماكس في تقليد الاستناد إلى الخارجي أو إلى الداخلي منه من حيث الإيجاب أو السلب فالجزبان الديناني يستند إلى الرأي العام الداخلي إيجاباً وإلى الرأي العام الخارجي سلباً والجزبان العلماني يمكن أن يكون سندهما الموجب للرأي العام الخارجي. وسندهما السالب للرأي العام الداخلي. وتلك هي آلية التشجيع (= اعتبره أو جعله نجماً وللمنعة صلة بللمنعة الأصلي أعني الدجل التنبؤي عند المتحمسين). فعمل أي مبدع أو مفكر نجماً يكون إيجاباً يمدح من جهة أو سلباً يمدح من جهة أخرى وهي في الدمد الدينية أهلي في المدح وأجنبي في المدح العربي من النخب المدنية يصبح نجماً عند المنتسبين إلى الحزب الديني، والعكس بالنسبة إلى النخب العلمانية؛ يصبح العلماني نجماً بمجرد أن يمدحه المسلمون أو يمدحه العربيون أو يحصلوا الأمرين.

إن الفصام الثاني الذي يشق كلا الفريقين الأصليين والعلماني هو الفصام الأصلي. إنه الفصام الذي يعيننا في محاولتنا فهم قيم المجتمع المدني العربي الحالي لكونه يفسر الفصام العربي الذي يقابل بين الأصليين والعلماني فيقوم إلى أعماق آليات التخليص السلب العالبي على اللحظة العربية الحالية. فالعلماني يصبح نجماً أولاً وقبل كل شيء بفضل موقف المسلمين السلب منه ممثلين بالنجوم الأصلانية والأصلائي يصبح

التاريخ محاكاة لأمر حاصل في ماضينا البعيد أو في ماضى القريب القريب. وليس إبداعاً لأمر لا يقبل التحديد النهائي مسبقاً. فأصبح عمل التاريخ مستحيل في مستوى التصور الرمزي ناهيك عن مستوى التحقيق الفعلي بما أصبح المثال ماضياً حاصلًا والممثل تكراراً له وليس إبداعاً لتصورة الرمزي أولاً ولتحقيقه الفعلي ثانياً مع ما بين التصور الرمزي والتحقيق الفعلي من جدل متواصل جيتة وهادياً من أحدهما إلى الآخر، حتى يتطابق بعدا الحضارة الرمزي والمادي. ويتلذذ فإن النخب العربية من كل مجالات التطوير الخمسة تبرز على أرضية الشعب بوصفه منبع الجميع وأصل التطوير والتخفيف فتنتقسم بحسب الخطى المتعاقبين إلى الأحزاب الخمسة التالية بحسبان المجموعة مع الأسهم حتى وإن لم تكن من ريتها:

حزب المحافظين الديني: تكرار أعراض التجربة الماضية من التاريخ الإسلامي  
حزب التحرريين الديني: المشاركة في فتح آفاق جديدة لفكر الدين.  
حزب المحافظين العلماني: تكرار أعراض تجربة التجديد العربية  
حزب التحرريين العلماني: المشاركة في فتح آفاق جديدة لفكر الفلسفي.  
أما الحزب الخامس فهو حزب الأغلبية الصامتة التي تتبع منها النخب.

فكل الأحزاب السابقة تسلسل من الحزب الخامس أو القسم الثامن من التصنيف بمجرد أن ينتقل البعض من



قرنين كاملين من التحديث فهل تحتاج إلى دليل آخر ؟

في مجال القيم العمالية . وكل المؤسسات السياسية العربية لا تعدوا أن تكون مهارات الدهر إذا كانت أكثر الدول العربية شروعا في العلمنة أعني الدول التي حكمتها الأحزاب القومية قد تبين من أبحرهما أنه قد عاد بضميه إلى العشائرية والقبلية المتقدمة حتى على الإسلام فهل تبقى حاجة لدليل ؟

وفي مجال القيم الوجودية ؛ وكل الفكر الديني والفلسفي العربي الحالي لا يحرك أي عمق من أعماق المسمى العمرة الحائرة أمام أسرار الوجود لفرد أو تحوله إلى مضغ أيديولوجي تشبيل عشت فيه طحالب الفكر الكلبي لخلو أصحابه من عميق الحداث وصحيح الدليل

## أمثلة من انحراف أية

### الانتخاب النخب

إذا كنا قد أجمعنا من ضرب مثال من الحالة الأولى (القيم الدوقية) ومن الحالة الأخيرة (القيم الوجودية) لتعيين المصعد في الحالتين الأول والثاني. فهاهنا هي كون هضاب النخب فيهما بالذات بياته هو مطلوب المحاولة بالنقص الأول لوصف الضحاح التي آل إليها دور هذين النخبين من النخب في مسائل المجتمع المدني والراي العام فهيهنا بالذات لم تعين أزمة النخب العربية التي من المزمور أن تكون المحرك الفعلي لتعاليات الحقيقة في المعمران البشري. فصدت هضاب الحقيقة الوجودي والتلذذ به. فهي عرض المرض الذي يخطر المحاللات الثلاثة الأخرى: الرزقي والعملي والعرفي. ذلك أن هذه المحاللات تعويج المحال الأول (الدوقي) تبعية الدفوع للذائع وهي كذلك توابع المحال الأخير تتمتع القيمة المؤسسة للقيمة المؤسسة (الوجودي)

ولن نتبين هذه العلاقة المصاصة إلا بعد أن نتكشف ما في الفكر المسيطر على هذين الميدانين من دجل وعجل أقصد الطغافا العربية أكبر شرونها إغقادا بعد ما حصل من تكبات في الجبال الثلاثة الأخرى (تكبات القيم الرزقية والقيم النظرية والقيم العمالية) لعب أطفال بالقياس إلى ما حل في عالمهم الدوقية والقيم الوجودية. ذلك أن المعادلة التي تحكم ترانبات النخب بمرعريه السوي وغير السوي في عينها المعادلة التي تحكم ترانبات القيم في كل الحضارات وفي كل

مراحل التاريخ. وهذا أحد القوانين الكلية التي تبحث عنها في كل محاولاتنا لواصلنا جهد ابن خلدون في فهم الثورة الحمديية بتغيير نظرية المعرفة والوجود الموروثة عن اليونان ومحاولة تأسيس علوم الإنسان بصورة تدعم الثورة التفاضيلية الناتجة عن هذا التغيير

فهي الترتيب العقيم تكون القيم الدوقية (المجال الأول) لعبة في يد نخب القيم الرزقية (المجال الثاني) خاصة وتكون نخب القيم الوجودية (المجال الخامس) لعبة في يد نخب القيم العملية خاصة (المجال الرابع) ببسب فشل نخب القيم النظرية (المجال الأوسط) في إبداع المؤسسات العلمية والمؤسسات العملية لبناء الوجود الرمزي والعملي للمعمران بالنظومتين الثورية والسياسية (مقوما صورة المعمران أو الدولة) ببناء يصور مقومسي مادته أعني الإيديولوجي والإبداع الرزقي (مقوما مادة المعمران أو المجتمع المدني). أما الترتيب السوي فهو في الوضعية المقابلة أعني في الوضعية الإبداع المؤسسات التي تحول دون هذين الاستيعابيين. وقد اعتبر ابن خلدون النقلة من الترتيب السوي إلى الترتيب غير السوي بداية هزم الدولة وانحطاطها

ورغم ما أشرنا إليه من غياب المنظور الموجب للماضي والمستقبل ومن ترتيب غير سوي للقيم. فبإين كلالها يقتضي ضرورة عدم وجود نخب مبدعة ومؤثرة حقا. فإن لنا مع ذلك من النجوم الدوقية لا يكاد يحصيه عد؛ فما السرا يا ترى وكيف تفهم هذه المارقة التي لا يكاد المرء يجد لها تفسيراً ؟ لذلك فقد اعتبرنا التعريف بمصدر تحديد النجومية في البلاد العربية منطلقاً لتحديد مديات

الحواب عن هذا السؤال الحير. ويقتضي ذلك أن نميز بين وضعيتين جزئيتين كلتاهما مضاعفة بحسب المضاربة بين الظاهر والباطن ثم وضعية ذات صيغة جامعة

أ- الوضعية في البلاد التي يكون فيها النموذج الحقيقي للقوة المباشرة في الظاهر أو في الباطن (أي القوة العسكرية والبوليسية وهي الوضعية الغالبة في البلدان المختلفة)

ب- والوضعية التي يكون فيها النموذج الحقيقي للقوة غير المباشرة في الظاهر أو في الباطن (أي القوة الاقتصادية والتقنية وهي الوضعية الغالبة في البلدان المتقدمة)

ج- والوضعية ذات الصلة التي يكون فيها النموذج الحقيقي للقيم الرزقية (أي القوة الاقتصادية والتقنية وهي الوضعية الغالبة في البلدان المتقدمة)

د- والوضعية ذات الصلة التي يكون فيها النموذج الحقيقي للقيم الرزقية (أي القوة الاقتصادية والتقنية وهي الوضعية الغالبة في البلدان المتقدمة)

هـ- والوضعية ذات الصلة التي يكون فيها النموذج الحقيقي للقيم الرزقية (أي القوة الاقتصادية والتقنية وهي الوضعية الغالبة في البلدان المتقدمة)

و- والوضعية ذات الصلة التي يكون فيها النموذج الحقيقي للقيم الرزقية (أي القوة الاقتصادية والتقنية وهي الوضعية الغالبة في البلدان المتقدمة)

ز- والوضعية ذات الصلة التي يكون فيها النموذج الحقيقي للقيم الرزقية (أي القوة الاقتصادية والتقنية وهي الوضعية الغالبة في البلدان المتقدمة)

ح- والوضعية ذات الصلة التي يكون فيها النموذج الحقيقي للقيم الرزقية (أي القوة الاقتصادية والتقنية وهي الوضعية الغالبة في البلدان المتقدمة)

ط- والوضعية ذات الصلة التي يكون فيها النموذج الحقيقي للقيم الرزقية (أي القوة الاقتصادية والتقنية وهي الوضعية الغالبة في البلدان المتقدمة)

ي- والوضعية ذات الصلة التي يكون فيها النموذج الحقيقي للقيم الرزقية (أي القوة الاقتصادية والتقنية وهي الوضعية الغالبة في البلدان المتقدمة)

ك- والوضعية ذات الصلة التي يكون فيها النموذج الحقيقي للقيم الرزقية (أي القوة الاقتصادية والتقنية وهي الوضعية الغالبة في البلدان المتقدمة)

ل- والوضعية ذات الصلة التي يكون فيها النموذج الحقيقي للقيم الرزقية (أي القوة الاقتصادية والتقنية وهي الوضعية الغالبة في البلدان المتقدمة)

يكون عندي مانع أصلا لاستماتع الصانع بهذه المنع

كفكيف يستطيع الصانلوا وأبناء السبيل الحصول على مشروباتهم وماكولاتهم في أخطر الضنالك إذا لم يدفعوا من حريتهم للأحزاب التي أضفت من كان يمكن أن يصح مبدعا فحضرته عليه منزلة الكدائين ؟ وفي الحالتين سواء كان من الأثرياء أو من الكدائين فإن محضرات الإبداع المزموع التي لا يحيا المنع والوهوم من دولها دليل قريحة تعمل بالنهيات كججوز الصللات أو بالذائع الوارد كالمحرك البار. فكيف يكون ما انحل إلى منزلة البضاعة الكاسدة ثمرة لتجربة فنية صادقة ؟ إن مثل هذه التجارب حتى إذا صدقت، فإنها لا تكون حقيقية إلا في حصولها الأول ومرة واحدة. أما إذا تكررت إيماناً فإنها لن تصيف لتجربة لبيان لأشرة شعاعية فيكون صانعها بلسان أطفالون كألأرب يستمتع بحك بشرته الجرياء وليس مبدعا يرتفع بوجدانه إلى السماء.

وذكرنا كذلك أن النخب الوجودية (أي القيمين على الفكر الديني والفلسفي) أصبحت خاضعة للنخب العملية (من يدهم السلطان السياسي) ليس بحسب لأن منتج العمل الوجودي صار خضاعة سوية (بمعنى الكلمة) بل لأن منتج العمل الوجودي أصبح مضطرا لبيع نفسه لأدع صار يعيش على غذاء صناعي يحقق له القطعية مع الإدراك العادي للجمال ويضطره إلى تمويهها بتجارب اركاية لا تحصل من دون مؤثرات كيميائية تمثها تخلي المدمن عن حريته بالتسريح؛ أهمها الخمر والخدرات والجنس والمآذب الباطلة. وعليها فليس كلامي في هذا الأمر من باب إخضاع

القيم الدوقية للقيم الحقيقية فعندما يكون المجتمع التزويقي قادرا على ذلك بحيث يكون غنيا عن التنازل عن القيم الضنية ثمنا لإرضاء من يوفر له أدوات اللذة فلن

يكون غنيا عن التنازل عن القيم الضنية ثمنا لإرضاء من يوفر له أدوات اللذة فلن

يكون غنيا عن التنازل عن القيم الضنية ثمنا لإرضاء من يوفر له أدوات اللذة فلن

يكون غنيا عن التنازل عن القيم الضنية ثمنا لإرضاء من يوفر له أدوات اللذة فلن

يكون غنيا عن التنازل عن القيم الضنية ثمنا لإرضاء من يوفر له أدوات اللذة فلن

يكون غنيا عن التنازل عن القيم الضنية ثمنا لإرضاء من يوفر له أدوات اللذة فلن

يكون غنيا عن التنازل عن القيم الضنية ثمنا لإرضاء من يوفر له أدوات اللذة فلن

يكون غنيا عن التنازل عن القيم الضنية ثمنا لإرضاء من يوفر له أدوات اللذة فلن

يكون غنيا عن التنازل عن القيم الضنية ثمنا لإرضاء من يوفر له أدوات اللذة فلن

يكون غنيا عن التنازل عن القيم الضنية ثمنا لإرضاء من يوفر له أدوات اللذة فلن

يكون غنيا عن التنازل عن القيم الضنية ثمنا لإرضاء من يوفر له أدوات اللذة فلن

## أكثر الدول العربية شروعا في العلمنة. أعني الدول التي حكمتها الأحزاب القومية قد تبين من أكبرها أنه قد عاد بشعبه إلى العشائرية والقبلية المتقدمة حتى على الإسلام



الدولة والنخب والزقية والنخب النظرية والنخب العملية والنخب الوجودية نخب يحددها توفيق وزرق ونظر وعمل، ووجود خفستها سلمي مصدرها لاستنادها إما إلى الماضي الأهلي المعارض لا بدأ سيبت من الماضي العربي في مجتمعاتنا أو إلى الماضي العربي المعارض لا بدأ يستعاد من الماضي الأهلي.

ومن ثم فالرأي العام المحدد تحديدا إيجابيا ليس هو الرأي العام الأهلي ولا حتى الرأي العام العربي بمصدر القيم فيه، وعنده، بل هو المفايات الغربية التي تقاسم المفايات المحلية ثمرات الاستعمار الباطل (وهو استعمار بالمال والنخب التي نوسها الاستعمار في إدارة مستعمراته السابقة) الذي ولي الاستعمار الظاهر. وتعلل الشكل الظاهر من الاستعمار سيعود من جديد لأن أمريكا بدأت تخشى من التدخلات الخفية للقوى المنافسة. لم يعد التسيير من بعد يمكن لانتاح لعب القوى المحلية قريبا افتتاحه على الأقطاب الأربعة في ما تعتبره مجالاتها الحيوية من منطق الاستعداد للمعاليق الأربعة المتتالية. الصين وتوانها والهند وتوابها وروسيا وتوابها وأوروبا وتوانها. ولم يبق للرأي العام الأهلي إلا التحديد السليم فضلا عن امتناع الوصول للرأي العام العربي الجيد حقا للقيم في بلده.

ويكون هذا التحديد السليم إما يرفض ما بدأ ينبت من الماضي الغربي في مجتمعاتنا (قيم الحداثة وهي ماض لا الحاضر الغربي محكوم بقيم أخرى فضلا عن كون الحاضر لا يحاكم لعدم استناده) وعدم حدوث طوفان فضاء رفضا يتأسس على تجميد قيم الدين في الشكل الذي حصل لها في ماضي المسلمين أو يرفض ما بدأ يستعاد من الماضي العربي فيها (قيم الأصالة أو القيم التي تحكم الحاضر مجرورة ومن ثم متأخيرة مقبب فلا نعلم على وجه العمدة طبيعة القيمة المؤثرة في حياتنا الخلقية لغاية الكتاب الجمعي والتما في كل مجالات القيم الخمسة)

أما السيطرة على الجهد المادي من المجتمع المدني فهي جزء من سلطان النخب الزقية سواء كانت من أصحاب القوة رأس المال وتوابهم أو من أصحاب القوة العاملة وتوابهم أو من النخب المتكلمة باسم هؤلاء أو أولئك من طلاب المثقفين والإعلاميين. ومن ثم فخنبتنا تستمد نوجيتها من سلسلة نفوذية معقدة ومركبة يمكن وصفها على النحو التالي. فهي لا تستمد دورها من كونها مبدعة لما تحدث باسمه فتسمى بالنسبة إليه، وليس ذلك لفضالة الإبداع فحسب بل لأن الإبداع لم يصبح مصدرا لمنزلة فاعلة في المجتمع فتكمن صاحبها من أن يكون ذا تأثير رمزي يحرك وذلك بسبب ما حل بادانقة العامة من تبديل لعل أهم أسبابه النسخ الميخنة من الإبداع الحقيقي في الغرب وخاصة نسخ الأدب المعسر أو السينم. ما تزال الدائفة العربية محكومة بالمعارضة التالية. فالنخب القديمة المؤثرة فضت تأثيرها لزوال التأثير الرمزي الذي يعد أساس الدور الذي يؤديه فقهاء الشريعة والمتكلمة ومتكلمو اللاهوت وشعراء البلاط، والنخب البديلة لم تصب بعد مؤثرة لعدم شروح التأثير الرمزي للردود الذي يمكن أن يؤديه فقهاء الوضع والفنانون ومتكلمو النساوت وشعراء الحظ. لذلك فإنه يمكن لإعلامي كعبد أو لعينة طروب أو لرافعة لعوب أن يكونوا أكبر تأثيرا من كلا العنصرين. صنف النخب التي دورها هات أو صنف بدالهما التي تزعم أن دورها أت.

وإذن فليس من المصادفة أن احتاجت النخب التي تدعى أداء دور المثقف إلى الاتكاء على سلطان روائي يكون سلطان النخب الزقية أو النخب العملية والأخلاقية أو الأجنبيين. وذلك هو مفهوم الجاه بمعناه الخدموني. بل إن النخب

الداخلية منذ خلدن ومتساحبتان فكتلتها تابعة للأحرار مع غلبة تبعية الأولى للنخبة في الظاهر خلال بداية الجهود التي تحتاج إلى القوة المباشرة (قوة السلاح) وغلبة تبعية الثانية للأولى في الباطن خلال غايتها التي تحتاج إلى القوة غير المباشرة (قوة المال). فهي بداية العهد تكون القيم الزقية تابعة للقيم العملية في الظاهر لأن برجوازيتهما إلى صحت التسمية والنسبة وصلت إلى الشرة على طريق النسبة وبخلاف البرجوازية الغربية التي وصلت إلى السلطة عن طريق الشرة والأمر كذلك لعيايل الدور المؤثر للقطاعات المختلفة فالملط المدني (المجتمع المدني من حيث هو مصدر القيم؛ دور التخصيمات عبر السياسية لحصانة الحقوق للقيم والمعنوية مثل النقابات والجمعيات) واللفظ السياسي (والجمع السياسي والعشائري أو الطوائف بحسب المجتمعات) كلاهما غير معدوم. وفي غاية العهد تكون القيم الزقية تابعة للقيم الزقية في الباطن عندما يصبح للسلطة دور استموجع أو أن تكون النخب المستعبدات دور استموجع على الشرة الوطنية فتسعى للحفاظ على راضن الوضع (الاستاتيكي) لخدمة دولة القانون والديمقراطية شرط أنها من سؤال من انتقل من يد اليد للسؤال إلى مله الجيب بمال من غير موارث أو أعمال. وبدلك فالنخب الزقية تكون في البداية تسعة بصورة غير مباشرة للنخب العملية بتوسط النخب الوجودية التي تغل سلوكتها والنخب الوجودية تكون قائمة بصورة غير مباشرة للنخب الزقية بتوسط النخب النوقية التي تعارض النخب الوجودية. يمكن أن يتسكن الأمر في الغاية. لكن التداخل لحدت تبعية القيم بعضها لبعض لا يقتصر على علاقات النخب الداخل بعضها ببعض. لذلك فالمعالة تحتاج إلى تليل التحليل. فهي البلدان المتقدمة التي تستيعب الالاد المتخلطة تكون القوة غير المباشرة هي الأساس مباشرة بشراء النخب السياسية وبصورة غير مباشرة بتوجيه الرأي العام تحكمها هي الالاية الديمقراطية بشراء النخب الدوقية والنخب الوجودية الثاوتلتن معها من خلال إصعاع الشروعية على سلوكتها. لذلك فينبغي أن نعكس في وضعية البلاد المتقدمة. إذ تكون النخب العملية هنا تابعة للنخب الزقية مباشرة أو بتوسط دور النخب الدوقية والنخب الوجودية التي تعيش على ما ترميه لها من هتات تنشأ في الرأي العام وتسيطر من ثم على المجتمع المدني في العهد الرمزي

رفضا يتأسس على تجميد قيم العقل في شكل التحقق الذي حصل لها في ماضي العرب. ومعنى ذلك أن كلا الموقرين يحدد واقعا قد حصل (صورة عن الماضي الأهلي أو الأجنبي) فيحوه إلى مثال أعلى قاتلا بذلك الحاضر وحائلا دون أي تحقيق لاستقبال حريته عاده بالعلقة بين الواقع حي ومثال أعلى لم يتحقق سابقا حتى يكون الوصول بين الواقع الحي والمثال المطلق فخامسة مجرورة عملية وليس مطاكة لأعراض مجرورة تصورات ميتة لواقعين كلاهما شع مونا.

فدما في هذه المحاولة أمثلة البات تكون النخب ومنطق علاقتها بالرأي العام المحلي والدولي. أعني جوهر فعلها المدني. وكانت الأمثلة ذات بعدين تصوري وتاريخي يبينان التصادم بين خط المعصام المعصومي (سبب الأصولية الدينية والأصولية العلمانية) وخط المعصام الألفي (بين العمل على علم طبيعة الفعل التاريخي والتخبط للجهل بها). ولا أقل أهدا يتناقش في ما رصمناه توصيما لنخب الحالات القيمة لخدمة بحسب التحديد النظري والتمثيل بين للعمان ومن ثم فهو غني عن التمثيل لا أحد يشكك في تبعيةهما أو في كونهما يستدان النجومية سلب (من لا ترضى عنه نخب مجاله في الغرب) (من ترضى عنه نخب مجاله في الغرب) من القوى الاستعمارية. لا أحد يمكن أن يزعم أن رجال الأعمال في الوطن العربي يمثلون نخبة ذات إبداع قيمي في الحال الاقتصادي. ويكفي دليل واحد لسبب شرطي نعم كل إبداع في الحائزين هو كانت نخب الرزق نجبا ذات قوة غير مباشرة مستقلة عن أصحاب القوة المباشرة (المفايات الحاكمة) لكادوا أول الساعين للشوحد العربي على الأقال ليكون لهم قاعدة كاهية لحوض سراع الحيات في السوق المالية في أي مادة للأعمال. لكنهم في الحقيقة لا يمل لأصحاب القوة المباشرة أو هم هم، فالصل الحق لشروط تعامل المصالح بين البختين لم يحصل بعد حصولا كافيا يمكن من العمل المثقل لو كانوا نجبا ذات ألق يتجاوز الأعمال الحميرة لكائن عيونهم مصيرة ولما بقيت أيديهم قصيرة؛ لو كانوا حقا نجبا مبدعة لأصبحت القوة

## كتاب الزاوية

الكاتب المصري

طه حسين

في افتتاحية العدد الأول من مجلة «الكاتب المصري» قال محمد طه حسين. ولكل أديب في قمران آسياسين، يكفل أحدهما له الثبات والاستقرار، ويكفل ثانيهما له الزمن والتطور والارتقاء

فهذه المجلة ستحرص أشد الحرص على العناية بهذين القومين للأدب العربي، فتعنى بتقديم هذا الأدب، تدرس تاريخه وتكشف أسواره وتحبب آثاره، وتعنى بالأدب الحديث الذي ينتجته الممارثون من كتاب الشرق العربي تذيبه وترسمه وتقدمه وتشجعه وتجعله غذاء لعقول العرب وقلوبهم وأذواقهم، وتهبته لعقول غير العرب من أبناء الأمم الأخرى المتحضرة، بحيث يمكن أن ينتقل إلى اللغات الأوروبية المختلفة.

وستأخذ هذه المجلة نفسها بقانونين لن تحيد عنهما مهما تكن الظروف. أحدهما الشدة على نفسها وعلى كتابها وقرائنها فيما تنشر وما تنقل من الفصول. فلن تقدم إلى قرائها إلا هذا الأدب الذي ينطق صاحبه بإنجازه الجهد المتيف والوقت الطويل.

القانون الثاني هو الحرية الواسعة الكاملة المسمحة فيما تنشر وفيما تختار من آثار القدماء والمحدثين ومن آثار الشرقيين والغربيين، لا تنظر في ذلك إلا إلى الفن الخالص وإلى قيم الثقافة العليا وما يحقق التعارف والتواصل بين الذين يمثلون هذه الثقافة من رجال الأدب والعلم والنم.

لقد رأس طه حسين تحرير مجلة «الكاتب المصري» منذ صدورها في أكتوبر ١٩٤٥ عن دار الكاتب المصري للطباعة والنشر، وطوال صدورها فترة استمرت ثلاث سنوات حدد خلالها مفهوم الصحافة الأدبية في محورين يستقطبان كل أبحاثها هما: العرض والقد، عرض الفكرة الجديدة أو الكتاب أو الأثر القديم، ومن خلال هذا الاحتكاك بين العرض والقد يرس طه حسين مفهوم للصحيفة الأدبية أو الفكرية العامة، لإعلاء الفكر العربي وتاصيله من خلال التعريف والتصحيح والتقويم من النطاق الفكري أو الخلقى على السواء.

وقد أعادت مكتبة الأسرة نشر مجلدات «الكاتب المصري» عام ٢٠٠٣ بدراسة ومقدمة للدكتور عبدالعزيز شرف، واختارت وجهات نظر متمثلات من المجلد الثامن.

المباشرة تامة لهم مدل أن يكونوا هم تامين لها ومن ثم خلقوا قوى سياسية تحقق الوحدة كما حصل في أمريكا سابقا وكما نراه يحصل في أوروبا حاليا وكما هو منطبق كل الوحدات في التاريخ الإنساني. ولا نستثنى من هذا المنطق الوحدات التي حققها العقيدة الدينية فالدين عندما يكون ديننا صادقا وليس مجرد نفاق كما هو شأن الأديان المحرفة ومنها إسلامنا الرسمي، عندها يكون سببا لإثراء الأرض ومن ثم لفعلال القوة غير المباشرة دور الدافع الأساسي في تحقيق الوجود السياسي والحضاري للأديان. ولعل أهم مصامين الرسالة القرآنية في قصص الأنبياء بيان هذه الحقيقة التي لا جدال فيها، لا معنى للأخرة من دون مطيتها التي هي الدنيا إرثا لها وحماية من الفساد في الأرض ومن ظلم المستضعفين.

ولو كانت نية العمل نخباً ذات قوة ذاتية وليست تابعة للمافيات الاستعمارية التي تستعصب للخبخ الخزيقية في بلادها (على الأقل يجعلها في خدمة الصفقات التي هي نخب مشترك ومنظم لشروات بلادنا) لكانوا أول الباحثين عن شروط استقلال السياسي اعني النخب العملي للأرداة، تماماً كما فعلت نخب أوروبا التي تنازلت عن العقيدة القومية رغم وجود القوميات وجوداً فعلياً (تعدد اللغات والثقافات الأوروبية أكثر من عشرين لغة) في حين أن نخبة السياسة هي أكثر النخب الساعية إلى خلق قوميات من عدم باحياها ماض متقدم على الإسلام

لم يعد إلا لسلعة سياسية ولتأنيخ في بقايا الاستعمار إلى حد تقسيم الوطن إلى جهات مناضرة لمناطق الاستعمار السابقة والتعبئة اللاحقة. ولكن مسكة الختام الكلام على النخبة التي انتسب إليها وإزعج الدعاية بها أكثر من دوايتي بالنخب الأخرى. النخبة الطغرية التي ينبغي أن تكون قدر المستطاع محايطة في علاجها للمسائل حتى تتمكن من معرفة الأدواء وعطلة الدواء. وهذه هي الحالة أو طبعه فعالية المجتمع المدني في الحضارة العربية الإسلامية. لكن أعضاء هذه النخبة يتصورون أنفسهم ماحثين علماء أو أساتذة جامعيين لجر كونهم لهم هذا الموقع في أندية الجامعات وأشباه الدول التي تحكم افطار الوطن رغم غياب الشروط الدنيا لهذه الهام الأساسية في العمران البشري. فأكثر هؤلاء تزعموا للتطوير أكثرهم فيها لشروط القيام

الحضاري والتاريخي للأمم عامة وللأمة العربية خاصة ومن ثم لكل معنى يمكن أن ينسب إليه مشروع التنوير تجاوز الحدود القومية بل والثقافية إلى الكونية المتوالية في الزمان والمتساقفة في المكان بخلاف ما يسمى إليه أشباه مفكرين معن يريرون القومية إلى قوميات شبيحت موتنا لحد أن ذلك يقدمهم بمقفاز النجومية. انهم يريدون أن يحققوا تحديثاً فزوقاً بحسب أيديولوجيات لم يستوعبوا لوازمتها ومن ثم فهي غير مفهومة لهم لجر جهلهم بشروط تحقيقها في الواقع التاريخي الفعلي بحيث إن كل ما حصلوه من علم جعلوه وصفات معيارية للتحويل بديلا من التأويل بحسب الزعم الماركسي. وفي حين يكون البحث العلمي عادة عملية صياغة متصلة التعديل للبناءح رمزية هدفها تحليل الوجود وتحقيق المنشود تجد الزعم علماء في جامعاتنا ومعاهد البحث أكثر طوباوية من أكثر الناس جهلا بشرطي العمل على علم. فاقمعل على علم يقتضي أن يطعم المرء الواقع الموجود وأن يفسح الطريق والجسور الواصلة بينه وبين المثال المنشود بشرط أن يكون سلوكه من البداية منطلقاً إلى النهاية. سلوكا مبني المراحل ومصحوبا بالرؤية السانقة استنادا للإنتاج وبالرؤية المصاحبة لجويدها له وبالرؤية اللاحقة نقدا لجوازيه للتطوير حتى يتطابق النظر والعمل تطابقا. مهمة التقدم العلمي تصحيح المسافة بين وجهيه

أما أن يكون الواقع مجهولا تسام والحوال أن يكون المنشود مجرد محاكاة لأمر هو بدوره معلوما علما فهنا ليس عملا على علم لخلوه من شروط العلم النظري المحتجج والرؤية المعتبرين المرابطة. لذلك فاقول في هذا يعتبر عين الفساد في الأرض. وما أوصى به ابن خلدون من ضرورة استبعاد المتصدين للتطوير الذين هم من على النوع يقش حسب رأبي أكبر حكمة قالها هذا العملاق الذي لخص في جملة واحدة عاهة المتطرفين الذين هم على السياسي من غير تجربة ولا علم حقيقيين، فيكون إلاؤهم بدواهم في الحياة أضفان أحلام تقصي على الحقائق بالأوهام وذلك هو عين السقام الذي تعتبر نخبة الجامعة التي لا تميز بين ترميد الضمائر والكلام دون خبرة ومعاداة للاجتهاد المينع لتصورات الوجود وتوقعات المنشود أعني لا لا يمكن الحضارات أن تقوم من دوله. ■

# هل ارتفع سعر النفط (!!!)

\$ 138

حسين عبد الله

وكانت نتائج المعارك على الجبهة المصرية قد أخذت تؤكد أن الجانب العربي سوف يطلع على استرداد كرامته ومع هو معروف من ارتباط أسعار النفط بالسيادة الوطنية وبحرية الإدارة، اشتدت عزيمة المفاوضين العرب، ومهمهم إيران، فرفضوا مقترح الشركات في فيينا، وأدركت الشركات حقيقة ما يجري في ساحة القتال، وهو ما أصاب العالم بالذهول، فعادت تعرض ورفع السعر إلى ٤٥,٣ دولار للبرميل إلا أن فريق الخليج، الذي عزز الانتماء المصري إلى مصر، أصر على موقفه المتواضع، رفض مرة أخرى الاقتراح الشركات عندئذ قام مفاوضو الشركات بالتنازل مع محاسن إدارتهم فجاءهم البرد إلى الشركات لا تستطيع أن تدفع أبداً بعد من ذلك بدون التنازل مع حكومات الدول المستهلكة للنفط وهي أساساً المجموعة الصناعية العربية بقيادة دوليات المتحدة، وبعد أن توقفت المفاوضات يومين استطاعت الشركات خلالها إزاء عدد من الحكومات الرئيسية المستهلكة للنفط ومنظمة OECD، فيما إذا كان يجب عليهم تحسين الأسعار إلى الحد الذي يجعلها مقبولة من دول أوبك، جاء عدد الحكومات سلبياً والإجماع تقريبا، عندئذ طلب ممثلو الشركات في فيينا من دول أوبك يوم ١٢ أكتوبر تأجيل المفاوضات لمدة أسبوعين لإجراء مشاورات أخرى مع الحكومات سلبياً والإجماع تقريبا، عندئذ طلب ممثلو الشركات في فيينا من دول أوبك يوم ١٢ أكتوبر تأجيل المفاوضات لمدة أسبوعين لإجراء مشاورات أخرى مع الحكومات المستهلكة للنفط، وكان الانتماء المصري إلى المعارك قد تأكد، فرفض وزراء الاقتراح وتوقفت المفاوضات

وفي يوم ١٥ أكتوبر خرجت طائرة مصرية تحمل وفدًا تقنياً مصريا برئاسة وزير البترول المصري، ثم توقفت في الرياض لكي يصعد إليها وفد نفطي سعودي، واتجهت بعد ذلك إلى الكويت حيث شهد فندق شيراتون بها اختراق القرارات التي قبلت السابقة على صناعة النفط إلى أصحابها الشرعيين بدأ الاجتماع يوم ١٦ أكتوبر بمشاركة وزراء النفط من دول الخليج أعضاء أوبك، وهي السعودية والكويت والعراق والإمارات وقطر بالإضافة إلى إيران، حيث تقرر، من جانب واحد، وأول مرة في تاريخ صناعة النفط، زيادة سعر النفط من ٣ دولارات إلى ١٢,٥ دولار للبرميل، ولم تشارك مصر علناً في هذا الاجتماع لأنها لم تكن عضواً في منظمة

ومع تدنى السعر الاسمي والحقيقي للنفط على هذا النحو، ارتفع تدفق الصناعات الغربية المتحولة من المحم إلى النفط من نحو مليون برميل يوميا عام ١٩٥٠ إلى ١٥ مليون ب/ي عام ١٩٧٠ ثم إلى دولة عند ٥,٢٢ مليون ب/ي في منتصف السبعينيات

## حرب أكتوبر تصحيح الفئ

باستثناء فترة قصيرة في منتصف السبعينيات تحسنت خلالها عائدات النفط تحسناً طفيفاً بإجراء اتفاقيات طهران وجنيف الأولى وجنيف الثانية مما سبى ذكرها فيما بعد، فإن التصحيح الحقيقي للميزان الذي كان يلحق بتصحيح الدول المصدرة للنفط لم يتحقق إلا بفصل العصور المصرية لقناة السويس في حرب أكتوبر ١٩٧٣، فالسعر الاسمي للنفط لم يكن يتجاوز قبيل الحرب ٣ دولارات للبرميل، كما لم يكن نصيب الدول المصدرة للنفط يتجاوز دولارات وفي محاولة لتحسين الوضع عقد اجتماع وزاري استثنائي لدول أوبك في فيينا يوم ١٥ سبتمبر ١٩٧٣ حيث تقرر أن تتفاوض الدول بصورة فردية أو جماعية مع الشركات لترفع الأسعار، وتحدد لبدء والمفاوضات بين مجموعة دول الخليج والشركات في فيينا يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣، وكانت المعارك على الجبهة المصرية مع إسرائيل قد سبقت هذا الموعد ببومين، ومع ذلك التقى مندوبو الطرفين في الموعد المحدد حيث عرض ممثلو الشركات رفع السعر من ٣ دولارات إلى ٢٥,٣ دولار للبرميل، أي بزيادة ٢٥ سنتاً،

وقد اضلحت أوبك خلال عقد الستينيات من القرن الماضي في تثبيت أسعار النفط من حيث قيمتها الاسمية، إلا أنها لم تفلح في وقف تدهور الأسعار من حيث قيمتها الحقيقية، فإبقاء حصيلة الصادرات النفطية على استيراد السلع والخدمات من الدول الصناعية الغربية كانت أقرب ما تكون إلى تبادل سلع Barter ومن ثم اتجه معدل التبادل الدولي بين الجانبين ليشتمل على مصطلح Terms of trade الصناعية لتفلسف أسعار النفط من ناحية، والارتفاع المطرد في أسعار تلك السلع والخدمات من ناحية أخرى، وتوضيحاً لذلك فقد ارتفع الرقم القياسي لأسعار الناتج القومي الإجمالي GNP لمجموعة الدول الصناعية العربية من ١٠٠ إلى ٢٦٠ خلال الفترة ١٩٦٧-١٩٧٠، وباستخدام المؤشر المشتق من هذا الرقم القياسي GNP deflator توضح أن سعر النفط الذي انخفض في صورته الاسمية من ١٨,٢ دولار للبرميل إلى ٨,١ دولار خلال الفترة المذكورة في أسعار النفط، وأيضاً بعد صورته الحقيقية إلى ٧٠ سنتاً للبرميل مقومة بدولارات عام ١٩٦٧ وذلك نتيجة لاتجاه معدل التبادل الدولي لصالح الدول الصناعية، بل إن نصيب الدول المصدرة للنفط لم يكن يزيد على ٥٠٪ من ذلك السعر بعد طرح التكلفة وفقاً لاتفاقية مناصفة الأرباح، وبذلك لم يكن هذا التصحيح حتى أوائل السبعينيات يتجاوز ٣٠ سنتاً للبرميل مقومة بدولارات عام ١٩٦٧ وهي نفس القيمة التي كانت تلك الدول تقاسصاها كحد أقصى في ظل نظام العائد المفلو قبل إدخال مبدأ مناصفة الأرباح.

تعالى الصباح في العالم الصناعي الغربي وهو يرى السعر الاسمي Nominal price للنفط الأمريكي يتخطى حد ١٠,٥ دولار للبرميل بينما لم يتجاوز متوسط سعر برميل من سلة أوبك ORB، وهي مجموعة من النقط ذات مواصفات فنية أدنى من النفط الأمريكي ٩٠ دولاراً على اعتماد الربيع الأول من العام الحالي ٢٠٠٨، وسوف نبين في هذه الدراسة الموجزة أن السعر الاسمي للنفط أوبك يمكن أن يصل الآن إلى ١٣ دولار دون أن تلام عليه الدول المصدرة للنفط، لأنه حقها المشروع من ضوء المبادئ التي تحدد العلاقة بين السعر الاسمي والسعر الحقيقي Price in real terms.

هذه هي الأسعار الاسمية التي يتركز الاهتمام حولها فيما يثار من حوار بالنسبة لأسعار النفط، بينما الأجدى أن يدور النقاش حول السعر الحقيقي، أي سعر بدولارات ثابتة القيمة بعد استبعاد ما طرأ عليه من عوامل التضخم التقدي والتخفيض في سعر صرف الدولار الذي يتحد أساساً لتسعير النفط، وأيضاً بعد إضافة ما يستحقه النفط من هلاوة خاصة اعترفت بها الصناعة وتضمنتها اتفاقيات دولية أبرمت بين الدول المصدرة للنفط وبين شركات النفط العالمية في منتصف السبعينيات من القرن الماضي كما سنوضح فيما بعد.

وكان ربع القرن السابق على حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد شهد صورة من صور التباين بين السعر الاسمي والسعر الحقيقي، إلا أن نصيب الدول المصدرة للنفط في الشرق الأوسط من عائداته يتحدد قبل عام ١٩٥٠ بعالم مقطوع يدعى كاتورة ويتراوح بين ١٠ و٣٠ سنتاً لكل برميل، فلما قبلت الشركات - تحت الضغوط المتزايدة، مبدأ مناصفة الأرباح، وصار سعر البعء الخام يتخذ أساساً لحساب تلك الأرباح منذ ١٩٥٠، اتجهت الشركات بحكم سيطرتها المطلقة على الإنتاج والتصدير والتصدير إلى تخفيض ذلك السعر خدمة لافصاء الدول الصناعية الغربية المستوردة للنفط ومساندة لها في إعادة التعمير بعد الحرب العالمية الثانية، وفي ظل تلك السياسة انخفض سعر النفط العربي الخفيف من ١٨,٢ دولار للبرميل عام ١٩٦٧ إلى ٨,١ دولار عام ١٩٦٠ حيث بقي ثابتاً عند ذلك المستوى حتى مطلع السبعينيات من القرن الماضي

## التصحيح الحقيقي للفئ الذي كان

يلحق بتصحيح الدول المصدرة للنفط لم يتحقق

إلا بفضل العصور المصرية لقناة السويس في حرب

أكتوبر ١٩٧٣، فالسعر الاسمي للنفط لم يكن

يتجاوز قبيل الحرب ٣ دولارات للبرميل

## أخذت الأسعار هي التآكل تدريجيا خلال النصف الأول من الثمانينيات ثم انهارت في عام ١٩٨٦ إلى ١٣,٥ دولار اسيميا وإلى ٥,٥ دولار في صورتها الحقيقية



في نهاية مارس ١٩٨٤ عندما تم رفعها بالتسوية للولايات المتحدة.

وهكذا تأكد منتج النفط، بفضل الانتصار المصري في حرب أكتوبر، أنهم لم يعاملوا على أنهم جزء ثانوي في الاقتصاد الدولي الذي تسيطر عليه المجموع الصناعية الغربية وشركاتها النفطية الكبرى. كذلك تأكدت هذه الثقة بالنفس بعد أن قبلت الشركات صاعرة زيادة الأسعار التي تقرر في اجتماع ١٦ أكتوبر وساندتها قرارات المقاطعة بتقليص العروض دون سائل في أسواق النفط. وكانت هذه هي المرة الأولى التي ينجح فيها أي تجمع لمنتجات المواد الأولية في العالم الثالث في السيطرة على مواردهم الطبيعية بمنزلة تلك الصورة الحاسمة ولما طلبت الشركات عقد جلسة في فيينا في أواخر نوفمبر ١٩٨٣ مع ممثلي الدول المصدرة للنفط من أجل استئصال، السياسة السعرية الجديدة، أصرت منظمة أوبك على ألا تكون الجلسة بأي حال جلسة مفاوضات، وأنه مهما يكن هيكل الأسعار في المستقبل فإنه سيتحدد بقرارات منفردة من المنظمة وليس من أية جهة أخرى.

وتأكيداً لهذا الموقف اجتمع وزراء الخليج أعضاء أوبك في طهران يومي ٢٢ - ٢٣ ديسمبر ١٩٨٣ حيث تقرر رفع سعر النفط مرة ثانية إلى ١١,٦٠ دولار للبرميل ساريا من أول يناير ١٩٨٤، أي بزيادة السعر إلى أربعة أمثال ما كان عليه قبيل نشوب المعارك. كما تجاوزت الزيادة العاصفية (٥,٨ دولار) عشرين مثل ما عرضته الشركات (٤,٥ سنتاً) أثناء التفاوض معها في فيينا بينما المعارك تدور على الجبهة المصرية.

توالت بعد ذلك القرارات النابعة من السيادة الوطنية التي استردها الدول النفطية تحت مظلة انتصارات أكتوبر. فقد كانت اتفاقية المشاركة التي أبرمت مع الشركات عام ١٩٧٢ تتيح للدول النفطية حق تملك ٢٥٪ من مرفق إنتاج النفط الخام على أن ترتفع تلك النسبة إلى ٥١٪ بعد عشر سنوات أي في عام ١٩٨٢. ولكن بدلاً من انتظار السنوات العشر استطاعت دول الخليج أن ترفع نسبة المشاركة في مستهل ١٩٨٤ إلى ٦٠٪، وبذلك صارت لها اليد العليا في إدارة الشركة. وتلى ذلك - كما هو معروف - سلسلة من القرارات والإجراءات التي انتهت بالتملك الكامل لكافة المنشآت النفطية القائمة على أرض الدول النفطية.

وهكذا جاءت الحصيلة النهائية لتداعيات حرب أكتوبر بمثابة إعادة هيكلة صناعة النفط بحيث انتقلت السيطرة الكاملة على مقدرات إنتاج النفط وتصديره إلى أصحابه الشرعيين، وارتفعت بذلك إيرادات تصدير النفط في

يكون الحد الأدنى للخضص ٢٥ مع الاستمرار في خفض الشهري بنسبة ٥٪. وكان الخفض يستهدف في الأساس مساندة السعر الذي ارتفع فزاع منصرف من المنتجين في ظل الانتصار المصري الذي حذر الإرادة العربية.

وكان مما شجع على رفع نسبة الخفض الاستدالي إلى ٢٥٪ أن ليكسون رئيس الولايات المتحدة أعلى يوم ٢٠ أكتوبر عن صيغة مساعدة عسكرية مقدارها ٢,٢ مليار دولار لإعادة تسليح إسرائيل. ومن ثم أعلنت المقاطعة النفطية لكل من الولايات المتحدة وهولندا التي تبنت موقفاً معادياً أثناء اجتماع السفراء العرب في لاهاي. وأضيق البرتغال إلى الدول المقاطعة لسماحها باستخدام معارثها في إمداد إسرائيل بالمعدات العسكرية. غير أن المقاطعة النفطية العربية لم تلبث أن أخذت في التراجع وتلاشت إلى حد كبير

مظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط (أوبك) وكانت مصر عضواً بها. ولأن الاجتماع كان يتم بالصفة السياسية فقد اجتمع الوفود تحت عنوان مؤتمر وزراء النفط العرب، بدلاً من الاجتماع العادي لمجلس وزراء المنظمة. وقد تقرر في ذلك الاجتماع خفض إنتاج النفط فوراً بنسبة ٥٪ شهرياً. ثم تقرر بعدها بأيام أن

أوبك وكان القرار صادراً باسم المنظمة. ولكن مصر كانت تتحمل المسؤولية الكاملة عن القرار بحكم انتصارها في المعارك التي استردت الكرامة العربية. والتي استهانت بها الدول المستهلكة للنفط. في اليوم التالي (١٧ أكتوبر) عقد اجتماع لوزراء الدول العشرة الأعضاء في





الدول العربية المصدرة للنفط في نحو ١٤ مليار دولار عام ١٩٧٢ إلى نحو ٧٥ مليار دولار عام ١٩٧٤ ثم تصاعدت لتبلغ ٩١ مليار دولار عام ١٩٧٧ قبل أن تقفز إلى ١٤٦ مليار عام ١٩٧٩ وإلى ٢١٣ مليار عام ١٩٨٠ إثر قيام الثورة الإيرانية

## كسب السعر الآن؟

دامت السيطرة العربية في مجال النفط عبر النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي، ثم تعززت تلك السيطرة الولايات الإيرانية عام ١٩٧٩ هارقتع السعر الاسمي إلى ذروته عند ٣٣ دولار عام ١٩٨١ وإن كان لم يتجاوز في صورته الحقيقية نحو ٥,١٠ دولار، معبراً عنها بدولارات ١٩٧٣.

ومع الوض الذي أصاب التضامن العربي وانعكس على ما تمتع به الدول النفطية من السيطرة على أسعار النفط، ثم بجاء الدول للصناعية الغربية بقيادة الولايات المتحدة في وضع خطط وبرامج لاستعادة سيطرتها على تسعير النفط، أخذت الأسعار في التآكل تدريجياً خلال النصف الأول من الثمانينيات ثم انهارت في عام ١٩٨٢ إلى ٥,١٣ دولار اسمياً وإلى ٥,٥ دولار في صورته الحقيقية.

وقد استمرت الأسعار الحقيقية تراوح حول هذا العدد، وإن تراوحت اسمياً حول ١٨ دولاراً. ثم مطلع ٢٠٠٤ عندما كشفت عن الاستثمارات النفطية عن توسيع القدرة الإنتاجية بحيث تواجه الزيادة غير المسبوقة في الطلب العالي على النفط. وقد أثبتت بذلك الاختلال في الهيئات السوق العالمية للنفط احتلال الولايات المتحدة للعراق وما ارتبط به من توترات جيوسياسية في منطقة الخليج عن توسيع قدم ثلثي احتياطات العالم من النفط، ومن ثم استمرت قفزات السعر الاسمي نحو ٢٨ دولاراً عام ١٩٩٢ إلى ٣٦ دولاراً عام ٢٠٠٤ وإلى ٥٠ دولاراً عام ٢٠٠٥ وإلى ٦١ دولاراً عام ٢٠٠٦ و٩٩ دولاراً عام ٢٠٠٧، ثم ٩٠ دولاراً خلال الفترة من يناير ٢٠٠٨ لآن.

وهنا يثور السؤال، ما هو السعر الحقيقي للنفط وما هو السعر الاسمي الذي يعبر عنه في الوقت الحاضر؟ في تقديرنا أن السعر الحقيقي للنفط يمكن أن يتحدد في ضوء ثلاثة مبادئ سبق إقرارها في اتفاقات نفطية دولية، وهي باليجار:

- (١) أقوت اتفاقية طهران التي أبرمت بين أوبك وشركات النفط العالمية في مستهل ١٩٧١ مبدأ ارتفاع سعر النفط بمعدل ٥,٢٪ سنوياً لمواجهة التضخم.
- (٢) كما أقرت الاتفاقية المذكورة مبدأ

زيادة مقدارها ٥ سنوات سنوياً كعلاوة خاصة باعتبار النفط ثروة ناضبة يتسارع نضوبها بإرداء الطلب عليها مما يجعلها تتسحق هذه العلاوة التي تستمد جدورها من القانون الأمريكي الذي كان يمنح شركات النفط إعفاء ضرائبي عرف باسم «مسموحات التخصيص، Depletion Allowance» تشجيعها على الاستكشاف وإحلال احتياطات جديدة محل ما ينضب منها. أما في حالة الدول المصدرة للنفط فإن تلك العلاوة الخاصة تستمد شرعيتها من الزيادة المطردة في الطلب العالمي على النفط والذي يؤدي إلى النضوب المتسارع لاحتياطياته ومن ثم ينبغي تعويض الدول المصدرة للنفط. وأخيراً دول نامية تعيش على استهلاك موزدها الرئيسي وهو النفط التي لا يتجدد معها طال الزمن، وكانت السنوات الخمس في اتفاقية طهران تعادل ٥,٢ من سعر النفط الذي كان يتراوح حينذاك حول دولارين للبرميل.

ومع أن اتفاقية طهران لم تعد سارية إلا أن مبدئي الزيادة السنوية لمواجهة التضخم والتعويض عن تسارع النضوب نتيجة للزيادة المطردة في الطلب العالمي على النفط مازال يصلحان أساساً لتسعير السعر حفاظاً على قيمته الحقيقية.

(٣) كذلك أقرت اتفاقية جنيف الأولى التي أبرمت مع الشركات عام ١٩٧١ مبدأ تصحيح سعر النفط تبعاً لما يطرأ على قيمة الدولار، الذي يستخدم لتسعير النفط. من تعيرات في مواجهة عدد من العملات الرئيسية، وبمقتضاها زادت الأسعار بنحو ٥,٨٪ اعتباراً من ٢٠ يناير ١٩٧٢ عقب صدور قرار تعويم الدولار في ١٥ أغسطس ١٩٧١ وما تبعه من تخفيض قيمته رسمياً في ١٥ ديسمبر ١٩٧١. فلما خفضت قيمة الدولار للمرة الثانية في ١٢ فبراير ١٩٧٣ أبرمت اتفاقية جنيف الثانية في يونيو ١٩٧٣ حيث زادت بمقتضاها الأسعار بنحو ١١,١١ مع تصحيحها شهرياً تبعاً لتقلب العملات.

هذه هي المبادئ الثلاثة التي ينبغي اعتمادها لتقدير معدل الزيادة السنوية لتدريج السعر الاسمي للنفط حفاظاً على قيمته الحقيقية وتعويضاً عن نضوبه السريع.

وبعد فاق أوبك بتقدير أثر عاملين من هذه العوامل الثلاثة، وهما عامل التضخم وعامل انخفاض سعر الدولار المستخدم في تسعير النفط. ومن ثم انتهى هذا التقدير إلى أن السعر الاسمي الذي بلغ في عام ٢٠٠٥ نحو ٦٤,٥٠ دولار لم يتجاوز بعد استبعاد أثر التضخم وانخفاض قيمة الدولار ٤١,١٠ دولار معبراً عنها بدولارات ١٩٧٣. حيث صحت خلاله الأسعار بمعدل انصاف أكثر وارتفعت إلى ٦٥,١١ دولار كذلك بلغ السعر الاسمي عام ٢٠١١ نحو ٨٠,٦١ دولار بينما لم يتجاوز السعر الحقيقي بعد استبعاد أثر التضخم وانخفاض قيمة الدولار ٢٢,١٢ دولار معبراً عنها بدولارات ١٩٧٣.

وما تقدم يصح أن السعر الحقيقي للنفط سابقاً باستبعاد عامل التضخم وانخفاض قيمة الدولار لم يعد يتجاوز خمس السعر الاسمي (٥,٢٪) من السعر غير أن تقديرات أوبك قالت أن تدخل

أثر المبدأ الثالث الذي أقرته اتفاقية طهران وهو زيادة السعر بمعدل ٥,٢٪ سنوياً في المتوسط لتعويض عن النضوب المتسارع استجابة لمطالب مستهلكي النفط. وخاصة الدول الصناعية الغربية التي لم يتردد فادتها، وهي مقدمتهم الرئيس بوش، في المطالبة هذا بأن تقوم أوبك بزيادة إنتاجها تخفيضاً لحد ارتفاع السعر. وهكذا يتركز اهتمام مستهلكو النفط حول المطالبة بخفض الأسعار الاسمية التي تتضمنها كإبالاتون بدلاً من التركيز على الأسعار الحقيقية التي تقلعت على خمس الأسعار الاسمية بتعجيل عاملين فقط من العوامل الثلاثة التي تحكم تسعيرها. وهنا تبدو منطقية المبدأ الثالث وهو

التعويض عن النضوب المتسارع الذي سبق إقراره في مستهل السبعينيات، وصار الآن اجدر بالتطبيق في ضوء الظروف المتغيرة. والتي تلتدبر أن العالم يقبل على فترة تشبع فيها الإمدادات النفطية ويحتل التوازن بين محدودية تلك الإمدادات والزيادة المطردة المتسارعة في الطلب العالمي على النفط.

وللتوصل إلى تقدير السعر الحقيقي للنفط بأعمال المبدأ الثالث لابد بتصعيد السعر الأساسي الذي صحت به أسعار النفط في ظل انصاف أكثر وهو ٦٥,١١ دولار بمعدل ٥,٢٪ سنوياً في المتوسط عبر ٣٥ عاماً (١٩٧٣-٢٠٠٨). بذلك كان ينبغي أن يبلغ السعر الحقيقي في الوقت الحاضر نحو ٦٥,١٧ دولار للبرميل معبراً عنه بدولارات ١٩٧٣. ومندرجاً في الارتفاع بالمعدل المذكور، وإذ لا يتجاوز السعر الحقيقي خمس السعر الاسمي كما أوضحنا، فإن السعر الاسمي الذي كان ينبغي أن يصل إليه سعر النفط في عام ٢٠٠٨ لا يقل عن ١٢٨ دولاراً للبرميل من سلسلة أوبك ويمكن أن يتجاوز به المستوى بالنسبة للنفط الأمريكي الذي يستمتع بمعاملة فنية تشفوق على متوسط نفوط أوبك.

في ضوء هذا التفسير المنطقي لتدريج سعر النفط، والذي يتماشى مع الارتفاع الذي شهدتهما عبر السنوات الـ ٣٥ الماضية أسعار السلع والخدمات التي تستوردها دول أوبك من الدول الصناعية الغربية. ينبغي أن تقنع تلك الدول بما خلفته أسعار النفط والتي تأكلت من حيث قيمتها الحقيقية منذ نهيارها في عام ١٩٨١. كذلك ينبغي أن تراجع تلك الدول إسرافها في استهلاكها مصادر الطاقة الفيرة وأهمها النفط والمعادن والدي شأنه كغشيف الاحتباس الحراري الذي يهدد البشرية بمخاطر جسيمة. وكشال على عدم الاقتدار بغير مصالحها فإن دول الكالويات المتحدة والتي تعتبر مسؤولة عن ربع الاحتباس الحراري عالمياً مارزات نصر على عدم الانضمام لبروتوكول كيوتو الذي يستهدف تخفيف الانبعاثات الملوثة للغلاف الجوي وتخفيف حدة الاحتباس الحراري حماية البشرية.

ولا يفوتنا أخيراً أن تشير إلى أن السعر الذي يجاز بالشكوى منه المستهلك النهائي في الدول الصناعية المستوردة للنفط كان ومارال يتضمن مرابح تصل إلى أكثر من ١٠٠٪ تقتطعت خزائن تلك الدول، وكان الأجدر بها إذا رغب في التخفيف عن مواطنيها أن تعيد النظر في تلك الضرائب والتخصيص وهو ما تستطيع خزانها أن تتحمله دون صعوبة. ■

## السعر الذي يجاز بالشكوى

منه المستهلك النهائي في الدول الصناعية المستوردة للنفط كان ومازال يتضمن ضرائب تصل إلى أكثر من ٧٠٪ تقتطعها خزائن تلك الدول

# وطأة التاريخ غير المحتملة ..

منى أنيس

الفلسطينية ومطالبهم بحرب التحرير الشعبية، وتقيم مقابلة مباشرة بين الغضب فلسطين واعتصاب قطعة أرض في الصعيد تقع شرق النخيل، وتدعو لعدم الاستسلام للمغتصب حتى وإن أدى ذلك للموت.

يقولون أنه عندما اقترب منهم المد العوضي له ورقة وقال لعمك واقع هذه الورقة فلا يعود بيننا وبينك شيء لكن عمك مشي كأنه لم يسمع فصبوا البنادق (...) وعندما مد يده ليبيعه (ابنه) حسين طنوت سيخبر مسدسه من جيبه فانطلق الرصاص وانفكح الابن يحضن الأب والأب يحضن الابن والدم يجرى مع الدم. رجع راجع إلى أبيه ورجعا معا لتقارب الأرض متوضئين طاهرين.

لنرى ما الذي حدا ببعض طاهر إلى اتخاذ هذا القرار باستنكاف الظن أن أسلوب مغاير لأسلوبه القديم؟ أظن أن التغير العميق في المناخ السياسي بعد موت جمال عبد الناصر ووصول النور الصادر إلى سدة الحكم والتضاييق على الكثير من التوجهات السياسية والاجتماعية للحقبة المصرية، وبإذات فيما يتعلق بالقضية الوطنية، كان له دخل كبير في هذا الأمر، خاصة أن بهاء طاهر وجد نفسه في مستنصف المسبعيات ميمدا عن وطنيته في الإذاعة المصرية التي التحق بها عام ١٩٥٧، الأمر الذي دفع به إلى مغادرة مصر والعمل بالخارج فترة امتدت لقرابة العشرين عاما. اعطى بهاء طاهر خمسة عشر عاما منها في سويسرا.



وأظن أن هذه الإقامة الطويلة في أوروبا قد اكتسبت بهاء طاهر حساسية شديدة للخصوصية والحد لما يوجد البشر وما يفرقهم، ولعواقب الإنسانية والثقافية الوخيمة لهزيمة الغرب، التقدم صناعيا، ولأليات القهر والخضوع المصاحبة لعملية الاستعمار القديم منه والجديد. والأمر الذي دفع ببعض النقاد إلى إدراجه ضمن كتاب مدرسة ما بعد الكولونيالية. ولكن، وبغض النظر عن التصنيفات النقدية، فإن بهاء طاهر أحد الروائيين العرب الفاضل الذين استطاعوا معالجة موضوعه الخراب

حمره غالبة وأربرا فضية لخميص وفي النهاية عندما وقعت أمام المرأة أصبحت وكأنني شخص غريب (...) تعجب الهوا من هينث وسائتي وهو يضحك إن كنت داهيا لأحط، فقلت له إن عندي موعدا ميمما في البيت وغير سبب أعطيته خمسة قروش فنظرت إلى باستخرا، فقلت له أن يدعو لي لأنني انتظر ثراقة، فشكرني ورفع يديه إلى السماء، وثمتم، وأرتبكت، وخرجت من الباب بخطوات مسرعة ولسعت الهواء في وجهي فعرفت أن درجة حرارتي مرتفعة. وبينما كنت في التاكسي بدا قلبي يدق بشدة. وتأكدت أن كل الكلمات التي أعددتها قد ضاعت وأنتى لن أعرف أن أقول شيئا لأبيها بعد عبارة مساء الخير، وبدا العرق..

وعندما يصل يطل القصة إلى شقة أهل الحبسية ويتلقى بالآب يتصاعد التوتر تدريجيا على المستوى الفعلي، حيث يجد بطلنا نفسه وسط محاكمة عينية يجلس الأب له تنتهي بألمه بأنه تورط في علاقة ترويض خاله عندما كان يقيم مع ذلك الخال أثناء دراسته الجامعية، وكلما حاول البطل الدفاع عن نفسه، كلما ازدادت حدة الحوار وأغل

الأب-الحق في أسئلته الجارحة والمهينة على نحو يذكرنا بمسرحيات العيب، بل وبمسرحيات هارولد پنتر على وجه الخصوص حيث يحل التوتر المتصاعد على مستوى اللغة محل الحدث الذي يكاد يغيب. ولعل هذا الاستشهاد الطويل بقصة «الخطوة»، يبيد في أذهان ما قسدت عندما قلت إن بهاء طاهر ربما توسل في الأعمار الطويلة التي تفصل ما بين تاريخ نشر قصص مجموعة «الخطوة»، التسع وتاريخ كتابة رواية «شرق النخيل»، من قناعة ما بأهمية تعديل مسار عمله الإبداعي. فهنا طاهر الذي تبنى الصوت الخافت في قصص المستعنيات وأوائل السبعينات، وما يتبع ذلك من تعقيب الحدث السياسي المباشر الغاطس كجمل الخرافات تحت الماء، عندما عاد إلى الكتابة في الثمانينيات عاد برواية سياسية بامتياز.

فشرق النخيل رواية عالية الصوت تدور أحداثها في أوائل السبعينات إبان ثورة الطلبة في مصر، تحكى عن مطهراتهم واعتصامهم في ميدان التحرير، وعن مناصرتهم للشورة

بهاء طاهر باختياره مجلة صباح الخير ربما كان يسعى للوصول إلى جمهوره له نفس خصائص الجمهور الذي اقبل على روايات إحسان عبد القدوس في الستينات من القرن الماضي - في نفس مجلة إحسان عبد القدوس ولعلني أتوقف هنا لأعترف بأنني أدمت قراءة قصص وروايات إحسان عبد القدوس في منتصف الستينات، وبأش بعد أن تعرفت على أعمال أدبية أخرى أكثر تعقيدا وأقل شعبية من قصصه أصبحت أخل من الجهر بهده الحقيقة أمام أصدقائي المثقفين. حتى وقعت في منتصف السبعينات أثناء التحضير لأطروحة ماجستير في سوسولوجيا الأدب على نص لخميص الإيطالي امطونيو جرامشي يتحدث فيه عن التمسك الشديد في التثقل من شأن القيمة الأدبية للأعمال واسعة الانتشار مجرد أن الجمهور لا يقرأه يقرأ عليها، وبنيها لأهمية دراسة ظاهرة الروايات المسجلة.



ولا أستطيع أن أجزم على وجه الدقة إن كان بهاء طاهر قد توسل لقناعة مسئلة لقناعة امطونيو جرامشي خلال السنوات الطويلة ما بين ظهور مجموعة «الخطوة»، وكتابة رواية «شرق النخيل». ولكنني أجمع هما متشابهة وراء اتجاهه للرواية والأسلوب الذي اختاره لرواياته الأولى. ولعلهم من الألفاظ لالتقاء هنا أن طاهر كاتب القصة المصرية شديدة الكثافة والتشعب، عندما اتجه لكتابة الرواية أخطأ لقمصه مسارا جديدا يبتعد عن عالم قصصه القصيرة المألوف والمتخوف على احتمالات لا نهاية لها.

ففي قصة «الخطوة»، مثلا، التي نشرها بهاء طاهر أول مرة في مجلة صباح الخير عام ١٩٨٢، لا شيء ذا بال يجري على محثى، الحدث، فحين أمام سطل متوضي من أبطال قصص الستينات (بطل صد) في طريقه إلى منزل ريمته في العمل بعد أن اتفق معها على التقدم لخطبتها.

كنت قد اعتنيت بكل شيء... أحسن صديق مجرب إلى حلاق مشهور قص شعره وصفق وذلك وقتي وقطعت وجهي. ويعد ذلك اشترينا ربطة عتيق

رواية الغروب، أحدث روايات بهاء طاهر التي غارت بالجائزة الدولية للرواية العربية في أول دورة لها الشهر الماضي. عمل روائي كبير لكاتب كبير، فهذا الكاتب الذي قد يلحق القارئ لتلوهة الأولى يهبط من قرط سلسلة أعماله الأدبية أنها اندفعت لتلقاني من قلمه دون جهد أو عناء يذكر. هو واحد من أكثر كتاب العرب المعاصرين وعيا بما يكتب وتأعلا للكمية التي يكتب بها، وواحد من أشهر صبرا على دروب الكتابة الفنية الموعرة. بل إن النظرة السريعة على أعماله القصصية تكشف على الفور أنها أمام كاتب شديد الترفيق فيما يكتب. لا يتجمل النشر قبل أن يطمئن تماما إلى اكتمال عمله على كافة المستويات.

انتج بهاء طاهر على مدى ما يقرب من أربعة عقود، هي مصر مسيرته الإبداعية أربع مجموعات قصص قصيرة وست روايات، يفصل بين كل عمل وآخر أربع سنوات في المتوسط، باستثناء الفترة القصيرة ما بين أعوام ١٩٨٢ و١٩٨٥ التي شهدت نشر روايتين ومجموعتي قصص قصيرة، ومع ذلك فإن هذه الأفعال الأربعة جاءت بعد فترة توقف طويلة دامت ١١ عاما لم ينشر خلالها بهاء طاهر شيئا. ورواية الغروب، التي أتم الكاتب كتابتها أواخر عام ٢٠٠٦، هي الرواية السادسة له بعد «شرق النخيل، ١٩٨٣، «قالت ضحى، ١٩٨٥، «حالات ضفية والدير، ١٩٩٥، «حب في المنفى، ١٩٩٥، و«تفتحت النور، ٢٠٠١.

ورحلة بهاء طاهر مع الكتابة القصصية، التي بدأت منذ أوائل السبعينات من القرن الماضي، رحلة تستحق التأمل. ولعل أول ما يلفت الأنظار في هذه الرحلة المثيرة هو فترة التوقف الطويلة التي امتدت ما بين أربع نشر مجموعته الأولى «الخطوة، عام ١٩٧٢ وتاريخ نشر روايته الأولى «شرق النخيل، التي حققت في مجلة صباح الخير عام ١٩٨٢، بل إن الألفاظ أكثر في هذا الأمر هو التحول المفير من كاتب النخيل، من طلبة يفتخر أعماله في مجلات أدبية متخصصة ومحدودة الانتشار، إلى روائي يحترق نشر روايته مسجلة في الصحافة التشعيرية وأظن أن هذا التوجه الجديد لم يكن محض مصداقه، وإنما كان اختيارا واعيا جها بعد طول تدرج لأهمية النشر مع جمهور أوسع من القراء، بل قد أقام بالقول إن

# واحدة بهاء طاهر

بهاء طاهر واحد من أكثر كتاب العربية المعاصرين وعيا بما يكتب وتأملا للكيفية التي يكتب بها



لروحي الناتج عن علاقات الهيمنة والتبعية تلك بتقنية فنية عالية وشغافية أسلوبية تكاد ترقى في بعض الأحيان إلى مرتبة الحبس الصوفي. وقد تناول بهاء طاهر هذه العلاقة الإشكالية بين غرب يطمح أن تغرقه العلمى والاقتصادى يعنى أيضا تمسوقا حضاريا وإنسانيا، وشرق يتعثر في محاولاته للشكك من هذه الرؤية المهيمنة، في العديد من أعماله بدءا برأيه بالأمس حلمت به، (١٩٨٣)، ففي هذه القصة القصيرة الطويلة الماتمة يلتقي برجل شرقي طردته مدينته الصاخبة للحرية في مدينة من مدن الشمال تخلو من الدفء أو الإثارة. يجد نفسه فجأة محط اهتمام فتاة تنتمي لهذه المدينة وتخلو حياتها هي الأخرى من الإثارة، فتستعصم عن هذا الأمر بأوهام ميتافيزيقية حول القدرات الخارقة لذلك الرجل الشرقي وتنبهه لها في المنام. وتنتهي القصة ب نهاية عاجزة تلقى ضوءا كاشفا على الآثار الكارثية لسوء الفهم العميق بين ثقافات الشرق والغرب، وتؤكد في نفس الآن على الحالة الإنسانية العامة التي توحد البشر التمساء دون تمييز في العرق أو اللون. وهذه العلاقة الإشكالية بين الحرب المستعمر (يكسر الميم) والنشوق المستعمر (مفتح الميم) هي في القلب من رواية بهاء طاهر الأخيرة «واحة العرب»، حيث تدور أحداث الرواية هي أواخر عقد الثمانينيات من القرن التاسع عشر، وبعد بضع سنوات من الاحتلال البريطاني لصمر عام ١٨٨٢، ومحمود عبد الظاهر لمر «واحة العرب» إنسان مهزوم على كافة المستويات العامة والخاصة، رأى بعينه هزيمة العربيين الذين تحمس لنضالهم من أجل أن تكون مصر للمصريين، حيث كان يعمل ضابط شرطة في الإسكندرية. عندما دكت البوارج البريطانية المدينة، ولكنه وبعد انتصار الإنجليز ومحاربتهم لقادة الثورة أثر السلامة. فتتكرر لثوار الأمس المهزومين.



وعلى الرغم من تكراره هذا إلا أن الحكام الجدد يتشككون في ولائه فيبعدونه إلى واحة سيوة واحة العرب - حيث الأمس

## الإقامة الطويلة في أوروبا أكسبت بهاء حساسية شديدة لما يوحد البشر وما يفرقهم



المصريين المعاصرين مقارنة بالأجداد. ولكن، مليكة، انهزمت في الرواية وماتت ويقي «وصفي»، ونسف المعبود هنا عمل موجه بالأساس لمنطقه، الذي هو أيضا منطق المحتل الغربي..

وأخيرا أسأل بهاء طاهر عن رأيته لنهضة الواسعة التي تفصل الثقافة الشرقية عن الثقافة الغربية، وما إذا كان التركيز على النتائج الوخيمة لفساد القيم المستمر يعكس إيماننا شخصيا بصعوبة إجراء حوار مسجل بين الثقافتين؟

يسارع بالنفي قائلا، كلا بالرة. أنا لا أنظر للأمور نظرة عنصرية، إن اهتمامي الأساسي هو بالإنش. بغض النظر عن أصولهم العرقية. غير أنني مهتم كذلك ببني الهيمية والإخضاع. ولا يهم هنا إذا كان المطل أسود أو أبيض. بل إن الشيء الجوهرى هو الطريقة التي يخضع بها بعض البشر غيرهم من البشر.

أقول مازحة، إلى أن ألههم لماذا تتنهي العلاقة بين الرجل الشرقى والمرأة الغربية في «بالأمس حملت بك، ورواية الغروب، نهاية مجتمعة. بينما هو نفسه يتبع حياة روجية ناجحة مع سيدة غربية. هي ستيفكا أناسا سوطا التي أهدى إليها بهاء طاهر «رواية الغروب» والجالسة معنا الشاة هذا الحوار؟

يضحك بهاء طاهر ويقول: «في العمل الأول نتحدر المرأة الغربية. ولكن الرجل الشرقى هو الذي يقتل نفسه في العمل الأخير. ليس هذا نوعاً من التعادى؟»

وعودة لرواية «رواية الغروب»، هذه رواية اعتمدت فيها بهاء طاهر بكل شيء، من تقنيته البناء الروائي، حتى المهارات الفنية للنش، ومرورا بالتطبيق الجوتى للفترة التاريخية، هي رواية عدية كنيج صاف لكاتب ذات مناصيب اللغة، فاصفحت له بحب، وهي أيضا رواية تتجمع فيها العديد من الخيوط التي نسجها بهاء طاهر في بعض اجمل اصنامه السابقة. وكان هذا الغروب قامت بتكثيف كل «الكون (كون بهاء الخاص) حتى اصبح كرة لعب تتدحرج في اتجاه الحلول المضمني، كما يقول الشاعر الكبير ت. س. إليوت في قصيدة «أغنية العاقق في سر بروك»، وهي القصيدة التي يردد بها بهاء طاهر ويحفظها عن ظهر قلب.

تحية لبهاء طاهر الذي صدق المبدع، ونهضت له في الأماق على ضوء الجائزته الدولية للرواية العربية. ■

وستستكمل. فقلت هامسا دون أن أتحرك من مكانى، لا يا إيسيت... لست أوسير (أوريس) ولكن أشالتي في صدري. (...) كنا نتمناق وكنا فوق جزيرة. كان الموج يقلى في السديم. وضرب صقر بجناحيه.

عالمنا العربى المعاصر، غير أنى اكتشفت انتهي من كتابة: الحب في المنفى. أنش قد فريحت من شهادتي حول السياسة في

أعماله السابقة من تصيد للنارح المصرى القديم، حيث تنتمى الرواية بنسف محمود عبد الظاهر كعيد مصرى قديم مكرس لعبادة آمون رع. بعد أن ضاق ذرعا بانشغال زوجته العربية المهبوس بلك رموز التفوق القديمة على جدران المعبد ولسانها لآى اعتبار آخر وتسببها في مصائب عديدة؟

يقول هو: هذه وليتكت أنت. أنا لا أنظر إلى الأمر على هذا النحو. ذلك أن ما أدرك التعبير عنه بعشده نسف من عظمتة بدلا من مواجهة تحديات الحاضر. وستجدين في هذه الرواية أكثر من موقف حول كون ذلك المااصى القديم. فهناك موقف، مليكة، أينة الواحة التي تستلهم من هذا التراث فنا جميلا. وهناك موقف «وصفي» المتعاون مع الاحتلال الذي يستلهم هذا التاريخ كذريته لبقاء المحتل وللوقوف بتفاهة

مقدرات المنطقة ما نحن نفود مرة أخرى إلى الاستعمار القديم. الأمر الذي جعلنى أفتش في تاريخ مصر تحت الاحتلال البريطانى كنتأظن عندما انتهيت من كتابة: الحب في المنفى. أنش قد فريحت من شهادتي حول السياسة في عالمنا العربى المعاصر، غير أنى اكتشفت بعد احتلال العراق أن هناك حاجة إلى شهادة أخرى. فهاه هذا العمل الذى هو بجانب أشياء أخرى، شهادتي على الواقع السياسى العربى المتمس على كنىث قد لجأت للتاريخ هذه المرة.

وعلى الرغم من أن «رواية الغروب» هي الرواية التاريخية الأولى لكاتبها. إلا أن التاريخ بشكل عام، والتاريخ المصرى القديم بشكل خاص، هو في القلب من العديد من أعمال بهاء طاهر، الذى تخرج من قسم التاريخ بجامعة القاهرة عام ١٩٥٦. فأسطورة حورس وإيزيس وأوريس. مثلا، تتجلى في أكثر من عمل من أعماله الروائية والقصصية القصيرة. ولكن أبرز تجل لتلك الأسطورة جىء في رواية: «فالت ضحى»، حيث تتقمص بطله الرواية، ضحى، شخصية إريس.

قالت إيسيت (إيزيس) تعال قالت ضحى تعال... مدت ذراعها معا إلى ووجهها الجميل يشرق وقالت: تعال فحبيت وركعت أمامها. قالت تميل على وتحصننى وأذا نادى راسى في صدرها للناعم الجيتل يهرق خفيف وعطر. مسح يدها على شعري وقيلت رأسى مولىا ثم قالت بصوت خافت: لا تتبتس... سامع أشلاك من جديد

عبر مستند. وحيث يرهض أهل الواحة دفع الصرائد للدولة ويواجهون بالسلح رجال الأمن القادمين من العاصمة المركزية. لمعبدة جدا عنهم وعى قديمهم البدوية ويصطحب محمود عبد الظاهر معه إلى الواحة زوجته الأيرلندية كاثرين. المتخصصة في الحشرات القديمة. والتي تعرف عليها وتزوجها عندما جاءت في زيارة لمصر بعد وفاة زوجها الأول. وكاثرين التي ائت على محمود ليصطحبها معه. مقتنعة بأنها ستعثر في الواحة على قبر الإسكندر الأكبر الذى قوح هناك ملكا على مصر. والها.

وتشروع فصول «رواية الغروب» الثمانية عشر على أصوات خمسة. محمود وكاثرين واثنتين من أهل الواحة والإسكندر الأكبر شخصيا. الذى يستعير بهاء طاهر صوته بعد موته ليناقش قضية الوجود والخلود. ويعتمد بهاء طاهر في هذه الرواية على مجاز الرحلة التي ترمجد الأزمنة الروحية الإنسان مهزوم. ليظهر جملة من الشخصيات الإنسانية وأسئلة الوجود الكبرى: الحياة والموت والخلود. إن كان ثمة خلود بعد الموت، فهذا العمل شديد التميز ليس فيه شيء صمبر أو تافه، فكل شيء فيه - الفكرة والصنعة والأسلوب - جد كبير. إنه. وكما جاء في تقرير لجنة تكريم الجائزة الدولية للرواية العربية، عمل روائى نوعى بالمعى الجمالى والقيمى في أن.

وهى حديث مع بهاء طاهر بعد صدور «رواية الغروب» طلست منه أن يخص إلى راية عبارة موجزة الهم الأساسى وراء روايته. فهاجاستى على الفور، معنى لوجود إن كان ثمة معنى. ولكن هذا الهم الوجودى الحاصر في أغلب أعماله له تحليات مختلفة على كل عمل. وهى «رواية الغروب» اختار بهاء طاهر للمرة الأولى جس الرواية التاريخية ليتناول من خلاله الهم الوجودى على طلع الهزيمة

يقول بهاء طاهر أثناء الحديث مع انه إن كان معنى الوجود هو الهم الرئيسى لروايته. إلا أن اختياره لجنى الرواية التاريخية كان اختيارا سياسيا بامتياز. فهى طاهر ليس واحدا من أولئك الكتاب الذين يصررون على انعدام العلاقة بين النص والسياسة

وهو يقول: «أردت أن أتاول في «رواية الغروب» موضوع الهزيمة الإمبريالية. فقد صمدنى وأوجسى الاحتلال الأمريكى للعراق عام ٢٠٠٣. فبعد سنوات من هيمنة الاستعمار الجديد على

## كتاب الزاوية



على قبر بيتوهوفن

الكاتب المصري

«خفف الوطء، ما أظن إلا أنك تطرق أرضاً مقدسة، صاحب! طال بك النوى، وطوح بك الطواف حتى جاء بك أخيراً إلى الأرض التي تضم رفات لودفيج فون بيتوهوفن». يمثل هذه الكلمات، أو في الحالة الشعرية التي تميز عنها هذه الجمل، اجتزت باب المداخن المركزية بالحي الحادي عشر (زمرنج) من أحياء فيينا، ذات يوم من صيف ١٩٢٩ بحثاً عن قبر بيتوهوفن، وإنني لأسير يئمة أو يسرة، وأتقدم إلى الأمام أو أعود أدراجي مسترشداً بالكتاب الدليل في يدي، مجتازاً معالم «رحبة السلام»، أظنك عرفت طريقك أيها الطارق، فهذه المقبرة الفخمة، مرفوعة على عمد من مرمر هي ولا شك... كلا. هذا قبر باشمهندس ما لبديفة فيينا، ثم هنا قبر أسرة شيخ البقالين، أو هو وزير الدولة ذو الحول والطول؟ وهنا.. ها.. يجنبا.. وم الجهايمرات.. مستشار ملكي.. أدور بين المداخن أطالع الأسماء فوق الأضرحة الكبرى، أسماء أولئك المجهولين العظماء، عاشوا بين سمع الناس وبصرهم لمحض مراكزهم في الدولة أو في التجارة والمال، ثم هم يخفون في التراب، في تراب التاريخ، مهما بالفوا في تزجيج حواجب رموشهم وتزويق صدورهم وأعجازهم، السلام عليكم يا أهل القبور! وعلى ذكراكم المفاء أيها الحمقى، يا أهل الغرور، عشرات الآلاف منكم ومن أشباهكم يساونون أنملة شادي الإنسانية الأكبر، ومغتصر خمر الآلهة، لودفيج فون بيتوهوفن.

حسين فوزي

فبراير ١٩٤٨

## أخلاق الكاتب وتقنيات الكتابة

«كلما رايت بهاء طاهر، أو قرأت له، تستدعي ذاكرتي نقاشاً دار في موسكو عن بوشكين، وكان مدار النقاش: هل الفنان إنسان طيب أم شرير؟ سؤال تعلق بحقيقة شاعر روسيا الكبير، وملايسات المياصرة التي أنهت حياته، وأتذكر أن خلاصة النقاش كانت الإجابة بأن الفنان هو إنسان طيب قطعاً، وأن بوشكين، على وجه التحديد، كان طيباً وخيراً، وهو لم يكن لغواً لم يفرى النساء، بل كانت النساء هن اللاتي يتهاقن عليه، ويوقعن به، وفي مبارزته الأخيرة القاتلة، كانت المؤامرة عنصراً حاكماً وهذا منصوباً من البلاط القيصري الذي أرقته شاعرية بوشكين الهيمية، والمحروسة ضد القيصرية وسخاقلها ولو من بعيد، من طرف الاستعارة الشعرية، ومن أفق الجمال الموقع.

لماذا أتذكر ذلك في حضرة بهاء طاهر، شخصاً وكتابة؟

ربما لأن بهاء طاهر حالة إبداع عربية واضحة يمكن أن تثير النقاش ذاته، لكن على غير مواصفات بوشكين، فليس لبهاء طاهر، فيما أرى، علاقة بالسبب أو الميادرات أو مايجر إلى كيد النساء أو بغض الرجال. بهاء طاهر حالة أخلاقية جوهرة الدوم مع الحياة السوية والناس الأسياء، وهو بهذه العذوبة يمكن أن يثير القضية ذاتها، من زاوية مختلفة تخص الأداء الفني، على اعتبار أن الفنان، في الانطباع السائد والمروج له، لا بد أن يكون مجنوناً وجنحاً حتى تصدق أنه يسوق غفاريات الإبداع ويعملها طوع بناته، هذا الجنون، الفني، وروح الجن البشري الفنان، هي مسألة أكيدة داخل أي ميدان، والمفارقة أن هذا الجنون وهذا الجنى هما قطعاً من جنود الخير والجمال، ولا أشك لحظة في أن أي فنان حقيقي هو إنسان منتم إلى الخير والطهية، بل أعمق ألوان الخير والطهية، لكن هنالك فنانين شديدي طيبة القلب وخيرين إلى أبد حد يضطرون لارتداء أقنعة الشر حتى يردعوا عنهم شرور العالم، وهذه حالة، أما الحالة الموازية لها، فهي حالة بهاء طاهر، الذي قادته سويته المالية لتلتامع مع العالم بود، دون أي تنازلات عما يعتقد أنه الحق، لكن كبود، فيما أعتقد، أنه من الفنانين الذين يؤمنون بأن كون الإنسان هنأ لا يرتب له أي حقوق استثنائية على الآخرين، فهل يمسك هذا الموقف الأخلاقي نفسه في الكتابة؟

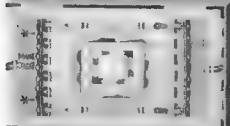
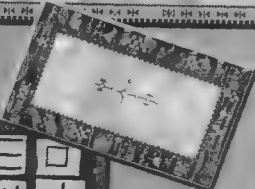
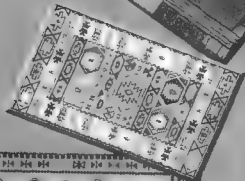
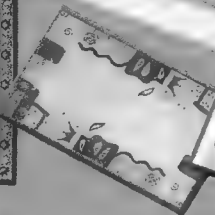
أظن نعم، فهذه الوداعة في معانقة العالم، وهي ثروص جنى وجنوى الإبداع، تخلق معادلاً لياحي ماين تقنيات الكتابة وأخلاق الكاتب، وإنني لأتذكر مشاهد جنونية في رواية بهاء طاهر الأخيرة، وأحده الغروب منها على سبيل المثال مشهد العاصفة الرملية التي صارت الوجود صراعاً كاد يدهش البشر ودوابهم أحياء، ويهدد الحياة ذاتها بالقهامة، جنون فتى وهاج بلا ريب، لكن بهاء طاهر، عالي السوية، الوديع والعذب، لم يجعل هذا المشهد محرقة غفارية أو مجازاً مفلقاً يستعصي على الناس، بل نثره بحلاء بصري مؤثر وموصل، الشيء نفسه الذي يتجلى في لغة السرد عنده، بساطة سلمية يرغم طولها وصحتها الموفرة، وأنساباً موسيقي جنون وهادئ، إنه الدوم الإنساني الذي تتسم به أخلاق بهاء طاهر، وهو الدوم ذاته الذي يكتنف الكتابة، ويطلع عنها وجنونها بسحر الصفاء، الأخلاقي وطيبة الروح الفنان، فيمنحنا عذوبة بلا حدود.

محمد الخرنجي

دواسات حمام

متواجد في مراكز بيع بواقى

قطع موكيت



سجاد أطفال



لتصدير المنتشرة في كل ارجاء مصر

شرقي

مطبوع

مشايات

سجادة صلي

www.mico-appet.com

# فلسفة التصوير الصيني

## ثروت عكاشه

«التصوير الصيني» هو في جوهره

قصائد صامتة تشيد بالطبيعة والإنسان إلى جانب كونه عنصراً مثيراً للذكريات ومؤججاً للعواطف

■ يرى أهل الصين أن فن التصوير الصيني هو أرقى أنواع التعبير الفني واكثرها عمقا واصالة وإن لم يلتزموا به لمبادئ التصوير وفق قواعد المنظور، على حين يراه غيرهم من الشعوب فناً غامضاً خالياً من تلك المبادئ فضلاً عن عدم تنبذ المألوس المعارف عليها لبطورية الإشراق والعممة «كيروسكورو» التي تكسب الاجسام ثقلها وكثافتها. وتعاويه من تسجيل الأثر اللحظي الذي تخلفه الشمس على عناصر الطبيعة في رحلتها نهائراً وعن تفاصيل الموضوع المصور الدقيقة المتكررة. وإن حرص مع ذلك على أن يربط المشهد بجوهر الموضوع من خلال الأداء المباشر لمسائله فرشاته الحاذقة. و«التصوير الصيني» هو في جوهره قصائد صامتة تشيد بالطبيعة والإنسان إلى جانب كونه عنصراً مثيراً للذكريات ومؤججاً للعواطف الجياشة بدفقه وبلاغته وبساطته المتقطعة الطير، فإذا هو يتفرد بين جميع الحضارات بتفكته المثيرة لتسلل المشاعر الحوائية الغامضة الملموسة بالواقع المادي الذي تعاني منه بلا هوادة

ومما لا جدال فيه أن اللوحة المصورة الجيدة هي التي تعكس الحوار الحميم الذي يدور بين الفنان وبين الطبيعة في أثناء معايشته لها. وليس ثمة لوحة صينية، أيا كان مصدرها، تمثل الواقع الطبوغرافي أو الجيولوجي أو الجغرافي تسجيلاً حرفياً أو سطحياً مثلما تفعل الكاميرا المصورة. وإنما هو جماع أحاسيس الفنان وانفعالاته في أثناء ترحاله عبر مغائن الطبيعة غير المحدودة. كما أنه ليس هناك أي تبس في أن الصور الدائرية الصينية التي تُطلق عليها مجازاً كلمة «بورتريه» لا تحاكي شكل صاحبها أو هيئته محاكاة تامة. وإنما هي تمثل جوهر شخصيته وإن من يطالع بعنايه الشكل المصور في اللوحات الصينية يغب عن الهدف المقصود. تبدو وكأنها صور عامة لا خاصة. وبدلاً من أن تكون تسجيلاً لشخصية معينها، يؤثر الفنان الصيني إضعاء لمسة مثالية على الصورة الدائرية، فنراه حين يصور حكيماً كوفوشوسيا على سبيل المثال يمثلته وقد كست صورته ملامح مختلفة عن سمات وجهه الفعلية، تقوم دليلاً على تفرد عن سائر

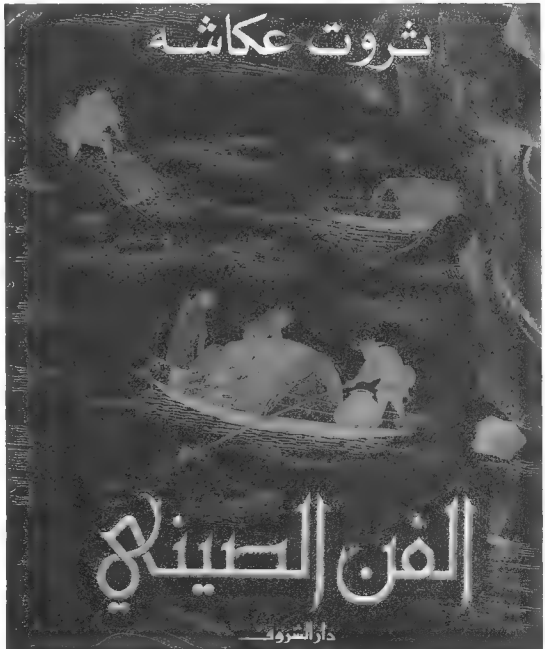
من كتاب:

فتون الشرق الأقصى

الفن الصيني

ثروت عكاشه

القاهرة: دار الشرق. الطبعة الأولى ٢٠٠٦





## أولى الفنان الصيني تصوير المناظر الخلوية اهتماماً كبيراً، فليس هناك من يضارعه في رؤيته الثاقبة للأفاق البعيدة وامتداد الزمان عبر تكرار الفصول وفي ولعه بتحليل هذا الموضوع الرحيب



ثروت كاشيه

يصبح، بل وهو يؤدي مختلف أنواع الصلح الممكنة... ويدل مثل هذا القول في الأداة بمقدرة الفنانين الصينيين وإطراء أعمالهم على أنه إما أن يكون قد تعرف بدائله على منحزاتهم. وإما أن أحد المعارف بها قد قلقلها إليه. ولا أدل على أهمية العلاقات بين الصين وفارس في أوائل القرن الخامس عشر، فيما يتعلق بفن التصوير - من أن شاهد رخ - الأبي الرابع - (١٣٧٧ - ١٤١٧) الذي تولى السلطنة عشر ١٢ - وإنتاج إيران وآسيا الصغرى واشتهر بسخانيته على العلماء والشعراء والمفكرين. قد أوفد فناناً معصوماً هو غياث الدين بين ميوهوئي من السقراء إلى إمبراطور الصين وعهد إليه بتسجيل ما يراه مثيرة للاهتمام خلال رحلته. وامتد هذا الاهتمام بالتصوير الصيني إلى الموضوعات التي تناولها الأدب، مما أسفر عن تأشيرته الدالبي في التصوير الفارسي، ثم في التصوير الهولي بالهند الذي كان يقوم أثره وهكذا كان التصوير الصيني أحد الروافد التي استقى منها التصوير الإسلامي إلى جوار غيره من الروافد

### لمسة الفرشاة الصينية

ولا يتقيد المصور الصيني بقواعد المنظور الأوروبي المتعارف عليه القاضية بتمثل الأشياء ذات الأبعاد الثلاثة على سطح ذي بعدين فنيدي وكأها نافذة إلى العمق. بل يلتزم برؤيته من الخاصة بالنسبة للمنظر الكاملة على ترتيبها عناصر لوتحه بحيث يكون أقربها في أدنى اللوحة وأبعدها في أعلاها. ويصمو الفنان الأوروبي موضوعه مصحوباً

العربيون مدى الفن الذي لحق بسعمه التصوير الصيني بعد أن حرروا أنفسهم من الدعاية اليابانية المفرضة حوله.

ومن اللافت للنظر أيضاً أن الأوروبيين لم يلتفتوا إلى روعة الفنون الصينية إلا خلال القرن الثامن عشر، فاستدعوا يحاكون الزخارف الصينية فيما عرف ببنزعة «الشينويزي»، وهي كلمة فرنسية قصد بها الفن الذي ابتدعه الأوروبيون يحاكون به الصيغ الفنية الصينية والذي ازدهر منذ عام ١٧٥٠، وساعد على ذلك انتعاش التجارة بين أوروبا والشرق الأقصى. وما كان يحمله الوافدون من الصين من ضاحك اللبك واليوسلين المتسوجات واللوحات والسواير المصورة إلى غير ذلك. وكان أكثر ما شاع من هذا الفن الأوروبي - الذي يحاكي الصيغ الزخرفية الصينية - إلى أن غدا هذا الفن جزءاً لا يتجزأ من زخارف طراز «الروكوكو» خلال القرن الثامن عشر (انظر كتاب «فنون عصر النهضة والروكوكو» لصاحب هذه الدراسة)، كما ازدهرت على الفنانين ومزقيي الفن الغربيين بكل ما هو صيني وبخاصة من التصوير، وكلما تزايدت البحوث والدراسات اتشدت ولع الغرب بالفنون الصينية.

### علاقة الشرق الإسلامي بالفن الصيني

ومن قدم الزمن كانت ثمة علاقة تربط الفنون الصينية بفنون الشرق الإسلامي، فقد اعتادت السمن الصينية منذ القرن السابع عشر عهد أسرة «طائغ» أن ترسو في ميناء سويراف (إندونيسيا) في إيران على الشاطئ الشرقي من خليج عمان. إلى الخليج العربي - وخراسان المألوف عام ١٧٩٠) تتبادل التجارة وتترسب الفايضة مع البصرة وعمان ونفوذ أخرى، ثم ما لبثت السفن العربية أن زادت هي أيضاً من زياراتها للصين، ففتحت الأبواب الفنية الصينية المستوردة إلى الأنظار الإسلامية نماذج يحتذونها ويحاكونها. وما من شك أن ثمة تأثيراً عميقاً خلفه التصوير الصيني على كبار رواد الفن الإسلامي من أهل فارس حيث جرت العادة في الأدب الفارسي أن يكون معيار لتقدير المستوى الفني للتصوير هو مقارنته بنظيره الصيني، وحتى وصف «التماثيل، الموزة والأديب الصيني» (القرن ١١) دقة الصور الصيني وأماكنه يقول: «إنه يستطيع أن يصور الإنسان وكأنه يتنفس. ولا يكفيه هذا بل يذهب إلى تمثيله ونفسه

البشر سمات متألبة أو روحانية. وعندما يصور كائنات أدنى من الإنسان مرتبة ينحو دائماً إلى إيضاح مراحل تطورها وموها على نحو ما يفعل عند تصوير قصبات الياصمو أو إحصان الأزهار التي يمثلها وهي تنمو وتتصاعد من أسفل إلى أعلى، على العكس من تصويره للإنسان الذي يلتزم بنقل جوهره فحسب. وإذا ادم على تصوير «بودا»، عني بآل يوحى شكله بالأنووية والقداسة وما يخالف سيرته من رحمة وتماطف.

لقد أولى الفنان الصيني تصوير المناظر الخلوية اهتماماً كبيراً، فليس هناك من يضارعه في رؤيته الثاقبة للأفاق البعيدة وامتداد الزمان عبر تكرار الفصول وفي ولعه بتحليل هذا الموضوع الرحيب. ومن المؤسف أن هن التصوير الصيني لم يحظ بالتقدير خارج بلاد الصين واليابان إلا أخيراً عندما ازداد الإقبال عليه خلال القرن العشرين، فإذا المتاحف العالمية تحرص على اقتناء أجمل ما تقع عليه العين من التصوير الصيني

### بداية عناية الغرب

### بالتصوير الصيني

والسؤال المثير للتحيرة حقاً هو: ماذا لم يظفر هن التصوير الصيني الرابع باهتمام الغرب سواء في أوروبا أو أمريكا إلا أخيراً، باستثناء ما قدمه الأدبيات الفنان أندريه مالرو في مطلع القرن الماضي بإيجار ولام وإع في كتابه الخالد «التحف الفخاني»، حيث عرض لأمرين: أولهما الواقعي، وهو أن مستنسخات التصوير الصيني للوننة المثقفة الطبعية غير مستبشرة إلا في أصيق الحدود وبأعداد جد ضئيلة، كما أن مجموعات التصوير الصيني الأصلية ذات الأهمية كانت إلى وقت جد قريب محبوبة ومن المسير الوصول إليها، ثم إن تلك الموجودة متاحف الغرب غير كافية للإلمام بالشباب بهذا الفن العريق والتعرف على جوهره. والأمير الثاني تاريخي، وهو تأكيد موجبة استخدام التناحيث الفنية الياباني في مدرسة التصوير والطباعية، وهو ما أطلق عليه في نهاية القرن التاسع عشر - الأخذ بالطابع الياباني -، الذي أسفر عن اضمحلال هيبة التصوير الصيني، أما الأمر الأول فلما بعد قائماً بما مرطاً على هن الطباعية من تقدم منهل ومن توافر بين أيدينا من مستنسخات عالية الجودة، وأما ظاهرة الانحياز لطابع الياباني، فقد تلاشى أثرها بعد أن أدرك

نالصوه الساقط عليه والعلل المرتكبة به يعنى الفنان الصيني تصوير خصائص موضوعه الكاشفة لجوهره

ومند قرون ثلاثة استهمل المصور الشهير «طاو تشي» رسالته النظرية عن التصوير الصيني بقوله: «إن لمسة الفرشاة هي مصدر الوجود كله. فلفقد كانت بداية الخلق لمسة فرشاة، والحقيقة أن لمسة الفرشاة كانت البداية والنهاية معاً. وسيط الخلق المصور ما فرشاة حقيقة أساسية ثابتة في تاريخ التصوير الصيني. وإذا كان هن التصوير الأوروبي قد بدا خطياً، فإنه ما لبث أن تخلى عن هذه الصيغة عندما انصرف المصورون عن الاهتمام بالخطوط الحاضنة إلى تبيان ما تحو له هذه الخطوط، موجبين عنايتهم إلى التعبير من جملة أمور مثل الضوء والظل، كيارو سكورو، وسلاسة الحواف الحاضنة للأشكال لفصل بعضها عن البعض الآخر أو لصعها أو لطمسها قهوتها من شأن الحظ، بالإضافة إلى التعبير عن الكتلة وعن القيم المسبية وثمة اعداد وعلماع أخرى خصية وجوادية وشعورية تميزت من مكونات الكون الددية ليس لها أسلوب محدد للإفصاح عنها. وإنما هي آثار اصابع الفنان الحافز على الوتر مالم الحساسية التي تسفر عن الطرب للمسى - إذا جاز لي هذا التعبير - أحد المصور الصيني فقد اتجه وجهة أخرى معادية للمصور الأوروبي، متحسباً محاكاة الألوان والتعبير عن القيم المسبية للمسطحات وتحسيد القيم بحافيرها مؤثراً تحملي للفرشاة عبء التعبير بالخط، لأنه لا يصور الأجسام طبق الأصل. كما أسلفت، بل يصور جوهرها بحسبان هذا الأسلوب هو أرقى وسائل الوصف والتعبير، مستهلاً لوتحه بما هو دأكن وعنتها بما هو مشرق. على العكس من تقديده المنظور الأوروبي والتصوير بالألوان المثبتة، فإن كل البدع الأوروبية التي حاولت القضاء على ما تحمله لبسات الفرشاة الصينية من صدق، فضلاً عن محاولات استبدال التصوير الخطي بالتعبير عن الأشكال، تبوءوا للفشل لأنها تكوص معيب عن تقاليد التصوير الصيني الراحدة

### العلاصة الجديدة

### لرؤية المصور الصيني

وبقدر ما يكتشف تاريخه التصوير الصيني من غموض تاريخه ما اندثر منه أو أنت عليه



## ينفرد الخط الصيني المصور بإيقاعه الخاص. كما يكشف عن مشاعر الفنان الصيني ومزاجه بل وارتعاشات أعصابه

مما يتيح لها دقة بالغة في الرسم. كما تتراوح درجات كثافة شعيرات الفرشاة خفافة وبحافة لكي تلبس مقامد الفضاء في لسانه وتتحقق الشكل الذي ينشده. وقد أسفرت هذه الصرخ من خلق علاقة شديدة الخصوبة بين الفنان وما يعكف على تصويره، فالفرشاة، التي كانت تستخدم بالمثل في الكتابة المحسنة، ليست لها صلاية القلم؛ فهي مدببة من طرفها، مسيكة عند اتصالها بساها. الأمر الذي يتيح للفنان التوصل إلى أدق الخطوط عندما يلمس سطح الورق بطرف فرشاته المدببة، كما يستطيع التدرج بالخط من الدقة المتناهية إلى أقصى درجات الخشونة التي يشكلها طرف الفرشاة حين يصفط عليه بأنامه. ومن هنا كانت أبسط حركة ضاغطة بالأصابع كافية بتتو ملحوظ في لسة الفرشاة، وهو ما يقطن من الفنان مهارة فائقة في استخدام يده بحيث يتحرك ممصمه بمرونة وحرية تامة. مما يبرهن على أن الإلهام الذي يتوذب في ذهن الفنان الصيني ينساب بلا قيود من خلال أعصابه وشرائنه مثل التيار الكهربائي ليسجل ما يعن له من خواطر فوق صفحة الورق أو الحرير أو الجدران. ومن هنا شكلت المهاراة في استخدام الفرشاة منحصراً مهماً في التصوير الصيني. والفرشاة الصينية مرنة مدببة سرعان ما تستعيد شكلها الأولي فور ارتقاها عن سطح اللوحة المصورة، وإذا كانت الفرشاة المستخدمة في التصوير هي نفسها المستخدمة في الكتابة الخطية المحسنة مع فارق بسيط، فإن هذا الدور المزدوج الذي تؤديه الفرشاة يدل على العلاقة الوثيقة التي كانت تربط منذ عهد سحيق بين فن التصوير والكتابة الخطية المحسنة على نحو ما أسلف.

وشمة أنواع مختلفة من شعر الفرشاة يتيح لكل فرشاة التعبير عن أشياء محددة، فبينما لا يثلث شعر الذاب مع حركة الفرشاة، يتحسب شعر الأغنام بسهولة المواد فترة مستمرة، كما تُعد شعيرات فراء حيوان السمور الأسود الناعم شديد الاستقامة من أفضل الأنواع المستخدمة في التصوير الصيني، إلى غير ذلك من مختلف أنواع شعر الحيوانات كالماز والأرانب التي تثبت كلها في مقابض من أصوات الهامبو، وما أكثر ما كان مقبض الفرشاة يُزين عند التقائه بالشر بحلقة من الشيب الثمن أو يطلو باللك، وعلى هذا النحو يكون لكل نوع من أنواع الفرشاة دور معين تؤديه على

إلى شرائع رقيقة للغاية ذات أشكال هندسية كالريعات أو المستطيلات كان يجري تثبيتها باللك السائل كوسيلة إضافية لإثراء أسطح اللوحات المصورة والموائر الحاجية بل والمنحوتات الخشبية. أو لكي تشغل فراغات التكوين الفني التي تتخلل تصميمات السحب والغيوم والوديان وضاف الأنهار وما شابهها. ويطلق على هذه التقنية اسم «التذهيب» أو التفضيض. «المرسل».

### أدوات المصور الصيني

وتتشكل «الفرشاة» (الفرجون) الصينية المخذة من أعواد الهامبو في أحجام وأنواع لا حصر لها. تتوالب صلابتها أو لدونتها على نوع شعر الحيوان المستخدم. ويمكن لأصم الفرش جميعاً أن يستقيم شعرها إلى أنحف درجة يمكن أن تصل إليه فرشاة،

ليست دائماً تعبيراً عن الحيوية، ومن هنا كان الخط الثقاني هو التعبير الصادق من ارتجافات الخط فوق السطح المصور. ويقتضي فن التصوير الصيني مهارة وحداً بلا حدود في استخدام الفرشاة، لا في رسم الخطوط وحدها، بل وفي تحديد الكتل متفاوتة الأحجام مهما دقت في أي منظر خلوي أو في أي مشهد يضم الطير والحيوان، حيث تتوحد الكتل مع الخطوط بصفحة ودكاء وحدق وبراعة سواء تعبيراً عن الديومة والاستمرارية أو عن الحدة والحيوية. كذلك تؤدي كثافة الخطوط ورقتها أو صراحتها أو طراوتها دوراً مهماً في إضفاء الرخامة على أنغام الصورة وإيقاعاتها.

### تقنية التذهيب المرسل

وقد نشأت منذ عهد أسرة طانغ تقنية استخدام رقائق الذهب (أو العضة) الجزاة

الحروب أو يعمل كواثر الطبيعة. يشوب مصداقية ما حمظه لنا الزمن من هذه التصوير المأخذاً في استنساخه. على هو، التي لا تقفأ تردد أهمية استنساخ صور الأساتذة القدامى. ومن هنا يتبين لنا أنه حتى إذا مهزت أروع الصور القديمة بتوقيعات أساطين المصورين الحالدين، فقد لا يعني هذا سوى أن الصورة قد انجزت وفقاً للأسلوب الذي أرساه الفنان صاحب التوقيع.

وقد درج الفنانون الصينيون على تصوير لوحاتهم داخل المراسم. إذ لم يعتد المصور الصيني النقل المباشر عن الطبيعة، بل اكتفى برسم جملة من العجالات التخطيطية والدراسات المتنوعة يستعين بها عند تصوير ما يحول بفضه حين يعود إلى مرسمه ليبيع لوحته النهائية، التي تكون عادة من الذائقة، بسرعة ملحوظة يتجلى فيها جمال التصوير والتكوين وروعة التشاغم بين الخطوط والألوان. ويؤدي الفنان الصيني مهمته الجلييلة جالساً لقرعضاء مضموم الساقين ومتكناً على إحدى كفيه فوق أرضية صلبة، الأمر الذي يتيح له التحرك بيسر فوق اللوحة المصورة في جميع الاتجاهات.

وبالرغم من أن المصور الصيني لم يعتمد في تصويره على المنظور الخطي، إلا أنه وفق إلى نقل الإحساس بالمشافات، البعيدة أكثر ما تكون ضالة متجاهلاً التصميل، كما نتج من تمثيل الفراغ بالتقريب بين الأشكال المصورة في أمامية اللوحة والمساعدة بين تلك التي في خافيتها، فيترأى للمشهد أنه يطل على المشهد من عل. وبينما كان الشكل الإنساني في الفن الأوروبي هو أرقى الأشكال تعبيراً، كانت البوذية المأمنة بالروحانية، وأهمية «الخلاص» من أسر العالم المادي، وبأن الحياة الدنيوية عبارة لا شأن فيها، وبأن الجسد فيه ثقل على الروح - لا تعد الشكل الإنساني تعبيراً صادقا وتُمنى بالجوهر دون العرض، ومن هنا لتعمل أشرها وتجلي في تشكيل القيم الجمالية الصينية.

وينفرد الخط الصيني المصور بإيقاعه الخاص، كما يكشف عن مشاعر الفنان الصيني ومزاجه بل وارتعاشات أعصابه، ولندا كان لكل خط شخصيته المميزة لآل أي خط رسمته يد مصور فدير يحمل ملامح شخصيته الدالية مثلما يحمل الإنسان الملامح الدالية عن سنى عمره. وبالرغم من أن الخط المرسوم بالمسطرة يعد أدق خط في الوجود، إلا أن الدقة

عودة وين تشي إلى مسط رأسها - فإن مجهول - مصم صور أسرة سونغ الشهيرة



صور الفنان الصيني الصخور والجدول بوصفها تعبيراً مرئياً نابضاً بالحياة. وعسير أن نجد في أي من الفنون الصينية عملاً يعنى فيه الفنان بالشكل وحده دون أن ينطوى على مضمون

نحو ما تؤدي كل آلة من الآلات الموسيقية دورها في إنشاء عزف الأوركسترا السمفوني. وهكذا يجري تحديد الأشكال في التصوير الصيني بواسطة الخطوط دون اللجوء إلى الضوء وظله. كما تتحقق شخصية أي خط مرسوم من خلال تنويع سمكه وحدته أو تراحيه وحجم الفراغ المحيط به (إلى غير ذلك من وسائل الصنعة الفنية. وإعادة ما ينتهي الطرف العلوي لعمود قرشاة الرسم الصينية معلالة (ما يعلق به الشيء) من الخيط الحدود لتعليقها بعد الاستخدام فوق الحائط، وذلك للتخلص من الرواسب المتخلفة وللحفاظ على القوام الأصلي للشعر.

والمادة (الحبر) هو أكثر مواد التصوير شيوعاً نظراً للنمو الهائل في تدرجاته الدقيقة التي يصل إليها الفنان من خلال تحكمه في مقدار ما يصبغه إلى المداد من ماء. وفي استخدامه الحاذق لأسلوب التصوير المباشر بالفرشاة. وبعد المداد الصيني عادة من السحاج الناتج عن حرق الفول السوداني أو شجر الصنوبر الذي يترسب على جدران المآخن المكية فوق قعائن الحرق بعد خلطه بالصمغ، ثم يشكل في هيئة أعواد أو قوالب من عجينة المداد شديد الصلابة. وكان الأباطرة والملوك يتبادلون هذه الميدان باعتبارها هدايا يصمونها أحياناً بحبات اللؤلؤ والمداد الصيني كثيف داكن إذا لم يخفف. ويبدو شفافاً عند مزجه بالماء. فيفسر عن العديد من الظلال والأطراف والإضاءة المتدرجة إذا استخدمت لحسات الفرشاة الغامقة والعائمة يحدق ومهارة للإيهام بالمرام وما يحتويه وما أكثر ما تستخدم هذه التقنية في تصوير الجبال والغابات المغمورة بالسحب أو بالضباب ويراعى الزهور المشبعة بأبدى أو الليل. ويعتقد المصورون الصينيون أن المداد يسفر برغم لونه الأسود - عن طائفة من الدرجات. ويطلقون على تقنية النوحات المصورة بالمداد الأحادي اللون اسم "الغمر" أو "التكثيف والتخفيف"، حيث تبدأ الخطوط بالأسود الداكن وتنتهي بالرمادي الشفيف أو العكس. والمقصود بتقنية الغمر هو تعشية مساحات من اللوحة بدرجات من المداد الأسود. وذلك بغمرها بلمسات فرشاة من صوف الغنم المشط مشبعة



ميد فوق الجبل ذات يوم صاف - الفنان لي - تشنغ

## يرجع تاريخ فن التصوير الصيني إلى ما يتوفى على خمسة آلاف عام. وهو فن يتميز بسمات قومية تنفرد بها الصين نتيجة التآثير المتبادل بين التصوير الصيني من ناحية، والفلسفة الصينية

بمادد الماء. سعيًا من الفنان للوصول إلى درجات المادة التي يشهدها في لوحته. وأهم خواص المادة الصينية شدة دونه وقابليته للدوام في الماء لترسم الدرجات الشفافة. وتتميز أخرى لعدم المادة هي أنه لا يتأثر بالماء بعد أن يجف فوق سطح اللوحة

وكما أن للفرشة مواصفات خاصة بحيث يحقق كل نوع منها غرضًا معينًا. كذلك الأبرع من الورق المستخدم في الرسم، فله هو الآخر مواصفات التي تحصر في رقة الورقة أو سمكها. وكذلك في درجة تشريرها للماء. وقد استخدم الصينيون الصيني الورق والحرير للتصوير عليهما بالألوان والماء، وحتى إذا فرغ من رسم لوحته سارع إلى وقايتها وصونها والحفاظ عليها لمصلحتها في ورق سيمك وتعلمية بطرقها بغشاء من الحرير الشفاف. وبينما جرت المادة التفتيشية التي تطلقونها عليها، «كوسمي». على أن ذلك لم يكن قاعدة ملزمة للفنان إذ كان له مطلق الحرية في اختيار ما يشاء لتصوير لوحته.

### موضوعات التصوير الصيني

وكان للعلاقات الإنسانية دومًا شأن عظيم في التصوير الصيني حتى شاع نظيره للأفراد مجتمعين معًا سواء في حلقات الدرس أو مواقف الوداع الحار أو لقاء تباير المومنين (المناديين) كانوا يطوفون بأفناء البلاد طولًا وعرضًا. ويكاد الفن الصيني يخلو من موضوعات الحروب والغضب والموت والعري وموضوعات الحروب والشوابة. كما تجنب مشاهد العراة إذ يندر أن نشاهد صور العنقاء منظر منظر غريب. ويؤثر الفنان المعنى بتصوير الأشكال الأدمية في الغالب الأعم تصوير الشيخوخة الحكمة مسعرفين في التأمل جسيمين حول قنينة خمر. كما صور الفنان الصيني الصخور والجداول بوصفها تعبيرًا مرثيا بأفكارها عن قوى الكون الحافية. وصير أن نجد في أي من الفنون الصينية عملاً يعنى فيه الصان بالشكل دون أن يتطوى على مضمون. فالصينيين الصينيين عملاً يبدو الشكل فيه جميلًا في حين يخلو الموضوع من صور من فكر مضيء فينبغ الوجدان. ومن هنا كان التصوير الصيني في حقيقته

الأمر شيئًا ومزيًا. لأن كل ما هو مرسوم يمكن مطروا من المظاهر الكلية التي يدركها الصان بالمطرقة كما احتشدت التي الصينية بالرموز ذات الدلالة. ويأتى على عكس هذه الرموز قصبات البامبو التي تشير إلى حكمة الفلاسفة لجمعها بين الصلابة والحرولة وقابليتها للتكيف والتشكل وهكذا الإنسان السوي قادر على الانحناء أمام قوة المحدث دون التخلي عن مبادئه ومثله وأخلاقه البامبو هي الرمز الذي بلغ من شدة إيمان الصينيين بالصينيين به أن أحدهم ما كان يشرع في رسمها حتى يفقد إحساسه بذاته، بل وبالشرك كافة، وكأنما قد قصصته روح البامبو.

وكما يرمز الشيب للعصاة في التلف إلى الطهارة والبقاء، يرمز التين إلى ما يضره الإمبراطور من غير، وطائر الكركي إلى طول العمر، والبط الخفاف أزوجاً إلى وفاء الأزواج، وشاع بين الرموز المستقاة من النبات زهرة «الأوركيد» السحلية الجميلة التي تتوضع بالأزهار الطواح رصراً لنقاء والطهارة، وبروزة البرقوق، التي تلوح على في أثناء تساقط نطف الثلع زاهرة لثباتها والاستقرار، على حين ترمز «شجرة الصنوبر» ذات العقل العتيقة لحكمة الشيخوخة والحيوية. كما اختار الصينيون من بين النباتات أشجار الصنوبر والبرقوق والخوخ والشمش، اختاروا من بين الطيور اللقلق والبط والكركي والإوز ومالك الحزين والتمترج (الدراج) والعرووق وصورها إما متطامنة على فرع الشجر أو محطية في المضاعب شاعرية اجتذبت مصوري الخرس الذين حاكوها في منمنماتهم فأضفت عليها رقة وروافة وحيوية. وهكذا رأينا في الكثير من المنمنمات الفارسية الباط حلقاً أو طافياً فوق مياه شرج سطحا في النصف دوائر متداخلة على غرار الخفافير تتخللها الأموات الزود. أحيانا قترنهما جمالا وفق سنن رسوم الخضر الصينية في اللونين الأزرق والأبيض (انظر كتاب: التصوير الإسلامي الفارسي والتركى، لصاحب هذه الدراسة).

### ملامح التصوير الصيني

يرجع تاريخ فن التصوير الصيني إلى ما يتوفى على خمسة آلاف عام وهو فن يتميز بسمات قومية تنفرد بها الصين نتيجة التآثير المتبادل بين التصوير الصيني من ناحية، والفلسفة الصينية من ناحية أخرى. وهو فن يتميز بسمات قومية تنفرد بها الصين نتيجة التآثير المتبادل بين التصوير الصيني من ناحية، والفلسفة الصينية من ناحية أخرى. وهو فن يتميز بسمات قومية تنفرد بها الصين نتيجة التآثير المتبادل بين التصوير الصيني من ناحية، والفلسفة الصينية من ناحية أخرى.

الرابع عظام... الشكل، وسيلة التعبير عن الروح، عذشي، به، تصور الشكل الخاص الحيوية، أهم عناصر فن التصوير. وهو ما يكشف عن أن الصينيين قد أدركوا منذ زمن مبكر أهمية الفؤوس فيما وراء الطبيعة بدلاً من محاكاتها. وكذا ضرورة التزام الفنان حين ينشئ تصوير الإنسان بنقل جوهر شخصيته قبل نقل ملامحه. وأن يقف حين يصور الحيوان أو النبات بأذى الذي بدء على سماته الذاتية الخاصة التي ينفرد بها، فمسلًا عن الملاحظة الدقيقة لموضوعه المصور من حيث تركيبه وخصائصه ومراحل نموه قبل أن يشرع في رسم ما ترسب في ذهنه من خواصه الطبيعية وبعد أن يكون قد استوعب موضوعه استيعاباً تاماً. فإذا صور شجرة صخوراً حسبما تكتب بجمالية الشكل لا بد أن يخلع لا العكس، لأن كل ما في الوجود لابد له بداية ونهاية. لذلك ففني أولئك الفنانين الذين انغمسوا في الرسم أو يوحى المنظر الخولي إلى المشاهد بمنح جمالي يستطيع من خلاله الإحساس بما يطرا على الطبيعة من تقلبات موسمية وهو ما لا يتحقق إلا بالتحليل البصري والوجدانية لتعاصر اللون لحظة واحدة لإثراء الموضوع قيد التصوير. ومن هنا بات لزماً على المصور الفطن أن يقتصر على ملاحظة موضوعه الفني حسب ما يراه في أعماق سوره، من إنعكاساته والفؤوس في أعماق أعماقه، فكان هذا الفنان يشتمل مقولة «الصور» ذات ساتت كصفية، أدب القرن العشرين الشائع، لا يحسن المرء الرؤية إلا بقلبه، بالجوهر ففيه من الأنظار.

ومع فارق بين رؤية والترى، فبينما رؤية العقل حجابية رياضية علمية تنسم بالجفاف، فإن رؤية البصر هي أسيرة تفاوت قدرة شبكية العين على التمييز الوصف التام للشيء، من هنا قد تؤدي مخادعة البصر دوراً رئيساً بمعاني الأشياء. لكن كنه رؤية ثالثة هي رؤية الفؤوس، فكم ثابت الفؤوس قط ما رأى، من هنا كانت الرؤية المرحلية هي بيت التعبير والهدف من الرؤية الفنية الطويلة المدى والأشكال والأجسام، فكيف من مراباً للاستيعاب الواسع ينبغي على عشاق الجمال خوضها قبل أن يلجوا ساحتها الفنية والفؤوس، وقد تعدد الصدى يرى من، جينغها أحد مصوري المناظر الخولية خلال القرن العاشر أنه كان لا يتأثر يرد أنه لم يبلغ إلخ روح شجرة الصنوبر إلا بعد أن رسمها عشرة آلاف مرّة! وقد يكون في تلك القول تعصيب من المبالغة، لكن الغنى الاستشعاري هو أهمية مثارة المصور على دراسة كل ما يحيط بموضوعه المصور مادياً ومعنوياً حتى يستطيع تنسم مقام البراعة. وقد برزت من بين فئة الأدباء المثقفين

«الترائي»، خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر أعداد ضخمة من الصينيين الذين تألفت أسماهم في مجال التصوير، كما شكل المصور البارزون، من هذه الطبقة خلال القرن الثالث عشر العمود الفقري لفن التصوير الصيني. ويبلغ من فرط عنايتهم بالتعبير عن السجاء الذاتية للأفراد أن علوا التشابه والمحاكاة أصراً غير ملزم، مؤثرين توجيه الاهتمام إلى ما هو أبعد من المحاكاة السطحية. ومن هنا كان صغيم الدوب لتحقيق ما يعرف بنظرية «التطابق والتوافق» دون التشابه، والمقصود بها التعبير عن التشابه، والتمسك للموضوع المصور من خلال التوافق بين مشاعر الفنان وعواطفه وحالاته المزاجية. ولم يقتصر على تضمين لوحاته قصائل الشعر المرونة بالكتابة الخطية المحسنة حسب، بل تراهم قد مزجوا بين ما هو ذاتي وما موضوعي، عن الحرس على تأكيد أهمية الصورة الذهنية المترسقة، في مخيلة الفنان، حتى ذهب رون. طونغ، مصور أواخر البامبو خلال القرن الحادي عشر إلى أنه لا يمدى أمام الفنان من غير الصورة الذهنية لا دعاء البامبو التي يرسمها قبل أن يتناول فرشاته. فما إلى يفرغ المصور الصيني من تصوير موضوعه ذهنياً وعادياً ومن تتسل كيفية صياغة تكوينه الفني حتى ينطلق إلى التعبير عن أفكاره بأسلوب واضح بعيد الغور، فلا يخلو من شأن أي شيء سوى ما يراه ذا أهمية وما يحس به بشعوره الصادق، تاركاً في خلفية اللوحة مساحات قد تأخذ بنورها أشكالاً وأحجاماً متنوعة تتشكل أنماطاً بداتها تعين على الإجابة عن كنه الموضوع المصور وتزيد المشاهد أسعماً رغبة يستطيع معها التجوال بخياله في رحلة بصرية عافية وجدانية لا حدود.

ومن هنا لا يجوز أن نعد مصور المناظر الخلوية الصينية محاكياً للطبيعة، لأنه من ناحية لا يتطلع إليها من نقطة محددة بذاتها، ومن ناحية أخرى لأنه يتحرر من كل القيود التي يفرضها الزمان والمكان. وهو لا يشكّل تكوينه الفني إلا بعفوه الذاتي المصغر ونحسه المرفق بكتيونة الطبيعة، فيخال نفسه حلقاً في أرجاء الطبيعة قادراً على رؤية كل ما هو ذا بعيد وما هو ذا قريب. وفي مثل هذه الحالة، سواء بدأ الموضوع تصويراً مبكراً نظرياً أو محسوساً مغشياً لنظر أبعد. يشعر المصور بالمشاهد من أنهما حلقان على هوائهما الخلاص.

ويشعر من تشييه، أحد نقاد الفن خلال القرن الحادي عشر، التطور المستمر الذي لحق بالتطور في التصوير الصيني

## فلسفة التصوير الصيني

وهكذا كـ ليس الديس في عمومها  
امر بقاء الدوق الصيني. فلم تكن  
العقاب. بقاء مصدر الهام للأعمال  
الغنية لعظمى لا بدرا. وحسب الفنان  
الاشراء بؤسات العفيدة ذوا ب سجد  
عنها ويتجاوزها وكاد سيادة لعنابية  
الى سجنى. اثره فى التشبيد المحكم  
المثقف ن تحول. لسان الى شخصية شبه  
مقدسة بسر عبور. انفس اسرار الارض  
والسماء وتلقى الصوء على ما يعجز  
الشمس وتضرب عن داره ولا غرو عيده  
المشود هو بدوع المثل الجمالى الاعلى  
لذى حده الفنان فزها هـ بـ الروحانية  
ولحبوبة والإيقاع. وتمسر الاساطير  
لصينية هذه المقولة بانه بوسع الفنان  
لحوسب تحقيق المحمرات لاه القادر  
على ان يسطر آلاف الكيلومترات فوق  
سنتيمترين مربعين من الرقعة التى  
يرسم هوقها. مثلما يستطيع ان  
يجسد التناشئ التى يرسمها وكذلك  
تنطلق من حواف الجدران المصورة  
عليه

العادية إلى التعبير عما يخالجه الإنسان  
من احساس يهدد القوى من خلال  
تصوير المناظر الطبيعية وعواد اليا ميو  
والارهاش والطيور. وهو ما يسمى بـ  
الظهور المتأخرين. للتصوير الصيني  
من هنا كان التصوير الصيني فى نظر  
اهل الصين صرياً من التصوف والاقتراب  
من الحقيقة الكلية. وكاد للقى. بصمة  
خاصة فى العصور المبكرة. وطائف  
اجتماعية وأخلاقية شتى. وتذكر المصادر  
الادبية القديمة كيف انحصرت  
موضوعات التصوير الجدارية بالتصور  
فى شخصيات الاخير من اليا ميو  
والوزراء والحكماء والبقادة. وكذا  
خصومهم من الاشراق كن تتخذ عملة  
للأحياء. وعلى غرار هذا النهج الخلقى  
نفس لم تكن الصور الداتية بملامح  
الاشخاص مصدر ما عنيت تسجيل  
جوهرهم وما يودونه من مائل لخدمة  
المجتمع. وهو ما يطلق عليه المصهور  
الكونفوشيوسى الأخلاقى. للتصوير  
الصينى

تعدر عنيها بالقيمة والمضمون. وما من  
شك فى ان صورا من هذا الطراز قد بدو  
لنا محالته لمواعد التطور العنصرى كما  
قد تتراءى لنا حادته او محافية لعنابيه  
المطور ومعدلاته. غير ان مملكه الفن  
والجمال الرحبية لها هى ايضا عفلاتيتها  
الخاصة. كما ان لها مصادفاتها الناعمة  
من انشراح الخيال وصدق الإحساس  
وتسوق الابعاد. ومن هذا امر الفنان  
الصينى بان العفلاية التى يسجدها فى  
عفلاته لا معنوية اذا حار هذا التعبير  
وب المساقية المشودة فى التعبير الحر  
عما ندرج الحسن

لقد امن المجمع الصينى الذى كان  
محتما راعيا اصيلا حاجة الإنسان  
الى ادراك كنه الطبيعة من حوله  
ومعاشيتها والتألف معها. لان عالم  
الطبيعة هو المظهر المولى الدال على  
قدرة الخالق المتمثلة فى تنوع الخليفة  
وتكاثرها. وعلى مر الايام ارتقى الفن  
الصينى من صنع اوائى القرايين  
لاستعراض قوى السماء فى العصور

بانه ثمرة التأمل الفلسفى الذى يسجد  
الصناعة من خلال الصخامة. بمعنى روييه  
تفاصيل المشهد من زاوية كويبة. علمد  
تجاوز لسان الصينى المطور الرسمى  
لا فرق فيه بين الماضى والحاضر. وما عاد  
الوقت يقاس بمدد بالحرياب لانه يملج  
الى الكل من خلال. الجزء. والى  
الجزء. من خلال. الكل. لكونهما فى  
تطرد نسجها واحدا. مثال ذلك لوحه  
مصورة تجميع بين اربهار منسوجة من  
مختلف فصول السنة متحاوره حدود  
الزمن. وبالمثل يمكن القول فى عالم  
الطبيعة الرائع من خلال التطلع إلى  
لوحه مصورة لزهرة فريدة واحدة ولطائر  
فريد وحيد او لسمه مميزة او حتى لحشرة  
ضئيلة. إذ بوسع المصور الصينى الصنيع  
ان يضمن ثانيا زهرة واحدة قوى الكون  
المحركة كافة. وعلى النهج نفسه يكتسب  
على الضد من الرؤية السانقة - ان  
تستكشف. التضخامة. من خلال. الضالعة  
والضخامة فى هذا المقام لا تسمى بالحجم

## Guiding You Around

YellowPages.com.eg  
Sinai & Red Sea Edition



Books



Banks



Restaurants

75,800  
FREE copies

By order only call us  
on 345



لطلب نسختك

اتصل 19345



YellowPages.com.eg

EGYPT'S OFFICIAL LOCAL SEARCH COMPANY

2008/09

Sinai & Red Sea Edition

## في أرشيف الدماغ تتمهل حيواتنا أو تفتنى

حالتها. Hyperthymestic Syndrome. يبلغ طول إى بي ست أقسام ويوصتني (٩,١ متر). يشر اشيب ممرق فرقا مثاليا والأذن طويلتين للغاية. ذو شخصية جدابة ودودة دمثة. كثيرا ما ترتفع ضحكاته يترأى في البداية مثل أى جد لطيف الشماللى عادى المسلك. لكن منذ خمس عشرة سنة مصت أصاب فيروس الهريس البسيط دماغه منتزعا قلب الدماغ كما التفاحة. وبحلول الوقت الذى بلغ فيه الفيروس مساره. اختعت لقطعات فى حجم الجوزتين من مادة الدماغ فى الفصين الصدغيين الوسطيين. ومعهما راحت أغلب ذاكرة إى بي.

العصبى. لمدة ثلاثة عقود. بمقدور إن يستحضر سلاسل طويلة للغاية من كلمات وأرقام ومقاطع عاطلة من المعنى بعد سنوات من سماعها. إلا أن إيه جيه فريدة من نوعها. فذاكرتها الاستثنائية لا تلتقط الحقائق أو الأرقام بل أحداث حياتها. الحق أن ما تحتفظ به ذاكرتها الحديدية من تفاصيل سيرتها غير مسبوقة أو مفهوم حتى إن جيمز ماكجو واليزابيث باركر ولارى كاهيل. علماء الأعصاب فى جامعة كاليفورنيا بمدينة إرهافين الذين طلوا يدرسون حالتها خلال السبعة أعوام السابقة. اضطروا إلى صياغة مصطلح طبي جديد يصور

١٩٨٨. تتذكر أنها تناولت العاء مع إبيها بفندق بيمرلى هيلز فى ٢٨ مارس ١٩٩٢. تتذكر الأحداث العالمية وحلاتها إلى متجر البفال. تتذكر حالات الجو وعواطفها. إن دماغها يضم حرفيا كل يوم. وليس من السهل إريك ذاكرتها. ثمة حفنة من الأشخاص عبر السنين تمتعوا بذاكرة جيدة على نحو استثنائي. يقال إن كيم بيلك. ٥٦ عاما. العالم الذى ألهم فيلم رجل المطر. حفظ نحو ١٢٠٠٠ كتاب (يقرا الصفحة فى ٨ إلى ١٠ ثوان). وهناك «إس. صحفى روسى درسة الكسندر لوريا Alexander Luria. المتخصص فى علم النفس

٨ ثمة مرأت (٤١ عاما) مساعدة إدارية من كاليفورنيا معروفة فى الكتابات الطبية باسم «إيه جيه». تتذكر ترميزا كل يوم من حياتها منذ سن الحادية عشرة ثمة رجل. (٨٥ عاماً). تقضى معمل متقاعد يدعى «إى بي». لا يتذكر سوى أحدث الأفكار. علها تنعم بأفضل ذاكرة فى العالم. علها يمتلك أسواها. تتدفق ذاكرتي كمشاهد فيلم - بلا انقطاع أو تحكم. تجاهر إيه جيه. تتذكر أن فى الساعة ١٢ ٣٤ مساء. يوم الأحد. ٣ أغسطس من عام ١٩٨٦. اتصل بها شاب اضمرت له إصباحا. تتذكر ما جرى بمسلسل «ميرفى براون». يوم ١٢ ديسمبر

## غيايب الذاكرة!!

لوحة الذاكرة لسان سلفادور دالى





## منذ ابتلاء

إي بي بالمرض، لم تتجاوز

مساحة معيشته

ما يصوره أمام عينيها

فقالته الاجتماعي

لا يتخطى الموجدون

في الهجرة.

يعيش حياته محاطاً

بالظلمة تحت

ضوء هزيل

حسنًا. درس التاريخ حتى نعرف ما حصل في الماضي، لكن لماذا نريد أن نعرف ما حصل في الحاضر؟  
بمراجعة لأنها مسألة مثيرة للاهتمام ليس إلا،  
يريدني إلى بي سوارا معدنياً طبيباً حول مصممة الأيسر ومع أن ما يبدو إلى ارتدائه واضح للعيان، سألتني أية إلى بدر مصممة ليبراً بلوحة نتم مع اللامبالاة.

معم. مكتوب عليها، فقدان ذاكرة، لا يتذكر إلى بي أنه يعاني مشكلة في الذاكرة. فهي مشكلة يكتمها كل دقيقة في جديد. ونظراً لأن بي ينسى أنه دائماً ما ينسى، تبدو كل فكرة ضائعة وكأنها زلة طارئة - مصدر إزعاج طفيف فقط لا غير - كما يحدث معكم ومعي. ومنذ ابتلاء إلى بي بالمرض، لم تتجاوز مساحة معيشته ما يصوره أمام عينيها.

١٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ وصلة عصبية مع الخلايا الأخرى، إجمالاً من حوالي خمسمائة تريليون إلى ألف تريليون مشبك عصبي في دماغ البالغ العادي. وعند المقارنة نجد أنه لا يوجد سوى ٢٢ تريليون مائة من المعلومات في المجموعة المطبوعة مكتبة الكونجرس بأسرها. كل شعور نتذكره، كل فكرة تطأ بنا بنا تبدل الوصلات بين تلك الشبكة الضخمة. يمكن للمخاض العصبية أن تقوى أو تضعف أو تتكون من جديد. فمادامنا الميراثية لا تكف من التمييز، الحق أنها تعبر على المواد في كل لحظة حتى أثناء النوم.

قابلت إلى بي في نهار ربيعي دافئ بيته. منزل مشرق من طابق واحد يقع في ضواحي سان دييجو. قنيت السيارة إلى هناك لصحبة لاري سكوير Larry Squire، عالم أعصاب ويبحث في الذاكرة في جامعة كاليفورنيا بمدينة سان دييغو ومركز سان دييغو الطبي للمحاربين القدامى وجين فراسينو Jen Frascino، منسقة البحث بمعمل سكوير التي تزور إلى بي بانتظام كي تدير اختبارات الذاكرة. وعلى الرغم من أن فراسينو قصبت يدها إلى بي ٢٠٠ مرة، دائماً ما يحميها البحث عبرية.

تحس فراسينو أمام إلى بي المائدة حجرية الطعام لتوجه إلى سلمة أسئلة تقبس سلامة بدهته. تسأله عن القارة التي تقع فيها البرازيل وبعد الأسابيع الحرة، توجه غيلان المداء. تريد أن تبهرن على ما أثبتته بالعمل اختبارات الذكاء، إلى بي ليس غيبياً. يجب بكل صبر على الأسئلة - إجابات، صريحة كلها. يرد عليها فيما تتمسكه ذهنة أتحيل أن تراودني لو أن غريباً دلف إلى منزلي وجلس إلى مائتي ليسانتي جديدة ما يعنها جديدة إذا ما كنت أعرف درجة غيلان المداء.

مادام فعمل لو وجدت طرفاً مفلتاً في الشارع، عليه عنوان وطابع بريدي؟، تسأله في صندق البريد. وهل أهمل غير هذا؟، تسأله ضحكة خافتة ويرميني بنظرة جانبية عليمة كالغزال. هل يعطني هؤلاء الناس عيباً؟، لكنه يستعمر أن الموقف يتطلب قدراً من التهدد فيتحول إلى فراسينو مرافقاً، لكنه توجيهي سؤالا مشوقاً، مثوقاً بالفضل. لا علم لديه أنه سمع نفس السؤال عدة مرات من قبل. مادامه الطعام؟، لأنه ذئب؟، تحمل كلمة ذئب، صوته واضحاً وقد حل عدم التصديق محل الدمة. لماذا تدرس التاريخ؟،

أصاب الفيروس هدفه بدقة غريبة. فالصاعن الصديان الوسيطان - هناك فخر على كل جانب من الدماغ - يشتملان على بنية تشبه القوس سمي قرن آمون وعدة مناطق مجاورة تؤدي معاً عملاً سحرياً. ألا وهو تحويل مذكرات الحسية إلى ذكريات طويلة الأمد. لا يتم تخزين الذكريات في قرن آمون بالفضل - فهي تلتبث في مكان آخر، في طبقات الدماغ الخارجية المتشعبة بالقشرة المخية الجديدة - إلا أن منطقة قرن آمون هي الجزء الذي يجعلها ثابتة. تدمر قرن آمون في دماغ إلى بي، ويبدو أنه يختلف كأمير فيديو مشروط مصاطيس معطوب. فهو يمسح الموجودات دون أن يسجلها.

ألم يأت بي نوعان من فقدان الذاكرة؟ النسيان اللاحق، إلى أنه لا يستطيع أن يشكّل ذكريات جديدة، والنسيان السابق، إلى أنه لا يستطيع أن يستحضر الذكريات القديمة أيضاً. على الأقل منذ عام ١٩٦٠، أما طفولته وخدمته في الأسطول التجاري خلال الحرب العالمية الثانية. فكلاً ذكريات جليلة تمام الجلاء، لكن على حد علمه، لا يزال مرس جالون العار أقل من دولار والهبوط على القمر لم يحدث قط.

إن إليه جيه إلى بي يقفان على طرفي النقيض من نطاق الذاكرة الإنسانية. وحالتهما تشتملان على أن مسح إشعاعي للدماغ في كشف مدى تأثير الذاكرة على هوية الفرد. وعلى الرغم من أن بقية البشر يقيمون في مكان ما بين هذين القطبين من تذكر كل شيء وتذكر كل شيء، لا يقينا جميعاً وعداً طمعياً بذاكرة إليه جيه ونزل إلى الفزع من مصير إلى بي. إن ذلك الغمر المتجمد المتوازن في أعلى العمود الفقري يستطيع أن يحتفظ طيلة الحياة بأكثر التفاصيل تهاجم من تجارب الطفولة لكنه غالباً ما يحجب حتى عن التثبيت برفق هاتفي في منتهى الأهمية لدهيفتين لا غير هكذا نجد الذاكرة قريبة كل الفروا.



ما هي الذاكرة؟ أفضل ما يمكن لعلماء الأعصاب القول به هي الوقت الحالي هو التالي: الذاكرة هي نموذج مخزون من الوصلات القائمة بين الخلايا العصبية في الدماغ. ثمة نحو مائة مليار من تلك الخلايا العصبية، يوسع كل واحدة منها أن تخلق من حوالي

ترجمة: هالة صلاح الدين

فعاله الاجتماعي لا يتخطى الموجدون في الحصرة يعيش حياته محاطاً بالظلمة تحت ضوء هزيل.

يستيقظ إلى بي في الصباح المعتادة ليتناول الإفطار ثم يعود إلى فرشاه للتسامع إلى اللدياع. لكن مع رجوعه إلى الفراش، لا يتصنع له دوماً إذا ما كان قد تناول الإفطار أم أنه صفا لثو غالياً ما يفطر مرة ثانية ثم يرجع إلى الفراش كي يستمع إلى المزيدي من برامج المدياع وهي بعض الأصباح يتناول الإفطار ثلاث مرات. يتساهد التلفزيون مسلسلات تبث فيه الدهشة من الثانية إلى الثانية. وإن حدث وكانت العروض واضحة البداية والدروة والهياة قد يشعر بوجود مشكلة. يفضل قناة التاريخ أو أي شيء له علاقة بالحرب العالمية الثانية، يتشقى إلى الهي في الماداة عدة مرات في جبهة المداء، وأحياناً لمدة ثلاثة أرباع ساعة، يجلس في المضاء يقرأ الحريدة. لا يد أنه يشعر كما لو كان خارجاً من آلة الزمن. دوش من؟ الهواقي ماذا؟ كمبيوتر متى؟ وحين يبلغ إلى بي نهاية العوان، ينسى في العتاب بدايته. ولا ينسى عنه في أكثرية الوقت. بعد قراءة الأصداء الجوية، سوي الراسع الضفت واع على ورق الجريدة، رأسه الضاور أو مسقنة على الصور وعندها تقع عيناه على أسرار البيوت في قسم العقارات، يعلن على الدوام عن صدمته.

لعد سقط إلى بي خارج إطار الزمن كلية بدون ذاكرة. خلا عقله من تيار الوعي وما حارس سوي فليترت يتخبر على الأمور. ولو نزعنا الساعة من معصمه - أو على نحو أفسى غيرت الوقت - سوف يصيغ ضامناً. لقد وقع في فخ سجن الحاضر الالدي، بين ماضي لا يستطيع أن يستدعيه ومستقبل لا يستطيع أن يتأمله وهو بذلك يعيش حياة لا حراك فيها. منزلة يناما مع الصقي. به سعيد طوال الوقت في منتهى السعادة، ظل لا حياته خالية من التوتر. تقول أمته كارول التي تقيم بالقرع منه:

ما عمرك الآن؟، يسأله سكوير. نعم، أركن ٥٩، أو ٦٠. ذاكرتي ليست متأيلة إلى هذه الدرجة، إنها جيدة للغاية لكن أحياناً ما يأسئ الناس أسئلة لا أفهمها. أنا متأكد أنك تواجه مشكلة بين الحب والأحر.

الطابع. يرد سكوير منتهية تشى بالطبيعة على الرغم من أن ذاكرة إلى بي تعطلت زهاء ربع قرن. إن غالبية ما في علمه به في العلم مع الدماء جاء من دماغ ثالث يشبه دماغ إلى بي إلى حد كبير. إنه دماغ رجل يبلغ من العمر ٨١ سنة معروف باسم «إتش إم». رجل فاقد للذاكرة يعرض في دار للمسنين سولاية



## غياهاب الذاكرسة

يتعمق أكثرية العلماء في الوقت الحاضر أن ما استخره بنسيفيل من ذكريات غريبة القرب إلى الأوهام والهلوسة منها لا الذي الظهور المباشت لأحداث منسية من ماضى المره تجربة بأعها الجميع ولا شك. ومع ذلك، يقوم الدماغ بمهمة التسجيل بصورة رديئة هزيلة. هالباي أن الناس في الذاكره، وفي الغالب بقله لا تحتمل. أما تلك الذكريات التي نقتل أننا في حاجة إليها بالصل - كاسم أحد المعارف أو ميماه القائلة أن مكان مفاتيح السيارة - فتتغير على الدوام.

حاول مايكل أندرسون Michael Anderson، باحث في الذاكرة بجامعة أوريغون في مدينة بورجر، أن يحسب تلكه كل هذا التغير. ووفقاً من دراسة، ومذكرات النسيان، التي كتبها طلبة إحدى الجامعات (الوقت المستغرق في العثور على مفاتيح السيارة مثلاً)، يقدر أندرسون أن الناس يهرون أكثر من شهر كل عام من أجل التعويض عما نسوه من أشياء.

تذكر إبيه جيه كيف اكتشمت للمرة الأولى أن ذاكرته ليست ذاكراً لأخوين. كانت في الصف السابع، تذاكر دروسها استعداداً للاختامات النهائية. «لم أكن سعيدة، فقد أضمرت كراهية للممرسة، قالت. كانت أمها تعاونها في القيام بالواجبات المنزلية حين شره ذهنها بعيداً، «طلعت أفكر في السنة الفائتة، لا كنت في الصف السادس. أفكر في جيه لهذه السنة. ثم جعلت أكتشف أنني أتذكر تارياً بعينه ما كنت أفعله منذ سنة خلت، في البداية أنها فقت أيضاً نفس اليوم مما يحتمل. لكن بعد مضي عدة أسابيع كانت تلعب مع إحدى الصديقات، فتاحضرت أنها فقت أيضاً نفس اليوم من السنة الماضية مع نفس الصديقة.

لكن سنة إحساس مختلف، ولكن وقت من السنة الماضية مختلف. أربع ١٩٨١ يختلف كل الاختلاف عن شتاء ١٩٨١، تقول. التواريخ بالنسبة لإيه جيه ككعبة ماديلين الصفييرة التي حملت عقل مارسيل بروس على الرجوع وزيماً في روايته تذكر الأشياء الماضية. إن مجرد ذكر التواريخ يستحذ ذكرياتها لا إرادياً. تعلم أن الراحة الأشياء تثير الذكريات القديمة، أما ذاكرتي فأعقم وأهوى من ذلك عشرة أصماه.

اعتاد أخى أن يقول: «اه، إنها رجل الطر»، وكفت أجيبه قائلة: «لا، لست رجل الطر، لكنني كنت أدير في قرارة نفسي، وماذا لو كنت بحق... هل أنا مثله؟ هل

أشياء تعرفها دون التمكنر فيها معقل واع مثل كيفية تركيب الدراجة أو كيفية رسم شكل أثناء التطلع إليه في المرآة. تعتمد تلك الذكريات غير الواعية على منطقة قرن امون لتعزيرها وتخزينها إذ تقع في مناطق مختصة تماماً من الدماغ. فتعلم قيادة السيارات يحدث في قاعدة الدماغ بالمحج. والتعلم الإدراكي في القشرة المخية الجديدة، وتعلم العادات في منتصف الدماغ. وكما أوصحت حالتنا إى بي وإتش أن بكل وضوح - يمكن أن يتلف جانب من الدماغ ويظل الباقي منه عاملاً كالعتاد.

إن ما لنحاً إليه في الغالب من استعارات لوصف الذاكرة - الصورة، التسجيل، المرآة، القرص الصلب - توحى كلها بقله ميكانيكية وكأن الدماغ ناسخ لا تشوبه شائبة لتجارنا. وقد اعتقد العلماء لادم طويولة أن ادعتنا تزدى وظلها متعلها مثل تسجيل مثالي. وأن حياة طويولة من الذكريات محفوظة بعيداً في مكان ما في العيلة المخية، ولو استمضى على ادعهم العثور عليها فذلك مرجح عدم قدرته على الدخول إليها وليس لأختناها.

وقد ظن أحد جراحي الأعصاب الكنديين ويدعى ألفريد بنسيفيلد Wilder Penfield أنه ثبت تلك النظرية خلال العقد الخامس من القرن العشرين بعد أن استخدم مسجات كهربائية لتجنيبه أدعة مرضى الصرع وهم يرددون وأعين على طاوله العمليات. كان بنسيفيلد يحاول أن يحدد مصدر الصرع غير أنه اكتشف أن المرضى يبدعون في وصف تجارب جليلة عندما يلامس الجس مناطق معينة من العنص الصدغي وعند معاودة لمس نفس الموضع، غالباً ما يستثير نفس التنجيح. وعليه اعتقد بنسيفيلد أن الدماغ يسجل كل شيء يصنه المرء أي درجة من الانثباه الواعي، وأن هذا التسجيل دائم.

### إن ما لنحاً إليه في الغالب

من استعارات لوصف الذاكرة. الصورة،

التسجيل، المرآة، القرص الصلب - توحى كلها بدقة

ميكانيكية وكأن الدماغ ناسخ

لا تشوبه شائبة لتجارنا

لعدة دقائق. لكن حالما تشمت ذهنه، تبدد العدد من عقله. إنه لم يسمه أن يستحضر أن ادعهم وجه إليه سراً. ومع أن العلماء كانوا يقفون على الفرق بين الذاكرة طويلة الأمد وتلك قصيرة الأمد منذ أواخر القرن التاسع عشر، فهم يمتلكون الآن دليلاً متطلاً في دماغ إتش إم على أن كل نوع منهما يحدث في أجزاء مختلفة من الدماغ، وأن بدون منطقة قرن امون لا يستطيع إتش إم أن يحول الذاكرة قصيرة المدى إلى أخرى طويلة المدى. كما تعلم الباحثون نوعاً آخر من التذكر عن طريق دراسة إتش إم. فعلى الرغم أنه لا يستطيع أن يحول ما تناوله في وجبة الإفطار إلى ويصرح باسم رئيس البلاد الحالي، فمة أشياء بإمكانه تذكرها. إذ اكتشفت ميلنر أن بقدره تعلم مهام جديدة بدون أن يمي حتى ذلك. سبت إحدى الدراسات أن إتش إم يستطيع أن يتعلم كيفية رسم نجمة من خمسة رؤوس على قطعة ورق وهو ينظر إلى انعكاسها في المرآة. وفي كل مرة تكلف ميلنر إتش إم بالمهمة، يدعى أنه لم يقم بها قط. ومع ذلك يتحسن مافه كل يوم في توجيه يده لتحركة بصورة عكسية. فعلى الرغم من فقدانه للذاكرة، كان يتذكر.

ويعم الاختلافات حول عدد أنظمة الذاكرة بالتحديد. يقسم العلماء الذكريات بوجه عام إلى نوعين: الذاكرة التقريرية والذاكرة غير التقريرية (أحياناً ما يشار إليهما بالذاكرة الصريحة والذاكرة الضمنية). توحى الذاكرة التقريرية أشياء تعلم أنك تتذكرها مثل أول سيارتك أو ما جرى في أصيل اليوم الفائت. فقد إى بي وإتش إم القدرة على تكوين ذكريات تقريرية جديدة. أما الذكريات غير التقريرية فهي

كوبيتيكيت كابد إتش إم خلال حملوته مرض الصرع الذي بدأ بعد حادثة دراجة في سن التاسعة. وحيماً بلغ من ٢٧، كان يقعد الوصى عشر مرات في الأسبوع دون أن يقوى على القيام بأى شيء. حسب جراح أعصاب يدعى ويليام سكوفيل William Scoville أن بإمكانه مداواة صرع إتش إم بإجراء جراحة تجريبية تتسائل جراً من الدماغ أشبه في أنه المسبب للمشكلة.

وفي عام ١٩٥٣ بينما كان إتش إم يردد واعياً على طاوله العمليات وقد تخدرت فرور رأسه، نقت سكوفيل ثقبين فوق عيني المريض بالصلب. رفع الجراح مقدمة دماغ إتش إم بملقطه حديدية صغيرة بينما راحت مخصصة معدنية تنصت لقلب قرن امون ومعها ما يحيط به من فصيلين صديفيين وسطييين. قلل الجرح من عدد ذوات إتش إم لكن سرعان ما انصاع إلى سلبه أيضاً ذاكرته. وفي غضون ما ثلث ما خمس عقود، تهرض إتش إم لحد لا يحصر له من التجارب لتجسيم أكثر المرضى دراسة في تاريخ علم الذاكرة. وفي الموضوع في الاختيار ما أفضت إليه جراحة سكوفيل من نتيجة مرسوعة. افترض الجميع أن إتش إم سوف يفقد حالة هريسة استثنائية.

حطم إى بي ذلك الافتراض. فما فعله سكوفيل مع إتش إم باستخدام مصاصة معدنية فقلته الطبيعية بفيروس الهريس البسيط. وعند وضع مصور الرئين الفلماييس للدماغين جنباً إلى جنب، يتشابه الدماغان تشابهاً غريباً وإن كان ما يدمع إى من دمار كان أكثر شمولاً. حتى لو لم تكن على دراية بشكل الدماغ الطبيعي، سوف تجد الثقبين المتسعين المتماثلين يحدهان إليك شاموها على العنبرين.

وكما هو الحال مع إى بي، استطاع إتش إم أن يستحفظ بالذكريات بما يكفي فقط لتتمكنر فيها لكن بمجرد أن ينصرف دماغه إلى شيء آخر، يعجز كلية عن استعادتها. وهي إحدى التجارب الشهيرة. سانت ريندا ميلنر Brenda Milner - عالة نفس كندي - إتش إم أن يتذكر العدد ٥٨٤ لأطول وقت ممكن. ولكن يحتمل بالبعد على طرف لسانه استعمال نظاماً معقداً بأح به إلى ميلنر: ٨. حاصل جمع ٥ و ٥ هو ١٧. تتذكر رقم ٨ وتقرجها من ١٧، فيبقى لك رقم ٩. ويتقسم ٩، سيصل لديك ٥، وما هو العدد، ٥٨٤. صيحه.

سلط تركيزه على هذه العملية العقدة





## غياهب الذاكرة

في تاريخ اليوم أي كان، ولكن يقتصر الوقت، يمر قلبي سريعاً على ذلك اليوم خلال العشرين سنة الأخيرة مثلاً، تشبع إني جيه أصولها ذاكرتها عبر العتادة إلى انتقال الأسرة من نيبو جيرسي إلى كاليفورنيا عندما كانت هي الثامنة من عمرها، تميزت الحياة في نيبو جيرسي بالراحة والألفة في حين بدت كاليفورنيا أجنية غريبة كانت تلك أول مرة تستوعب فيها أن الكر في الس والانتقال من مكان لآخر يعني بالضرورة النسيان والهجران، ولأنني أكن عظيم الكراهية للتغيير، تراءى لي بعد ذلك ردت ن التثبت بكل شيء، لاني أعلم في النهاية أن يد التفسير سوف تحوّل كل شيء، ما بحث

يعتقد جيه أندريس إريكسون K. Anders Ericsson، الأستاذ علم النفس بجامعة فلوريدا الحكومية أن إيه جيه قد لا تختلف في الأساس عن بقية من هذه الدرجة، بعد الإعلان المبني عن حالة إيه جيه بجريدة نيويورك، صرح إريكسون أننا في حاجة إلى تفسير هوس إيه جيه الاستثنائي بمصاهيبها وأيس تفسير ذاكرة فطرية استثنائية غير مسبوقة دائماً ما يتذكر الناس أشياء بطون، أي أمهتها متفهمين السيول ينضمون بمعرفة موسوعية عن الإحصاءات، وأستاذة الشرطية كثيراً ما يستعملون تحركات مخادعة جرت منذ سنوات، والحنلون غالباً ما يستدعون نصوصاً بعد فترة طويلة من إدها لكل فرد ذاكرة شيء ما، ويعتقد إريكسون أنه لو اهتم أحدهم بالتعمك بالخاص اهتمام إيه جيه به، سوف يبدو حفظ حياة المرء في مثيله يد فيه أثبات إيه جيه بنظرية إريكسون فسادتها أيات ازعاج واضح، أريد أن اتصل به لأصرح في وجهه، لو أني قد قضيت كل هذا الوقت في حفظ حياتي فلا بد أني شخصية مبدلة أيما مبدل، تعلن: أنا لا أحفظ حياتي، أنا أعرفها، وهذا هو كل ما في الأمر،

إني تذكر كل شيء بسبب الجنون لإيه جيه ويحب لها الوحدة، أذكر الأحداث الجديدة مما يث في الارتفاع، لكنني أستدعي أيضاً السين منها، وكل اختيار سيئ، تقول، الحق أني لا اتهاون مع نفسي، هناك كل تلك المنظمات في الطريق لحظاب ليكن أنا تتحدث فيها قراراً، ثم أجد نفسي بعد مرور عشر سنوات لا أزال أوبخ نفسي عليها، لا أسمع نفس على الكثير من الأطفال، إني أذكرك هي حاميك ويخالجن شعور بان ذاكرتي

التعود اليهودي، ومع في الاستدكار تقنيات لحفظ الذكريات شصيا لمدة قرون، لا يزال حفظ القرآن يعتبر إنجازاً كاملاً من المسلمين الغربيين كما يسرد حكايات غرب أفريقيا التقليديون والشعراء السلافون ملحم هائلة من الذاكرة بالكامل إلا أن الكثير منا قد خصصوا لتحولات عميقة خلال الألف سنة المنصرمة، إذ استبدلنا بالتدريج ذاكرتنا الداخلية بما يشير إليه علماء النفس بالذاكرة الخارجية، وهي نية هائلة ضمة من دعائم تكنولوجية اخترعناها كابل نظير إلى تخزين المعلومات في أدمجتنا، وبمقدور أن نقول إما تحولنا من تذكر كل شيء إلى تذكر أقل القليل، فلدينا صور تسجيل تجاربنا ورواياتنا لتتبع جدولنا وكنت (والآن أشرت) لتخزين مجموع معارفنا ومفكرات لتدوين ملحوظاتنا السريعة، ما هي إذن الآثار المحتملة لهذه المصادر الخارجية للذاكرة علينا وعلى مجتمعنا؟ وهل فقدنا شيئاً؟

ولكن تكلم إيه جيه الذكريات داخل عقلها، تخزن أيضاً مجموعة نفسية من الذكريات الخارجية، بالإضافة إلى مفكرات معصلة احتملت بها منذ طولتها، تحوز مكتبة بها ما يقرب من ألف شريط فيديو نسخه من التلمزيون وستنوقا يحفل بتسجيلات المذيع ومكتبة أبحاث، تشكل من ٥٠٠ مفكرة تخر بحقائق وجدتها على أبحاثها وتتعلق بأبحاث موجودة في ذاكرتها، المسألة هي أني أريد أن أحفظ بكل شيء، فالت، لقد أصبحت صيابة ماضي إيه جيه الدافع الأول المحرك لحياتها، حين أجف خمرى في الصباح، أتأمل

يسمى بحق القول إني أحمل كل ما أعنتك، أثار، من العصر علينا أن نتخيل الحياة في ثقافة ما قبل الكتب المطبوعة أو ما قبل حمل الأقلام الحبر أو الورق لتدوين الملحوظات، في عالم يضم كتباً فليضة تقع في المقام الأول بالمكتبات العامة، لا بد أن يتذكر المرء ما تعلمه لأنه لا يستطيع على الإطلاق أن يعتمد على حرية الوصول المستمر إلى مواد معينة، كتبت ماري كاروس Mary Carnuthers مؤلفة كتاب الذاكرة وهو دراسة عن دور تقنيات الذاكرة في ثقافة العصور الوسطى، لقد ساور الناس في العصور الحديثة والوسطى إحسان بالخشية من الذاكرة وصوروا أعظم عبايرتهم باعتبارهم أصحاب ذاكرة ممتازة، فلاهوتى القرن الثالث عشر توماس أكويناس، مثلاً، مشهور بتأليف كتاب شامل في اللاهوت في قفله بالكامل وإمالاته من الذاكرة باستطاعة الفيلسوف الروماني سينيكا الأكبر تكرر ٢٠٠٠ اسم بنفس ما لديه من ترتيب، ثمة رجل روماني اسمه سيبليستين بإمكانه أن يتلو صفات فيرجل بالعكس وكأنه يحفظها عن ظهر قلب، لقد ذه الناس أيامها الذاكرة القوية واحدة من أعظم الفضائل نظراً لأنها أدمجت في النصوص علماً من المعرفة الخارجية، الحق أن ثمة قاسماً مشتركاً في عيواف القديسين، ألا وهو الذاكرة الاستثنائية.

وبعد اكتشاف سيونيدير انظم فن الذاكرة في مجموعة واسعة من القواعد والتعليمات على أيدي أشخاص مثل شيرتون وكوتنيلياي وضمت أبحاث لا عد لها ولا حصر عن الذاكرة أجراها الباحثون خلال العصور الوسطى، وعندها لم يتعلم المراهق أن يتنبأ أن يتذكرو فقط بل وتقنيات تذكر، الواقع أن هناك ثقافات عديدة تتضمن تعاليم طويلة لتدريب الذاكرة، فقد انتقل

ثمة عدة بى، فكر إيه جيه في لحظة من الحظان أن تقيم منجز على المصلى الحبس القريب لنصف فيه لأمية دور الرواومة البشرية، سوف يدفع الناس خمسة دولارات كي يحاولوا تحدي ذاكرتها فيما يخص التواريخ، لكنها عدلت عن الصكرة، لا أريد أن اتحول إلى مهلون،

سوف يلوخ وكان امتلاك ذاكرة كذاكرة إيه جيه سيجعل الحياة مختلفة اختلافاً نوعياً، سيجعلها أفضل، إن تهافت لا تملك تقمراً بمعلومات جديدة فإنا لا نأسر أو نفهس سوى القليل منها بهدف استرجاعها لاحقاً، ماذا يعني أن تمتلك كل هذه المعلومات الضائعة في متناول أيدينا؟ هل سيجعلنا أشد إقناعاً أو أشد ثقة؟ هل سيجعلنا، بمعنى ما، أذكى؟ ومع الأخذ في الاعتبار أن التجربة هي مجموع ذكرياتنا والحكمة هي مجموع تجاربنا، لن تمنى الذاكرة الأفضل لإمام بالمرء من العالم فقط، بل أيضاً المرء من نفس المرء، كم عدد الأفكار القيمة التي ذهبت بلا تأمل وعدد الروايات التي راخت بلا تثبت من جراء عيوب الذاكرة؟

إن ما تجسده إيه جيه من حلم، وهو كمال الذاكرة، يربوونا منذ القرن الخامس قبل الميلاد على الأقل عندما اخترع الشاعر اليوناني سيونيديز السيوسى تكميكا معروفاً باسم «في الذاكرة»، كان سيونيديز الناجي الوحيد من انهيار فاجع لسقف إحدى صالات الأدب في إليمبثيا، وحسبما روى شيرتون، الذي وصف الحادثة بعد أربعة قرون من وقوعها، كانت الجثث مشوهة بلا سبل إلى التعرف عليها، غير أن عقل سيونيديز استطاع أن يشرح بعينه عن الصوضى ليصير كل شيء جالساً في مقعد جولو الخائف، وقد وقع على الاكتشاف المفل المرووف باسم «منهج المكان»، لو وسلك أن تحول أي كان ما تحاول تذكره إلى صور عقلية جلية ثم تنظمها في مساحة معمرية تخيلية تعرف باسم «قصر الذاكرة»، يمكن أن تصمم الذكريات عملياً مستعمية على النحو،

يقال إن بيتر من مدينة رافينا، وهو قاض إيطالي معروف ومؤلف كتاب شهير عن الذاكرة في القرن الخامس عشر، استخدم منهج المكان في حفظ الإنجيل وجميع المبادئ القانونية و٢٠٠ خطبة من خطب شيرتون و١٠٠٠ بيت من شعر أوفيد، اعتاد في وقت فراغه أن يعيد ذكره الكتب المخزونة في قصور ذاكرته، حينما غادرته بلدى لأقصد مدن إيطاليا كسلاج،

في عالم كان يضم كتباً قليلة  
تقع في المقام الأول بالمكتبات العامة.  
لا بد أن يتذكر المرء ما تعلمه لأنه لا يستطيع  
على الإطلاق أن يعتمد على حرية  
الوصول المستمر إلى مواد معينة



## غيساهب الذاكورة

لم تقم بحمايتي. ليتني أصير إنساناً سبيعاً لمدة خمس دقائق. ليت عيني يخلو من كل تلك التفاصيل. لقد أطلق أكثريه الناس على ما لدى، الله، لكن اسمه، صيلاً...

إن الهدف الأساسي من الجهاز العصبي، من أعضاء الحواس التي تمتد للخلايا العصبية العزيرة للعالمومات بفرض ترجمتها. هو تطوير شعور مما يجري في الحاضر وما سيطرأ في المستقبل حتى تدير منا كيف ردود أفعال ممكنة. للتعلم أدمغتنا دوراً أساسياً كآلات تنبؤ. ولكي تقوم بوظيفتها يتوجب عليها أن تنظم هورمون الدكرات المحتملة. لكن في حاجة إلى تدرك معظم التفاصيل التي تنفذ إلى أدمغتنا بقدر ما نحن في حاجة إلى التفكير فيها.

لقد طور دانيال شاكتر Daniel Schacter، عالم النفس بجامعة هارفارد، تنبؤاً للنسيان حتى يفهم ما يسببه بالتحديات العصبية للدكرات. خطبته الشنت، العازف، ويو-ما، ينسى كمناً يقدر بـ ٥,٢ مليون دولار في العقد الخلفي للناس. معاناة سامة إقتال لا تتمك تلك محارب حرب بترتنام ليغاني خطبته. الاستمرار. السياسي لانه ينسى كلمة تباطأت على طرف السادة خلال حملته الانتخابية بكساد خطبته الاعتراض. يقول شاكتر إنه على الرغم من زمينا إختلافات الدكرات باللعنان يورمي تقريباً. فذلك مرجعه جهنا بفاندمتها. الحقيقة هي أن كل خطبته ما هي إلا الوجه الآخر لإحدى المصائل، ثمن ندفعه مقابل عمليات ووظائف تحدد ذكرتنا من جوانب عديدة. كمية أساليب تشويكية وجيهة تنسب في إخماق ذكرياتنا بكساد الطريقة. لو أننا إختارنا على الفور كل ما نرؤى؛ إله وشماته وسمناته وكفرنا فيه في قاعدة الذاكرة الالهية المسماة بذاكرة الأمد الطويل. سوف نغرق في بحر من معلومات لا قيمة لها.

يصعب خورخي لويس بورخيس في قصته المصيرة "فيونس المتذكر، رجلاً أعجزه عدم القدرة على النسيان. فهو يتذكر كل تفاصيل حياته دون أن يسعه التمرقة بين التآلف منها والمهم لا يستطيع أن يحدد أولوياته أو يطلق الأحكام العامة. إنه عاجز خرفياً عن تكوين الأفكار العامة النظرية، يختم بورخيس قصته ليقول: عل النسيان وليس المتذكر هو جوهر ما يجعلنا بشراً. "إن تفكر، يكتب بورخيس، هو أن ننسى. إن نهرم هو أن ننسى أيضاً. نحن نحو خمسة ملايين أمريكي مصابون بمرض

التنبيهية الأولية التي تنتقل عبر الشباك العصبية بين الخلايا العصبية. ومن خلال توسيع تأثيرها، تروجو كورتيكيس أن تحسن قدرة الدماغ الضمنية على تشكيل الدكرات واسترجاعها. حين أعطى الباحثون الأمبيكين لفرانز من منتصف العصر، استطاع أن يعكس كلية التراجع المتعلق بالتقدم في السن في الآلية الخلوية للدكرات.

لن تلبث أدوية مثل الأمبيكين أن تصل إلى الأسواق؛ ومنفذ قد تحمل تأثيراً مهولاً على المجتمع. وعلى الرغم من أن شركات الأدوية تصطنع عن العلاج لمرض مرض الزهايمر ومحاربة تراجع القوى العصبية. يبدو من المحتوم أن تنتهي تلك الحبوب إلى أيدي طلبة يذكرون دروسهم في المحطات الأخيرة وربما العديد من يربدون فقط تحسين وظائف أدمغتهم ثمة بالفعل منبهات نفسية مصممة لعلاج اضطراب قصور الانتباه وفرط الحركة مثل الأديرال والريتاينين ويستخدمها واحد من كل طالب في بعض الكليات كمعينات على الدراسة، في محاولة لزيادة تركيزهم وتحسين كورتهم.

تطرح كل هذه الظروف قضايا أخلاقية محيرة. هل نختار العيش في مجتمع يحوي أناساً ذوي ذاكرة أفضل بكثير؟ لكن ما معنى أن ينال المرء ذاكرة أفضل؟ هل معناه أن يستحضر المرء الأحداث كما وقعت بالضبط، أحياناً عارية من مراجعات وميالات تقوم بها أدمغتنا بصورة طبيعية؟ هل معناه الفوز بذاكرة تنسى الصدمات؟ هل معناه نيل ذاكرة تتذكر ما نود نذكره فقط لا غير؟ هل معناه أن نتحول إلى إيه جيه؟ أرت أن أعابن ذاكرة إى بي غير التقريرية المجرمة من الوعى على الطبيعة. هذا مطلب منه أن يتشمى عن في أرجاء الحد. فقال، "لا، لا، لا، لذا انتظرت ثم طلبت منه بعد دقيقتين

الزهايمر فيما يعانى المزيد من إعاقة إدراكية معتدلة أو درجات أقل من فقدان الذاكرة. فمن إحدى الدراسات الموسعة عندما سئل الأشخاص في العقد التاسع من العمر تدرك قاطبة من ١٥ كلمة قرأها أحدهم منذ عشرين دقيقة استحضروا أقل من ٦٠٪ بينما استطاع الأشخاص في العقد الثالث تذكر ما يقرب من ٩٠٪. ليس من المدهش إن أن الناس تتعثر منذ أمد بعيد على كيماويات قد توفف للمرنسيسكانى بزانزو دو لافينيتا. تتكون الذاكرة الطبيعية من نوعين. يتنافس النوع الأول مع النوع الثاني. والكمادات، لا ريب أن النوع الثاني هو الذاكرة التي عهد لافينيتا أكثر أماناً وفاعلية (مطراً لأن أدوية الذاكرة لها آثار جانبية سيئة مثل "تجفيف" الدماغ). اليوم تباع عيشة الحنكة كمكمل غذائي بدون وصفة طبية أو تضاف إلى عصائر الماكهة والمشروبات الغازية، الذكية، حتى بدون دليل قاطع على تشييدها للدكرات أو تجفيف الدماغ.

وفي غضون العقود الفائتة مدت شركات الدواء عملية التنقيب إلى آفاق جديدة. فمع تسليحهم باستيعاب أوسع لأسس الذاكرة الجزيئية. يسمون الآن إلى خلق أدوية جديدة توسع من قدرة الدماغ على التذكر. فمن خلال السنوات الأخيرة تشكلت ثلاث شركات على الأقل بإعلان صريح عن نيها تطوير أدوية للدكرات. وتحاول واحدة من هذه الشركات، كورتيس فارماوتيكال، تطوير طائفة من الجزيئات المعروفة باسم الأمبيكينات (Ampakines)، التي تسهل من انتقال الجلوتاميت كشلال عصبي. الجلوتاميت إحدى المواد الكيميائية

## ليس من المدهش إذن أن الناس تفتش منسى أمد بعيد عن كيماويات قد توقف ذلك المسمى من النسيان

من النسيان



فواق هذه المرة. مرفقا من الباب الأمامي لتلفنا شمس الأصيل المرمضة ثم انعطفتنا يميناً. سالت إى بي عن سيب عدم اتجاهنا يساراً.

أفضل فقط. لا أسلك ذلك الطريق. هذا هو الطريق الذي أمشى فيه. لا أعلم السبب، أنى إلى.

لو سألته أن يرسم خريطة لطريق يمشيه ثلاث مرات على الأقل يومياً. لن يتمكن من رسمه قط. بل إنه لا يعلم عنوانه أو اتجاه المحيط (وهو أمر بعيد الاحتمال تتحسن من سان دييجو). لكن بعد سنوات عديدة من قطع نمس التمشية، حضرت الرحلة نفسها في لا وعية. تدعى زوجته يفرلى يخرج بفرده الآن رغم أنه سوف يتشوه شاماً مع أى انعطافة خاطئة. أحياناً ما يرجع من مسيرته بأشياء التقطها في الطريق، كومة من الأحجار المسبورة، جرو، محفظة أحدهم. لا يسعه أبداً تفسير وصولها إلى حوزته.

"يحبه الجيران جماً جماً؛ فهو يقدم إليهم ويبدأ في تجاذب أطراف الحديث معهم، تنفوه بفرلى. وعلى الرغم من طئنه أنه يقابلهما لى يعيش فيها، العادة أنهم أشخاص مريحون. وقد وجد مشاعر الرحلة سبباً وجيهاً لتوقف وإلقاء التحية.

تعبير الشارح فالفى بنفسى بمفردى مع إى بي للفرع الأولى. لا يعلم من أنا أو ماذا أفعل بجوارهم وإن خالجه على ما يبدو شعور بأنى بصيخته لسبب وجيه، قد لبثت لكابوس وجوى مطلق. أصيب بعمى عن الحقيقة التى يعيش فيها. تملكنى باعث على أن أساعده على الهرب، على الأقل للحظة. أدت أن أمسك بدارعه وأهرم، دأت مصاب باضطراب نادر في الذاكرة، رغبت في أن أصبح به. آخر خمسين سنة ضائعة من حياتك وخلال أقل من دقيقة تنسى إى هذه الحادثة قد حدثت. أخيراً ما مسيق به من رعب صرف. الوضوح الخافض، الصراع المذهل الذى سوف ينتقل أمام عينيه ثم ينقلب بنفس السرعة ثم السيارة المارة أو الطائر الغرور الذى سوف يعيده بسرعة إلى قاعة النسيان.

نستدير لنعود إدراجنا إلى شارع لا يتذكر اسمه، نجتاز جيواناً لا يتعرف عليهم وهم يلوحون بإيديهم، بإتجاه بيت لا يعرف عنه شيئاً. وقتت أمام المنزل سيارة ذات نوادج ملونة بلون خفيف. نستدير لتطلع إلى انعكاس صورتنا فأسأل إى بي عما يراه.

رجل عجوز، يلفظ، "ذلك كل شيء." ■

# هؤلاء الأقباط المصريون

س. هـ. ليدر

جبل المقطم الشهير الجيرية وراء القاهرة.

بالإضافة إلى المساحات الكبيرة من الأراضي التي جرى استصلاحها، ما زال في الدلتا مليون ونصف المليون فدان يور في انتظار تخليصها من الملح الذي تغلغلها وجعلها عاقراً لفترات طويلة وتبدل التجارب على أنه من الممكن زراعتها. وحينذاك لن تُزرع أرضاً فحسب، بل كذلك قطعاً.

بصورة عامة، وطبقاً لاستنتاجات الجيولوجيين، قد يقال، إن النهر الجبار منذ بدء العصر الحديث جعل من نفسه خادماً كريماً للبشر بعدم توقفه عن مهمة إبعاد البحر المتوسط سواسه الفنية؛ ففي العصور القديمة زاد حجم الهبة مع زيادة عدد السكان الذين يتمتعون بها، وها هو التاريخ يعيد نفسه في العصر الحالي.

كان ما قام به الإنسان لاستكمال دور النهر دوراً مهماً باستمرار. وقد يكون هناك شك فيما إذا كانت المهارة المستخدمة اليوم تتجاوز كثيراً مهارة المصريين الأوائل الذين كرسوا جهودهم لتطوير هبة الشهر المقدس النيلية. وهناك الكثير من الأدلة على أنهم فهموا علم الري، مثلما فهموا علم البناء والخشب والطوب والحجر.

لا يحتاج الأمر إلى نظرية سريعة على أرقام الزيادة المدهشة في عدد سكان مصر. في ظل ظروفها الحالية من المعدل والأمان، كي يبين مقدار ضرورة عمل الناس، كذلك الذي تحدثت عنه، لصنع الحياة البشرية. ولو ماستكمال أنشطة الحكومة، عن طريق استصلاح الأراضي بواسطة أنظمة الري والصرف الضخمة لا يدرك أحد أنه بينما كان عدد سكان مصر منذ حوالي سبعة مئة سنة ما يقرب من مليونين، فهو حالياً حوالي عشرة ملايين. وأن الجزء الأكبر من تلك الزيادة تم تحت الحكم البريطاني الذي تعود بدايته إلى عام ١٨٨٢.

لم يعد عمل المسخرة



ويجعلونها تبتسم تحت القمح المتمايل الذي ينبت حيثما كانت السيطرة في يوم من الأيام للبحر، أو كانت الصحراء الحارة ترفض أن تثبت ورقة خضراء واحدة.

الوجه البحري هبة النيل، بالمعنى الحقيقي تماماً للكلمة. فقد كان هناك وقت كانت الدلتا فيه خليجاً من خلجان البحر المتوسط. وقبل أن تملؤها راسب النيل، كانت أمواج البحر ترتطم بمسحور

أراضيهم الشاسعة، التي ما زالت تعتمد حتى الآن على فيضان النيل في زراعة محصول واحد، تعمل بكامل قدرتها الزراعية، إذ يجعلها الري الاصطناعي الآن تقل سلسلة من المحاصيل طوال العام.

في الدلتا، وخاصةً من خلال أنظمة تسوية التربة الكبيرة، يستصلح أصحاب الأقطان هؤلاء مساحات ضخمة من الصحراء الخالصة والأراضي المحمية،

■ اشهر بسحر لا يقاوم للقرية المصرية. وقد أتاحت لي الإقامة في العديد من القرى والعزب البعيدة، وكلما زاد عدد من رايته من الضاحين ازداد تقديري لسحر أدهم البسيط. وكرم ضيافتهم غير المتعل، وذلك النوع من السماحة المحلية، حتى بين عامة الناس، الذي يشع في كل مناحي الحياة على قدر من البدائية تبدو وكأنها تعود إلى الأيام الأولى التالية لخروج الإنسان من الجنة كي يأكل من عرق جبينه طوال أيام حياته.

في السنوات القليلة الماضية بدلت ريادة الثروة لدى طبقات أصحاب الأقطان تلك الحياة البدائية في بعض القرى، ومع عودة الكثير من الأراضي إلى أيدي من كانت قد صودرت منهم عند اعتلاء الحكام الطغاة العرش، وأخرهم من حملوا لقب الخديو، وأعلنوا أنفسهم أصحاب البلاد كلها، والكثير من تلك الثروة في أيدي الأقباط، الذين انتعشت أحوالهم بشكل كبير في ظل أمان الحكم البريطاني.

لدى عدد قليل من الأقباط الأثرياء رغبة صادقة في زيادة املاكهم وتحسينها، وحكم المناطق الخاضعة لهم بطريقة تمكنهم من اكتساب تقدير الكثيرين من التابعين لهم وحبهم.

وليس هناك ما يمكن أن يؤدي إلى مصلحة مصر الدائمة على نحو مؤكد مثل الحماس للزراعة الماهرة التي يبديها هؤلاء، فهم يشجعون دراسة الزراعة العلمية التي تزيد بواسطتها إنتاجية بلدهم زيادة ضخمة، وعن طريق إدخال كل نوع من الآلات الحديثة، يسرعون في الوقت نفسه في جعل

أثناء الفراغة المحدثون دراسة لأخلاق أقباط مصر وعاداتهم س. هـ. ليدر

ترجمة أحمد محمود القاهرة، دار الشروق ٢٠٠٨



## الروائع هنا ليست ناسم الريف الإنجليزي التي يصعب تحديددها، ولكنها تحضنتنا بشكل كامل وداقي. فقد تحولت الأرض إلى فردوس من العطور الرقيقة

النهار.. وهو غريت مألوف في وادي النيل  
في أحد الحقول كان فلاح يقود أحد  
المحاريث البدائية الذي يجره ثور، بينما  
يقبض أغنية قديمة جداً بصوت رئيس  
لطيف من الأرض. عرفت كلماتها فيما  
بعد من عامل آخر في الحقول. وهذه  
ترجمة بتصرف شديد لها:

ومياه الميضاج تجري:  
والنبؤز التي بدرتها في أمان،  
سوف تقصد عما قريب،  
وسوف تقفز الحلال الصغيرة،  
وسوف يحمل الحصاد إلى البيت،  
سوف ينمو البطيخ في الرمل  
الربيع.

وسوف يتبدل الخيار الأخضر من  
العصن،  
والعنب والخوخ والرمان،  
سوف يبهج الأيام عندما ينخفض  
الماء.

تحلق الأصوات الصادرة من الحقول  
التي تضئها الشمس في مصر انطباعاً  
للسعادة الطبيعية تختلف عن تلك  
التي هي أي بلد آخر. هل هي خوار  
الماشية الراضية في هذا الوقت من السنة  
التي ينمو فيه البرسيم، أم ضحكات  
وصيحات الأطفال الراضين الذين  
يرعونها، أم زفرقة الطيور، التي تعلو  
للتشديد العظيم نعمته الخاصة؟ لا  
أدري، ولكن يبدو أن الإنسان يستمع هنا  
إلى أغنية جديدة القدم خاصة بالحياة  
الغنية الملتجة في الجنة الأولى قبل أن  
تقرب الشمس في يوم من الأيام.

بيرون في مصر أن من كل حيوان  
الحصول على وجبة من البرسيم، الذي  
له اسم معناه «طعم الريح»، وينادي  
عليه الرجل الذي يبيعه في سوارع  
الشوارع لتأكله الخيل والحصير التي  
تؤجر هناك. ما الحديقة يطمعن به  
دوابهم كلما أتج لهم ذلك، وقمامة  
البرسيم الخضراء أمر تتميز به المدينة  
الشرقية ويتذكرو زوالها جميعاً، ويخبرنا  
مضيفنا أن خيل المدينة ترسل جميعها  
ناشطار إلى الريف كل عام من أجل  
«طعم الريح»، والواقع أننا اصغرو معنا  
هذه المرة اثنين أو ثلاثة من الحيوانات،  
لا يمكننا بالطبع أن نطلق عددًا من  
الحيوانات في حقل البرسيم لتتقن.

الصفاء ويحط عليها، نأسي على ما  
يبدو عادات الليل الخاصة بنوعه، أو إذا  
اختر النوم، فإننا نمر عليه وهو قابع  
فوق الفصون العارية لبعض الأشجار،  
حيث يعيش أزواجاً.  
القيرة موجودة هنا، ولها أغنية قصيرة  
خاصة بها، بينما الطيور كلها تقريباً  
سامنة، وهناك كذلك أبو فصادة كثير  
الجرعة، والهدد الجميل البف كحمام  
ميدان سان ماركو «فغنيسيا»، بينما  
تطير بقع صغيرة ذات ألوان حية هنا  
وهناك كأنها زهور متحركة.

أحد ملامح الطبيعة المصرية هو  
موكب الأهالي بجوار المجاري المائية،  
الرجال يجلبونهم القطنية الزرقاء،  
والنساء ملفوفات بلون أسود مفبر وهو  
الموكب الذي لا يتيم له نهاية منذ طلوع  
الشمس حتى مغيبها.  
لأننا راكبون، فابصرنا يقضي بأن  
نلفي نحن السلام على من يسيرون،  
ونلتقي في القابل التحيات والابتسامات  
من المارة.  
نبتعد بعد قليل عن التربة ونسير  
في طرق وسط الحقول منعناها ما لا  
يجص من الأقدام التي مرت عليها.



هناك سوق تقام اليوم، في الرب  
بلدة، وعندها القرينا منها قابلتنا أعداد  
كبيرة من الرجال والنساء والأطفال.  
يقودون جميعاً الحيوانات، جلاً وأبقاراً  
وحصيراً وماز وخرافاً، وفي بعض  
الأحيان كانت الحمائل الصغيرة  
محمولة فوق أكشاف الراعي، أو في  
حصن، بالمعنى الحرقي للكلمة  
على الجانب كان هناك عدد من  
الشباب في طريقهم إلى السوق توقفوا  
ليستموا ألعاب الكلمات التي يجدون  
منعة فيها ويتدفعهم إلى ذواب خافتة  
من المرح.

هناك كذلك مجموع من تلاميذ  
الدارس خرجوا من دورسهم التعليمية  
يلعبون لعبة قديمة جداً تشبه الرولتيد،  
كان أحد الصغار قد تجرد من ملايسه  
كاهن، وقد سخره زرافة إلى إفريقيا  
شاه، وقد غرنا. أما هو فقد رد علينا  
بسرعة فائلا: «سوف يظن أنني غريت

السلام مع التمتيات بيوم مشرق وسعيد  
ليعضنا البعض،  
كان صباحاً رائعاً في شهر يناير،  
حيث شتت الشمس برق الليل (إد كان  
قد خرج للثو من مصقع حقيقي)  
وشبورة الصباح الباكر البيضاء.  
بعد الكثير من التأخير، وهو أمر  
معروفة به مصر عند من هم على علم  
بماداتها التي تم من عدم الاكتراث، بدأ  
موكبنا المسير، ويعد أن غادروا المدينة  
الصغيرة أصبحنا بعد وقت قصير نسير  
في صف واحد طويل على جسر التربة،  
وهو تقريبا النوع الوحيد من الطرق  
المعروف في الريف.

كم كان الأمر كله مثيراً، الهواء الجاف  
الذي تطفه الشمس، والسماء الزرقاء،  
والألوان الحية وقد مسّت ذلك كله لغة  
ذهبية خفيفة غريبة عن أرض النيل  
والحقول الخضراء بما فيها من برسيم  
وقول يملأ الهواء بتلك الرائحة اللذيذة  
التي تتحدث برفقة إلى الرجل الإنجليزي  
عن أيام الصيف الدافئة الأولى في  
الوطن.

الروائع هنا ليست ناسم  
الإنجليزي التي يصعب تحديدها،  
ولكنها تحضنتنا بشكل كامل وداقي.  
فقد تحولت الأرض إلى فردوس من  
العطور الرقيقة. إننا تأخذ نفساً  
عميقاً، فالهواء ليس ثقيلاً فيهض، بل  
هو راخر بالثقوى المنفضة المانحة  
للحصى، مع إحياءات الشباب الدائم  
الذي يتضال فيه الحذر ويصيح  
الإنسان حراً لا يفيد شء.  
حياة الطيور بجوار المياه ساهرة،  
هطائر الزفراف، التي لا يعرف روعة  
ألوانه ولعانه من لم يره وهو يتحرك  
بسرعة من مكان لكان في ضوء الشمس،  
لا يبعد أكثر من الخوف من  
الإنسان. وقد رأيت عشرين طائراً من  
هذه الطيور بسرعة حول إحدى  
الترع وفي مصر لا يحدث فلاح أن يزعج  
الأولاد، صغراً أو كباراً، بقاء الطيور.  
يطير كذلك اليوم الصغير من على

يحكم على عشرات الآلاف من الرجال  
بالعبودية التي ثبت أنها طريق سريع  
للموت، وإنه تفكير غريب أن ينشئ  
الخدو من أجل سيدة رقيقة الشأن ما  
زالت على قيد الحياة طريفاً. من  
القاهرة إلى الأهرام، بسرعة وحشية أدت  
إلى التصحية بألاف الأرواح خلال  
أسبوعين أو ثلاثة.

هناك أعمالاً كثيرة في مصر جرى  
الحصول عليها يمثل هذا الشئ من  
الأم والدم البشري، ففي زمن السخرة،  
وهو قريب نسبياً، كانت القرى ترد صدق  
صرخات الأمهات اللاتي يابسهن الجنود  
لاختطاف ابنائهن من بين أيديهن،  
إما للسخرة أو للجهادية. فقد كانت  
تلك الأمهات المسكينات يعرفن جيداً أن  
فرص رؤية أبنائهن مرة أخرى وقد  
عادوا من أي من الخدمتين أقل من  
صعيفة.

في عهد اللورد كرومر استهت  
السخرة، واليوم لا تسبب الخدمة في  
الجيش أية ولولة؛ فالألم والروجة  
الضاربة تحطلعان إلى رؤية الشاب مرة  
أخرى، قوياً ومعاها، وقد اكتسب خبرة  
من الأسفار، ولديه الكثير من الأشياء  
التي يريوها. بل وفي جيبه القليل من  
المال

بعد أن تلقينا دعوة من إقطاعي  
قضى لزيارة أملاكه، أصبحنا طبقاً  
للعادة الشرقية في مسؤولية مصيغنا،  
منذ خروجنا من سكننا في القاهرة إلى  
الحلقة التي يعيدنا فيها إلى العتبة  
ذاتها، وأعرف أنه لا ينبغي لي إهانة  
المضيف المصري بعرض دفع أجرة سفرى  
بالنسبة المحدد، وليس هناك ما أؤاسي  
نفسه به في الحضور لثل هذه العادة  
غير الإنجليزية إلا لأزود الذي قطعه  
هو على نفسه لي يأن يوزني في ميتى  
باجلترا، حيث سيكون من اللائق أن  
أبدى له قدرًا مساوياً من التقدير  
والاهتمام.

عندما وصلنا إلى المحطة الريفية  
استقلنا العديد من الخدم بتشكيلة  
غريبة من الجمال والجمال والحقير  
تركبها مجموعتنا للذهاب إلى القرية  
البلدية، وكانت السمائم والتحيات بيننا  
وبين الأشخاص الذين جتمعوا  
لاستقبالنا بالاحياء الودية على  
كل الجوانب، وكما جميعاً ندعو ببركات



فى زمن السخرة. وهو  
قريب نسبياً. كانت القسرى ترد  
صدى صرخات الأمهات اللآلى أصابعهن الزينود  
لاختطاف أبنائهن من بين أيديهن.  
إما للسخرة أو للجهادية

على أرض ارتفعت قليلاً عما حولها  
اتقاء فميضات النيل، وتبرههها منددة  
المسجد الرشيف، والمدار البيضاء  
الكبيرة، أو القصر الذى نحن داهيون  
إليه، والقباب الصغيرة التى تميز  
الكنيسة القبطية. وفى أى بلد آخر  
كانت القادورات المحيطة بالسقيرة  
تصحب أمراً لا يمكن احتمالها، فإحدى  
عجائب مصر أن الشمس تصلح كل  
شء.

فى حوليات مصر القديمة  
بالهروغليفية كثيراً ما يرد ذكر الدور  
المميزة عن المسكن العادية لقباب الدار  
البیضاء، وكانت خرابة المرعون تسمى  
الدار البیضاء المزوجة، والثىء نفسه  
قائم الآن. فالقائد الأكبر من مباني  
الحكومة المصرية طلى بالجير الأبيض  
ويكسب للمسافر تمييزاً عن بعد.  
ويمسك كل مصري دى مكانة فى البلد  
طلبت جدرانها باللون الأبيض، والأل.  
وبما أن ليس هناك ما يدعو إلى إخفاء  
الكناسل القبطية، فهى تطلّى باللون  
الأبيض كما فى الماضى، وحتى تلك  
الكناسل الصغيرة التى يؤمها الكثير من  
الأقباط الذين اجتذبتهم البضعة  
التشهيرية الأمريكية إلى الذهب  
الشيخاني تبر بياضها الناصع بين  
مساك الناس بلونها الطينى الكاثر  
عندما وصلنا إلى الدار قولينا بأبد  
يجع هلى السور من مصيفنا الذى  
قدما إلى ناظر املاكه، وإلى خدمه  
المهين الآخرين، الذين كرسوا جميعاً  
جهدهم منذ تلك اللحظة لراحتنا  
والاحتفاء بنا.

من اللات لارتياح أن نجد أن هذه  
الدار رغم أن تاريخ بنائها يعود فقط إلى  
الأيام الأولى للاحتلال البريطانى الذى  
وفر الأمن والكثير من الثروة التى قامت  
عليها املاك صاحبها، فصخطها  
يتطابق تطابقاً شديداً مع صخط  
المساكن المصرية القديمة التى على القدر  
نفسه من الهمية

فالطوب اللبنى الذى ورد ذكره فى  
سمر الخروج هو المادة التى بنيت بها،  
والقضاء الداخلى محاط بعرف تستخدم  
لاستقبال الضيوف، وكمنزلة، والإقامة  
أهل الدار وكماجران، وكل ذلك يشبه إلى  
حد كبير ما كان فى تلك  
الأيام

والأدب الذى على هذا النحو هو ما يوفر  
كل الراحة والاطمئنان فى الوقت الحالى  
للزائر الأجنبى الموجود فى مجتمع  
غريب عنه، الأمر الذى يخلق المتعة  
الاجتماعية، ويهده الطريقة فالتدعى  
على الأدب أمر متحيز، ذلك أنه مهما  
يكن ما فعله الزائر نفس النظر عن  
تعارضه مع عادة البلد فهو مفترش دون  
اية إشارة. وإذا قدم أى اعتذار فهو يقابل  
بابتساعة رقيقة وكلمات من قبيل، نحن  
نعرف أن ما فعلته هو من باب الأدب فى  
بلككم. المرة الوحيدة التى عرفت فيها  
أن زائراً إنجليزياً تسبب فى إساءة بالمة  
أى أصرت سيدة بعد حضورها قداماً  
قبطياً على شراء الصنوج التى استعملت  
فيه لتكون تذكراً. ومن حسن الحظ أن  
الأدب الذى سمح للسيدة بأن تتصرف  
بالطريقة التى تصرف بها كوفى بتدخل  
رجل أدرك طبيعة الجرح الذى أحدثته  
دون قصد، واستعملت ممتلكات الكنيسة.

الفلاح كائن فضولى، كحال كل من  
يحب الثروة دائماً، مرات ومرات كان  
الخدم يتساءلون بصوت متحمس  
وإيجاز طوال الرحلة عمن يكونون  
هؤلاء الأفراب، لماذا يزورون جزءاً من  
البلاد لا يذهب إليه السياح أبداً، وكما  
من الوقت سيمكتون: وأهم شيء، هل  
للسيد أية علاقة بالحكومة؟  
تنطلق الأخبار فى كل الاتجاهات  
بتلك الوسائل الصحورية المعروفة فى  
الشرق فحسب. وكما فى الأزمنة  
التوراتية، أرسل كل من المراقب الوافد  
على سطح الدار والحارس الذى فى  
الحقول القائم على تله الترابى  
الإشارات.

وأخيراً ما نحن نرى على البعد،  
عبر الحقول الزمردية، القرية التى  
ستقيم فيها. إنها مثل القرى جميعاً،  
حشد بديع من الأكواخ الطينية بنى

بل على أن يعطوا الفضل ما لديهم من  
أشياء متواضعة للزائر، الذى هو ضيف  
الكل طبقاً للتقاليد القديمة.  
سما أنه وقت الظهيرة، فالحمداد فى  
مثل هذه الساعة أن تكون هناك  
مجموعة من الرجال الذين عادوا من  
الحقول ويستريحون فى خصرة،  
القرية ويبدو أن كون الأرض ليست  
خصرة، بل رماة متربة. ليس له أثر  
على أنشطة ذلك السرب الكبير من الأور  
جميل المنظر الذى يربى عليها فكان  
لذلك نتحة طيبة  
ويجد الفلاح متعة فى الحديث،  
شأنه فى ذلك شأن فئات الرجال كافة  
فى الشرق، وتسمع أصداء قواعد الأدب  
صرامة للرجال كافة بأن يتجمعوا  
حيثما يجرى الحديث.

ومن الطبيعي أن تنتشر أخبار اليوم  
شفاعة، وأن يكون أى رجل حظى بميزة  
معرفة القراءة والكتابة من المظافة  
بـحيث يحرم الأغلبية العظمى من  
جيرانه، الذين لا يعرفون القراءة، من  
الاستفادة من هبته التى يحدد عليها،  
ويتوقف عابر السبيل باستمرار ويجلس  
بهذه بالقرب من جماعة الرجال الذين  
يتحدثون، ولا يتبرأ أحد من وجوده أبداً  
أو يبتأه

قواعد الأدب الشرقية، وهى فى  
العالب قديمة قدم الزمان، موهومة فهماً  
جيداً بحيث نادراً ما يكون هناك شيء  
غير لائق فى مثل هذه التجمعات شير  
المتعمدة. فالترية الطيبة التى تمنع  
الرجل من أن يخاطب على نحو مباشر  
رجلاً له حق متصرف به من الاحترام  
الأكبر، تفرض كذلك على الرجل دى  
المكانة الأقل المعاملة الرقيقة لرفيقه  
الأدنى من المكانة، فليس من المقبول  
استغلال المكانة الرفيعة من حيث  
التعليم أو الثروة على نحو لا يليق:  
وهناك إجماع على استهجان صاحب  
الصوت وفظاظة السلوك بالنسبة  
للرجال كافة، ولهدا السبب ليس هناك  
من يصغر نفسه فى الشرق.

تأدب سرهم أعمق بكثير من أى نوع  
من مراعاة الرسميات. وقد قرأت عن  
راغب قبلى عجز كان يتبع قواعد غاية  
فى الصرامة على مأكله، غير أنه كان يأكل  
فى وجود الضيوف على نحو يخالف  
تلك القواعد حين يرى أن ذلك يرضيهم

فكل حيوان، سواء أكان عنزة أم جاموسة  
يتبدد على حافة الحقل، حيث يختلف  
حيث اصطربنا للمرور صفواً واحداً فى  
السوم له ناكلها فى وقت معين  
من موكبنا خلال قرينتين أو ثلاث قرى.  
حيث اصطربنا للمرور صفواً واحداً فى  
المرات الضيقة، بنيت الأكواخ بالطوب  
اللبن للصنوع بطمى جاءوا به من ضفاف  
النيل، ولها أسطح مستوية غالباً ما  
تغطيها أعواد الدرة النخاس التى تستخدم  
وقوداً.

الأكواخ بلا نوافذ: ولكن ربما أن  
الأشياء جميعها التى تحب الشمس  
موجودة خارجها، فإن المرء يرى حياة  
القرية كلها تنصى فى المساحات  
الصغيرة المفتوحة.

هنا بعض النسوة يخضضن اللبن  
للحصول على الزبد، حيث يذغ اللبن  
من جانب إلى آخر خارج قرية من جلد  
الماعز معلقة فى سبيبة من البامبو  
ومجموعة من النساء ولتبات جالسات  
حولهن مناقشة العلية بالطح.  
وهناك أم تجلس فى الشمس وقد  
استند ظهرها إلى جدار كوخها ترضع  
صغيرها، وتخرج نساء أخريات من النهر  
حاملات البلاليص فوق رؤوسهن، والنساء  
جميعاً ملفوفات بالرداء المصرى الأسود  
فوق المناسب إلى حد كبير لأن الطرقات  
جميعها ترابية: وعندما تظهر يغطون  
وجوههن إلى أن يسير الرجال من  
جماعتنا.

من غير اللائق إلى أقصى حد أن  
يحاطب الرجال النساء، ولكن روجتى  
كانت فى الغالب فى آخر الركب كى  
يمكنها التمتع بتحيتهن. ولكن أمامها  
يسقطن الأغلبية تماماً عن وجوههن،  
ويبتسمن وهن يلفتن كل أنواع التحيات  
والتمنيات الطيبة، إن تنوهم وتشرتب  
من لينهن: يمكن أن يقدمن لها  
طعاماً: ولأنه سبقت لها زيارة الجزائر،  
فقد تعرفت على نوع من السجبة  
يستخدمه العرب بصورة عامة هناك.  
ولكن لا يستعملها فى مصر سوى  
النساء صباح الخير.

سوف يدهش السائح العادى الذى  
يزور مصر حين يعلم أن كلمة «مقشقى»  
لا تسمع أبداً خارج الخراج المصرية،  
مهما كان فقر الناس. فالواقع أنهم  
حريصون فى كل مكان على ألا يأخذوا،



## الفلاح كائن فضولي،

كحال كل من يحب الشرقة دائماً.

مرات ومرات كان الخدم يتساءلون بصوت منخفض

وبإيجاز طووال الرحلة عمن

يكونون هؤلاء الأغراب؟

كال الشرقيون القدماء ينطرون إلى العزوبة بكراهية شديدة، باعتبار أن عدم وجود ذرية بلاه رهيب، ومع أن الرهبانية الدينية كانت النمو الميكر للكنيسة القبطية، فهي لم تؤثر على آراء الناس بشأن هذا الأمر. كما يكره الشرقي الرجل الأجره.

تسبه مكانة مضيضنا مكانة اللورد الإقطاعي ويلجأ الناس إليه للحصول على العون والحماية، ويشهدون له الاحترام والتبجيل، كما كان يفعل الألقان في الماضي، وليس لدى البواب الذي يحرس البوابة الكثير مما يقوم به، ذلك أن دخول البوابة متاح من الناحية العملية، ليس بالنسبة إلى يتظاهرون بالعمل فحسب، بل كذلك بالنسبة لأي شخص يرغب أن ينفذ عيبه بسطة سيده الإقطاعي، أو مجرد رغبته في التمتع بشرب الماء من القلة أو الزير الذي تظله البوابة، والاستراحة في وضع القرفصاء، أو حتى إحدى الحصر الموجودة على الأرض؛ أو يخلع عليه إذا أراد الجلوس على أحد المقاعد الخشبية المتفرقة، حيث تكون المساقف باستمرار تقريبا رفوفتين في المقعدين، والذراعان في ملتصقتين حولهما. وهكذا كان يجلس قدماء المصريين، كما تبين الأثار.

وهناك شكل من أشكال الجنو نهي في الإسلام والمسيحية على السواء، فتشاهه على الأثار القديمة رجالاً جثوا على ركبة واحدة، وخاصة في وجود الأكابر، ولكن منذ أيام الرسول وهناك اعتقاد عام بأنه من الخطأ أن يسجد إنسان لغير الله وحده.

وقد رايت رجلاً في ضائقة يطلب مرضى من الباشا وقد أخذ القرباب من أرض الفناء وضعم على شفتيه علامة على الاحترام والتبجيل، ولكن الرجل نفسه لا يمكن أن يركع لأحد، ولو لتخديو نفسه.

الفناء هو ملتقى الكل. الرجال والنساء والأطفال. في الناحية ممن لديهم وقت فراغ طووال النهار، ويضئ الرجال المسنون الذين لم يعودوا يعملون الساعات الطووال هنا كل يوم، مستمتعين بمنظر الأنشطة في المكان، مسيحين بمصاحبههم إلى كاسولا ممتلئة، ومتمتعين بصلواتهم بأبائنا الذي، وكثيراً ما يسمون، إيا كانوا أقباطاً، وكذلك بالمسيحية؛ حيث

وبإلفة صفيرة من الزهور. والأثر هناك فنجان القهوة الذي لا بد منه والسيجارة. والغيطي الحديث جداً الذي اكتسب خبرة من الأسفار هو الذي يتخلل عن هذه العادة الشائعة بين المسلمين والمسيحيين على السواء، ويأمر بإحضار قارورة الويسكي والسميون.

ينبغي أن يفار الأقباط من التباع عادة شرب البيرة حيث التراث إلى أن فضل اكتشافها يعود إلى راهب قبطي؛ فقد قادته تجاربه للشعور على شيء يمكنه أن البقاء مستيقظاً من أجل صلواته الطويلة تاليل إلى تقرير أن حبوب البن هي ما يبحث عنه على وجه الدقة.

ليس من الأدب تقديم فنجان مملي لأخره بالقهوة، ونادراً ما رايت فنجاناً ثانياً يقدم؛ وأقول لي أن عرض فنجان ثالث يضحك على أنه هائلة متعمدة. والثالث للسيف، كما يقال.

مضيفنا من الطراز القديم، ولذلك ارتفعنا ههنا على الجانب المضمين من الفناء، حيث وضعت المقاعد وبنت السجاجيد من أجلنا، بينما الحياة في العقل الإقطاعي تستمر حولنا لا يقطعها شيء.

توجد وسط الفناء شجرة جميل نشرت فروعها التي تقف عليها أعداد من الطيور التي تزقق. جلست في ظلها مجموعة من الشبان من أطفال الخدم الذين يحملون في الضيوف ويتبادلون التعليقات التي تبثت على الضحك بخوصنا. وقد أضفت ملائمتهم ذات الألوان الزاهية نبرة مرحة على المشهد. البعض منهم زواج، وهم أولاد البوابين الجاسين في صمت على البوابة في نوبة حراسة، حيث يضيفون في الغالب المردة الصغيرة على جانبي المدخل ولا تلتنى الخدمة في مصر العزوبة بحال من الأحوال، ومغزى كلمة: الأضيء، الثيلة، الشؤمة غير معروفة لدى أي من السيد أو الخدام. إنه ذلك النوع من الحياة الذي تقرا عنه في المصطلحات الأولى من الكتاب المقدس، حيث توجد إشارات كثيرة إلى أطفال الخدم، «ابن أمك»،

كثلك التي نزورها، في العادة من الزخارف الجدارية من أي نوع، حيث تركت الجدران سالطاً الخشن، أما الأثاث فقليل جداً ويشع، أما الفطية الأرائك، وهي في بعض الأحيان من قماش جيد، والسجاد والأكلمة فهي بصورة عامة ذات قيمة كبيرة، إلا أن النقطة المهمة بالنسبة لن يعتقدون أن الأقباط يندبرون مباشرة من فصل شعب الفرائضة في أن يروا كيف أنه مع عودة الرفاهية يتمح حول غير عادي لزخرفة الدور على نحو مقصد، وأعرف العديد من الدور القبطية التي أنفق عليها قدر كبير من المال في زخرفة العرف الرئيسية كلها. ومعظم الأثمن والذوق الفسديش هيها الأثمن المتشدان في تلك المحاولات المكلفة لتزيين البيت. ومن المأمول أنه نتيجة للرعاية التي توليها الحكومة لتعليم الحرف اليدوية في المدارس الفنية المتارة سوف يتضح أن المواهب القديمة كاسمة وسوف ولم تصع تماماً.

من جانب الفلاحين، فإن المحاولات الوحيدة في أي نوع من الزخرفة في تلك الرسومات البدائية الموجودة حول مداخل الأكواخ لبيان أن أحد السكان أدى الحج. فإذا كان هذا الرجل مسلماً فإن رحلته إلى مكة تضمنه لقب «حاج»، ويستعد أصدقاؤه لعودته المباركة بارساء صور بشعة للجمال والقطارات والسفن المتفرش على سافر بها على جدار داره حول المدخل.

ولكن لا بد أن نذكر أن رحلات الحج المقدسة في الشرق لا تقتصر على المسلمين على الأقباط كذلك أن يسعدوا لزيارة القدس، وإلى الاستحمام في نهر الأردن، وفي مصر يتبع كل منهما دون أن يدري عادة من عادات القدماء؛ لذلك أن الحج إلى أحد المعابد كان فرضاً واجباً وعامة مقدسة؛ وكان يصور كذلك على المنار. حين كان الضيوف يأتون في الماضي كان يقدم لهم قدح صغير من الخمر

يؤدي هذا الفناء إلى الورش ومكاتب الدائرة، وغرف نوم الخدم، والمطابخ ومخازن الكراكيب، بل واسطبلات تلك الحيوانات التي تستخدمها الأسرة باستمرار. وينزل الضيف من على دابته في الفناء والخدم الذين يسرعون لمساعدته على قدر كبير من الأدب، وهم يلقون عليه التحيات المهيبة التي يقتضيها العرف.

وتشبه أبواب الفناء المنطوية ذات المزالج الخشبية إلى حد كبير أبواب العصور القديمة. وكذلك أبراج الحمام القمعية المرتفعة القائمة على جانبي المدخل، وجري تقوية الأبراج بمصالح حديدية قد تدركنا بالطريقة التي كانت تجلد بها أبواب معاهد الصرعون بالذهب أو البرونز، حيث كان الأعداء الأجانب يسرقونها دون احترام للأله.

أبراج الحمام ذات أهمية كبيرة، فالحمام مكون على قدر كبير من الأهمية من مكونات الطعام في أنحاء البلاد كافة، ولا شك في أصل الأبراج، الذي يعود إلى أزمنة بعيدة. هو معرفة أن الحمام في هذا المناخ الحار يجب أن يختلف إلى حد ما خلال جزء من النهار في أي جزء أو بلاص يارده، وتبنى هذه الأبراج القمعية بالطين وقد لصقت فيها الحار القديمة. ولا يمكن أحد في شراء الحمام في مصر، فتوفير هذه الملائات الباردة في استمرار لأجنادنا العدد الذي يمكن إعادته بهذه الطريقة، ولا يزعم أحد الأبراج، حتى وإن كان ذلك لتخليصها، اللهم إلا إذا كان الغرض هو استخراج «الزلي»، ذي القيمة الكبيرة، إلا أن ما يميز الحمام هو أنه لا يظهر عليه أي أثر للزخارف والأوساخ الموجودة في محيطه. وعندما يخرج الحمام قرب المغرب ويحل حول المكان، ويحل حول الشمس الذهبى، يبدو أن هذا المشهد هو الذي أوحى بذلك البيت الشاعري من الرمزي. إن الضاحك من هذه المظاهر فأجندة حمامة مشقة فضة ويريشها بصمرة الذهب.

أدى المصري القديم ذوقاً عظيماً في الزخرفة الداخلية لداره، فقد استخدمت الزخارف التطبيقية على نحو جيد وكانت الجدران كلها تحمل الزخارف والرسومات، وكان الأثاث مزخرفاً، وتخلو المار الريفية الحديثة،



## فى قلب القاهرة زرت أقباطاً من الطبقات كافة. من مضيضى القروى الثرى. ومن المهنيين الشباب. إلى الكهنه والشماسه فى الكنيسه. دون أن أرى قط أثراً لزوجات العائلات وبناتها

العادات الشرقية. فيما يخصهم. سوف يحافظ عليها. وأعرف أكثر من قبلى شاب من حرمى الجامعات الإنجليزىة فى قلب القاهرة زرت أقباطاً على إبقاء زوجاتهم الشباب على قدر كبير من الحجاب والاحتجاب.

بالنسبة للأكثرية من الناس. أغنياء وفقراء. نادراً ما يكون هناك شك فى هذا الأمر. فى قلب القاهرة زرت أقباطاً من الطبقات كافة. من مضيضى القروى الثرى. ومن المهنيين الشباب. إلى الكهنه والشماسه فى الكنيسه. دون أن أرى قط أثراً لزوجات العائلات وبناتها. وكما هو الحال فى الأسر المسلمة فإنهم يأخذون زواجهم بمفردها إلى الحرمك. ومن خلالها سمعت عن الحياة المثيرة التى تجرى خلف تلك الأبواب المحمية.

يجب ألا ننسى أن النساء باحتجابهم يصعبون بطور ملحوظ داخل القاصص تضرب باحتجابها قصبان سجنها الذهبية. فقد كتب من الكلام الفارع عن الحرمك أكثر مما كتب عن أى من تفاصيل الحياة الشرقية الأخرى. وهو الأمر الذى أسع فى الكتاب العربيون أياً أبداع فى الاستنتاجات الزائفة. والداعية فى كثير من الأحيان. التى يعطون بها ما ينقصهم من معرفة دقيقة

أحد الافتراءات التى يفسها المس ساهل م يمكن فى البلاد العربية أن ارتداء الحجاب واحتجاب الحريم من اختراع النبى (محمد). وقد حافظ عليه أتباعه ورفيقو الحال. وأن المسيحيين فى مصر اضطروا لتبني العادات المصرية من عزائهم العرب.

الأحرى هو أنه لا بد من إرجاع وضع النساء هذا إلى عصر القديمة وإلى عصور العهد القديم. كما تشير على الأشياء قاطرة السوربة كما صورها ريسان كانتى كامرلة فى مصر القديمة. تسمى نفسها على الانشعاب العامه الانشعاباج الاجتماعيه الخاصه بيهلها. وكانت راصيه برعامة رفايته عن معد. واستقباله برقة حين يزورها. والحصول على منحتها بألف طريفة سائيه. وقد أحاط بها أطفالها الحبيوبين. واستقبال صديقاتها ورد رياريهن. ومنافشة أمر الملايس التى سوف

من التنازل الذى يفرضه كون رؤيتهم فى الاماكن العامة فى بلد الاحتجاب فيه هو القاعدة. أما بثير التعليق عليها. فى اليوم كذلك جمع عدد قليل من السيدات من الطبقتين العليا والوسطى معا لتحسين اوضاعهن على الطريقه العربيه. وفى القاهرة والإسكندريه هناك عائلات لا تعرف فى الحياة المنزليه شيئاً من الاحتجاب أو الغرف المغلقة فالأصدقاء من الجنسين يمدون إلى مائدة العشاء والعشاء. وأصبحت حرية الاختلاط العامة هى القاعدة.

لقد قابلت بهذه الطريقه صداً من السيدات القبطيات سيدات الدكا. ومن فى العالبد جيليات ويتمتعن سحر رفيق ولید الحياة الخفية التى خرجن منها للتي. يدعمه اعتزاز بالنفس رياء فيهن التحميم المتعالي على أيدى مريبات أجنبيات من فرنسا وإنجلترا. ومن يتحدثن لغتنا بطلاقة. ويخرجن مطلاقة سهلة إلى الكلام الذى يستخدمه فى رحلات التسوق التى زلن بها سنوياً فى باريس. حيث يشترين ملابسهن كلها. والأدع فصاحة لغتون العربة الام لا تصل فى فصاحتها إلى فصاحة تلك اللغات المكتبة.

صديقة قبطية لزوجتى على قدر كبير من الأدب والثقافة والجدية لا تكذب بعض خرجها من. جيرون النثر الإنجليزى فحسب. بل تكنت النظم الإنجليزى الذى يجد فيه خيالها الشرقى تعبيراً رثياً. ولكن كما أنه من المثير أن نجد مثل هذا التقدم. فلا بد من الاعتراف كذلك بأنه مقصور على طبقة صغيرة جداً. فما واه ليس كذلك بين أبناء الريف والجهة فحسب. فهناك شباب مصممون رغم التعليم فى مراكز العلم الأوروبية وربما لهذا السبب. على أن

محطم. وهذا مثال على أن المصرى يمكن أن يصنع ثوباً رائعاً. ولكنه لا يخيمل الز الأخير. من حس الحظ أنه يجب الهواء النقى فى غرفه. ويعد أن يلف نفسه فى المساء حين يجلس فى الداخل. فإنه يستنش. الهواء البهرى الذى يرد الروح. بنفس البهجة التى كان يستنشقه بها أسلافه الأوائل الذين كانوا يستخدمون التخمير نفسه فى وصف الرياح الشمالية. وفى سفر ايوب. ومن التمال البرد.

تقتصر كراهية العرب للريح. وهو الأمر الذى يشاركه فيه الرسول نفسه. على الخماسين. وفى رباح حارة محملة بالرمال تأتى من الصحراء. وفى بالفعل أمر يحقته الشاس عندنا يقترب موسها

هناك جناحان كبيران من الغرف بطول المبنى كله. كل غرفة من الغرف بها باب يودى إلى الأخرى. ولذلك فلكى تدب إلى الغرفة التى فى آخر الجناح. لا بد لك من المرور فيه كله. وهو ترتيب كان معتاداً فى مصر منذ أقدم العصور. أحد الجناحين مفتوح للضيوف. والأخر هو "الحرمك". أو "المكان المغزل". وفى الكلمة التى جرى تشويهها على نحو شرير فى العرب. فالحرمك فى هذه الحاة مجرد جناح من الدار تعيش فيه الأسرة. وهو مخصص للزوجة والأطفال ولا يمكن لأى ذكر خارج درجة معينة من القرابة زيارته.

كثيراً ما سألون عما إذا كان الأقباط يتبعون العادات داتها التى يتبعها المسلمون فيما يتعلق باعتزال النساء وجابهن أم لا؟ وهذا السؤال يحتاج إلى إجابة متأنية. لأن عدداً معيناً من المسيحيين المصرين المتحمسين والمسنين قد تخلوا منذ الاحتلال البريطانى عن العادات القديمة التى كان الأقباط يتبعونها حتى ذلك العهد كالمسلمين سواء بسواء.

فقد هجرت سيدات أسبوت القديم الثريات. على سبيل المثال. الحجاب بالرة ويتلفن بحرية كما لو كن فى إنجلترا. لولا ذلك القدر الضئيل

يتبادلون الحديث من دكريات الأيام الخوالى حين كانت الحياة أقسى مما هى عليه الآن. ويحمل ظهر كل رجل من طبقته آثار سوط الطاغية الخضراء ينتاسيتهم الطويلة موجودون هنا لتقديم تقريرهم: والصية الحمازون محبو المرح ينشرون الأوامر وفى أيديهم سلاطهم. بصورة عامة هناك مجموعة من الشباب والعازن على الأرض يلعبون ألعاباً بسيطة بالحجارة كان القدماء يلعبونها. وإذا قلنا أنها ألعاب ميبانية. فقد نستنتج أن هؤلاء الناس البسطاء جميعهم أطفال يقيم باستمرار سكون ووفارى يختص بهما الشرفيون. ويجب ألا يظن أحد أن هؤلاء الناس حزانى. لكنهم غير صاخبين. فهناك اشراق يخيمل بهم لا يقل بهجة لكونه مكيثاً. وتقدمهم للشكاه المرح لا خلاف عليه. وهم يقدرون كثيراً أن رجل يمكنه تقديم إجابة طيبة. أو يتفوق فى التقليد. أو لديه أى لغة من سرعة البديهة أو الفكاهة.

ولأن مرح الفلاح المصرى لا يعتمد بحال من الأحوال على أية درجة من درجات السك. فهو ليس صاعياً. إنك تسمع الصخرة المرح. وإن ندر أن تكون عالية جداً. ولكن القهقهة والضحكات الرنانة والصياح الصادر عن العامة المجتمعين فى الشوارع بالاد الغربية لا تسمعها هنا أبداً. فهم يملكون الشرقى منذ حداثة شبابه أن كل شكل من أشكال الإصباح من المشاعر أدب ولا بد من استحضاره.

لا يعيش المصرى. مهما كانت لروته وتمت أية ظروف. فى الدور الأرضى من أى منزل أو فندق. سواء فى المدينة أو الريف: فهو يطن أن النوم فى هذا المكان على نكد خاص يضر الصحة ضرراً بليغاً. ولذلك توجد غرف الاستقبال التى يأخذونها إليها الآن فى الحظائق الأول.

توجد هناك الأرائك الشرقية المغطاة بأثوان زاهية وقد رصت حول الحرفة. وغطيت الأرضية بالسجاد الجميل والناع. وهناك الكثير من الموائد. وهى غالباً فى حاجة إلى إصلاح. فالبعض منها لا يلقى. أو أن زجاجه مشروخ أو





## كتاب الزاوية

### رحيل أنطون الجميل

#### الكاتب المصري

كان خطيباً فادحاً، ذلك الذي ألم بالأدب العربي والسياسة الشرقية والصحافة المصرية، حين توفي المغفور له أنطون الجميل باشا، رئيس تحرير «الأهرام»، في الثالث عشر من شهر يناير (١٩٤٨).

وقد كانت وفاته فجأة غير منتظرة، إذ كان العقيد عشية اليوم الذي توفي فيه كاشحاً ما يكون الإنسان صعبه وكافو ما يكون قرة، وأكمل ما يكون نشاطاً.

فقد شهد جلسة المؤتمر بجمع فؤاد الأول للغة العربية، وعمل في «الأهرام» كما تعود أن يعمل إلى أن قارب الليل ثلثه، وعاد إلى داره فإذا الموت يتطرد فيه.

وكان أنطون باشا الجميل أديباً مترف الأدب رفيع الفن صافي الذوق مرهف الطبع.

ظهر ذلك في شبابه حين أصدر مجلة «الزهور» واتصل ذلك في حياته كلها، فكان أروى الناس لبيت جيد وأحفظهم لنصل رائع كما كان أرقهم منطقاً وأعذبهم حديثاً.

وقد عمل في مناصب الدولة، فكان نموذجاً للموظف المتقن لعمله في أمانة وحذق وفطنة. ثم ترك مناصب الحكومة وتولى رئاسة تحرير «الأهرام» فكان مثلاً للصحفي البارع الفطن والسياسي الماهر البليق نفذ به «الأهرام» في رشاقة أي رشاقة من أشد المواقف السياسية في مصر والشرق دقة وجرحاً، وعين في مجلس الشيوخ، فكان برلماناً ماهراً لبقاً موقفاً بين المختصين مؤلفاً بين المختلفين، وعين في مجمع فؤاد الأول للغة العربية، فكان ابتساماً متصلة في جوه الذي يأخذه الجد من جميع أقطار.

(هراير ١٩٤٨)

والجدي العظيم، ومؤسس الأسرة الحاكمة الحالية) ليقبل الحكم بعدم أهلية أي رجل ثلثت مقرته في خدمة الدولة الخاصة سوء، كان ضابطاً ميهودياً هم بكى في عهده أن على الاستياء الديني الذي يقال حالاً به قد ساء في ظل التمييزات التي قام بها وهو حليته، كما يقول إنه - في عهده سعيد وإسماعيل، ظل الأقباط يشغلون مناصب مشابهة، مما جعل القاعدة هي تمييز فصيلي في منصب النائب العام في كل مديرية، وهو منصب له قدر كبير من السلطة حيث كان الرجال الذين يشغلونه يتولون منصب القضاء في أوقات معينة.. كما يقول: «وفي عهد إسماعيل (الذي كان يؤكد باستمرار أن المصريين جميعاً سواء)، خدم الأقباط الدولة في كثير من المناصب الهامة، والحقيقة الأكثر لفتاً للنظر هي أن نظارة الخارجية تولاها فصيل لأول مرة (كان محمد علي أول من أزال المانع التي تحول بين خدمة الأقباط في الجيش) وكانت لقيادة بك هذا السلطة الكاملة»

ولكن بعد مجيء الاحتلال الإنجليزي وحلال أقل من ربع قرن من سيطرة البريطانيين على البلاد، «احتفى رؤساء المصالح الأقباط عليهم تقريباً، فقد كانوا مثبتهن تشبهاً تاماً على مناصب القضاء، ولكن شيئاً هيباً وصل العدد إلى صفر: وكذلك الحال بالنسبة لمصالح الدولة الأخرى، حيث استمرت عملية تهجير الأقباط وإغلاق الباب في وجه التمييزات العرقية».

كبرت تلك قطعات من الكتاب القصص التي انظر لتاريخي الذي تعيشه أن أبرها، كي ألت نظر القارئ إليها، وأدعوه إلى سماع صوت بانيتها عبر عشرة عقود تقريباً بوضع لنا بعض الحقائق التي ربما تكون قد خفيت على البعض، وكان من مصلحة البعض الآخر إخراجها للعرض من في نفسه، لا بقصد من ورائه خيراً بطبيعة الحال.

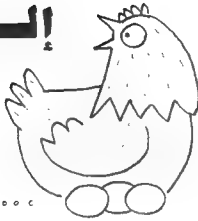
واتركه القارئ يطالع بنفسه تلك الصفحات التي تتحدث عن الأقباط في كل نواحي حياتهم، حيث تتناول حياتهم الدينية وأوضاعهم وعلاقاتهم الاجتماعية، وسكانهم الدينية معتقداتهم وطقوسها وتجلياتها الروحية. إن كتاب كانت الكنته العربية بحاجة إليه وما يدعو للعباسي رابت إشارات عديدة إلى في الأدبيات القبطية وتلك التي تتناول تاريخ الأقباط الحديث وتاريخ الكنيسة القبطية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ومع ذلك هذه هي الترجمة العربية الأولى له ومن المصاعلة أن الشرح نفسه حدث مع كتاب بيبيرويد بلاكمان Fellahn of Upper Egypt الذي صدر في عام ١٩٦٦ وكان معروفاً بين دارسي علم الاجتماع والفولكلور والأنثروبولوجيا، وكانت ترجمته له في عام ١٩٩٤ بعنوان «الناس في سعيد مصر» هي الأولى منذ صدور الكتاب بالإنجليزية. ■

أحمد محمود (المترجم)

من محب هي الأزمنة القديمة، كانت الأمة كلها تسمى لربك كل يديد مله، التوب بالما، صالحي في نصر واحد، كوريليسون، بينما يسبح اسلمون الله كبر وهو برعوس شدة في الإلحاح على الله العظيم بالسوء. وعسا استولت الحملة الصليبية الأولى على بيت المقدس في عام ١٠٩٩، أمع الصابريون أناء، الكنيسة القبطية من دخول المدينة المقدسة، وذلك لم يكونوا يفرقون كثيراً بين المسلمين المصريين الذين ضرمهم في عسكران، والمسيحيين لشرفين، بدهم، وعندهم غير لصيبون مصر في عام ١٢٢٥، نحو أن دور تفريق بين مسيحي وسلم.

وعم كون الموات إلبطرياً هو يفتد، الكتب الانجليز، لأنهم سعدوا كل ما فيهم لهم على نحو غير نقدي، وهو يرى كذلك أن هؤلاء الكتاب في واقع الأمر هم من الحق أكبر صدر بالأقباط، كما يتهمهم بأنهم من ينشئ إلى الأبد على كراهية المسلمين بتكرير «الاعتماد على المصالح، بينما يتلقون الأقباط بأن ينشئوا إليهم هفائل ليست لهم، هرع أكثر انواها ودا التي يهدهب هؤلاء الكتاب تجده الأقباط، هانهم لم يشلوا في مساعدة القضية القبطية فحسب، بل أعاقوها»، كما يرى أن تاريخ الصراع الذي بين القبطي والمسلم، الذي ازداد اتساعاً بذاك، يعود إلى فترة الاحتلال البريطاني فحسب؛ فالطوائف ليست بينهم عداوة طرمية أو متناملة وهو ما أثبتته التاريخ مراراً وتكراراً، ولم يحصل القبطي من الإجماع على شيء من خلال من الصراع، بل إن ما أصعب من الماملة الخاصة أدى إلى حد ما إلى إنكار العدالة المحددة، إذ لم يكن تأكيد الدات يعجب الحاكم الإنجليزي قديماً كان يقوم على أية فضلية، لأحوايا المسيحيين، يصبح بعضاً وكان الموطد، الإنجليزي في سعيه لمي أنه سرت، من أي تاجر، كان يصح به يانه يمه كثرأ حد، عن نقطة الحياد الانبسية.

ويورد ليدر كلام ليرويسور سايس يؤكد ما كان عليه الحال قبل الاحتلال الإنجليزي، وهو يقول: «عندما عرفت مصر بأنها صاحبة أطياف هبتي قبل الاحتلال عام ١٨٠٤، وهي المدارس العمالية القبطية التي بنيت على نفقة أهل الخير في أنحاء مختلفة من البلاد، لم يحدد قط أسس لم أجد بها تلاميذ مسلمين، ولا يفكر أحد في استبعاد الأطفال الأقباط من المدارس المشابهة التي ناهنا مسلمون، وخاصة في المناطق الريفية، يشير ليدر إلى أن الشواهد التاريخية تؤكد أن الأقباط كانوا يرفقون إلى أرفع المناصب وأكثرها مسؤولية في الدولة، وكانوا يفرقون باستمرار قيادة الجيش ومنصب الحاكم، لم يكن محمد علي (السياسي



« قدر لي أن أعيش قصة كوسوفا وهي تشعل جنيناً في رحم الأيام. وأعني مالتحديداً بداية التسعينيات لم تكن هي الوجهة التي قصدت في بادئ الامر حيث كانت وجهتي في البحث مأساة البوسنة. ولكن البوسنة أسلمتني إلى طريق كوسوفا، فالأصغر من متصلاً، وقد تفهنته لكن تفهم ما حدث في البوسنة لابد من أن تدخل إليها من باب كوسوفا. ذلك لأن مهنتي المسائية واحد هو الزعيم الصربي الراحل سلوفودان ميلوسيفيتش، وأصل الداء واحد أيضاً وهو إطلاق القومية الصربية من مرقداه بعد وفاة تيتو، وهي نزعة عنصرية مدمرة ترفض التعايش مع الآخرين وتستبيح استعمالهم وإبادتهم. كان الزعيم اليوغسلافي جوزيف بروز تيتو يعلم هذه الحقيقة ويحدد خطرها على الوحدة اليوغسلافية وعلى مسيحيتها المسيمانية، لذلك كان حرصاً على كبحها فلما بدأ البعث القومية الصربية على يد مجموعة من السياسيين والكتبا للتطرف، انكسرت في مذكراته أصدرها الأكاديمية الصربية للعلوم والآداب ترسيم الطريق نحو إقامة صربيا الكبرى. وبدأت تشرد في الصحافة الشعبية الصرباء ثم انتقلت بعد ذلك إلى الصحافة الرسمية التي تغير أسلوبها إلى اشتراكي الجاد إلى أسلوب غوغائي. فابتدأ في هذه الأثناء كان ميلوسيفيتش يعمل في صمت من خلال أعماله على تكبير الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى بسلطنة في القوانين والقرارات حتى أحكم قبضته عليها وظهر جميع الصحفيين والقياديين أنصار الأثر والواقع الجدد، وطمع على أجهزة الإعلام جيش من المثقفين والأقارب المؤيدة لسياسة ميلوسيفيتش. ولأول مرة في تاريخ يوغسلافيا استخدم ميلوسيفيتش وسائل الإعلام والقوة المستأجرين للتشهير بخصومه السياسيين ثمهياً أيضاً حتى تم طرده وحلها بعد الأخر. ولم يعلم من هذا المحمبر إيهان تساميلوفيتش، استاذ ميلوسيفيتش وولي نعمته.

## تزييف التاريخ والحرب،

من عادة الصرب، على من العصور، أنهم إذا لم تسعهم الحقائق التاريخية المؤيدة لوقوعهم ليجازوا إلى الأساطير والملاحم الشعبية التي أصبح لها في عقولهم قداسة ثموق قداسة الأيام، هذه الأساطير لها نمود سحرى عندهم حتى أصبحت طلسماً على أعين هويتهم القومية لا يجزوا أحد على

مناقشتها أو الشك فيها. تماماً مثل قداسة الهولوكوست التي أصبح من يناقشها اليوم يعتبر مجذفاً. ويقدم للمحاكمة كما حدث لرجاء جاريوي. ولذا كان تزييف التاريخ بهذا المعنى أمراً مهموماً وشاملاً في كتابات الصرب التاريخية، فإن عبارة «تزييف حرب» قد لا تكون بهذا الوضوح. وأنا أستشير هنا القارئ الذي الصده «مارك تروسون» في كتابه الذي يحمل هذا العنوان «تزييف حرب» ووسائل الإعلام في صربيا وكرواتيا والبوسنة... وهو يعني مهده المباشرة استخدام وسائل الإعلام لخلق عمو وهي غير حقيقية تمثل في صمد أو فئة من الناس، وضح عقول فئة أخرى أو شعب آخر بمشاعر الخوف والكراهية والغربة في الانتماء من هذه العنصر، والموسية إلى ذلك تكون عادة يصعد الأكاذيب والاختلاق وقائع واقفحال مواقف، مع التعتيم الكامل على كل ما يتصل بالصفة العدو في مخالفات وأخبار والحيلولة بينها وبين الإعلام لعرض فهميتها على الوجه الصحيح.

وبمعنى آخر بهدف التزييف هنا إلى خلق حالة حرب في العقول تسهيداً لتشن حرب حقيقية على الأرض. وكان تزييف التاريخ وتزييف الحرب وراء المجلس الماسوري الذي شاهدناه في كوسوفا كما كان وراء المأساة الصربية في البوسنة. وفي هذا أتبدو تحليلات المعجربة الصربية التي لا يضارعه في هذا المجال سوى المعجربة الصهيونية، فإن التشابه بينهما لا يمكن أن تحفله عن الخير... ثم أن أبرز الأساطير الصربية وأهمها على الإطلاق أسطورة «معركة كوسوفا» التاريخية، وأسطورة «الخروج الكبير»، وقد

عالجتهما بالتفصيل في كتابين أحدهما عن البوسنة والأخر عن كوسوفا، كما تناولتهما في مقالين سبق نشرهما سنة ١٩٩٩ لذلك لا أجد عندي رغبة في تكرار الكلام من هذه الأساطير برغم اعتقادي أن الذي لا يستوعبها يصعب فهم الكثير من الأحداث التي جرت، والمزامم الصربية التي لا حدود لها، ويصعب بصفة خاصة أن يفهم طبيعة القومية الصربية في تطرفها وميلها إلى تزييف الواقع وإلى معالجة مشكلاتها مع الألبان بوحشية منقطعة النظير، تصل إلى حد قتل الجار البريء والتشليل والبحث وفي الأحياء في مقابر جماعية... وقلل الأبطال وحرق المنابر وتدمير القرى والمدن... والمعالم الأثرية والثقافية الشاهدة كما حدث في البوسنة وكما حدث في كوسوفا.

## دعائيات صربية

المحت فيما سبق إلى التحول الفكري والسياسي الذي حدث بعد رحيل تيتو نتيجة لانعقاد القومية الصربية التي أراحت في طريفها تراث تيتو وأغربت سيرته في الأحوال. ثم تحولت إلى الإسلام والمسلمين في يوغسلافيا تكيل لهما تهم الأصولية والخيانة وتقسب ليهما مؤامرات وهمية ضد الصرب... وتكتمون لهذا الاتجاه أثير إلى خصمة عناصر رجعية هي خلاصة مقال نشرته مجلة دوجا في عندها رقم ٩ بتاريخ ٢٢ كانون الأول، ديسمبر ١٩٨٩، على هيئة لقاء مصفى مع «ميرولوب إيفيتشيتش»، وهو استاذ مساعد بكلية السياسة في جامعة

## الهجمة الصربية

### على البوسنة وما حدث فيها

### من انتهكتها إنسانية مروعة وجرائم حرب

### سجلتها لجنة دولية استقرت

### تحقيقاتها عامين



محمد يوسف عدس

لجنداء ومؤلف كتاب بعنوان «الجهاد الإسلامي كعبر»:

١- أن هناك إحياء إسلاميا أصوليا قد انطلق في يوغسلافيا..

٢- أن هذا الإحياء الإسلامي قد جاء نتيجة لعلاقات التي أقامها تيتو مع الدول العربية والإسلامية في إطار التوجه السياسي لتيتو نحو الحياة الإيجابية وعدم الانحياز، وهكذا يتحول بعض الهجوم الصربي إلى تيتو نفسه، وتجريه سياساته والسخرية بصادقة لعبد الناصر ولعرب.. وهم القوام متخفون ورجعيون..

٣- أن الحرب والمسلمين لديهم استراتيجية للسيطرة على العالم لإقامة دولة إسلامية عالمية موحدة، وأنهم تمكن يحققوا الهدف يحاولون إحياء الإسلام في يوغسلافيا..

٤- أن الإسلام بطبيعته يحث على إبادة الآخرين المخالفين له في العقيدة.. (ومن ثم يصبح تصور سيطرة المسلمين في يوغسلافيا حاشيا مرعبا)..

٥- أن المسلمين في يوغسلافيا باعتبارهم الإسلام، قد خالوا شعورهم بترديهم، وهذا أخطر الاتهامات، حيث أصبح المسلمون بقتضاهم مسلمون عن أخطاء أجدادهم الذين اعتنقوا الإسلام منذ أزمنة وأربعة أ وخمسة أ عام مضت. كانت الحملات الإعلامية التي أطلقت الصرب في التسعينيات تحمل شعاراً أطلق عليه «الثورة الثقافية الصربية»، وكان الهدف من هذه الثورة هو استئثار صرب تتوقع في سلبيته وقد تسكتت عنه الكراهية والسفوح السياسات الخائفة والسماسة الخائفتين، ومن ثم جاء وصف ميلوسيفيتش، لهذه الحملات بأنها ليست من السياسة في شيء، فإن ما ناقشه اليوم، على حد قوله، «إنما هو مسألة أرض الألبان والأجاء»، ويعلق على هذه الحملات شخصي مدرس مستقل هو «ميلوس فاسيتش»، حيث يقول «أ حدث مثل هذا في الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، فقامت دعائيات الكونكلوكس كلان بالاستيلاء على جميع محطات الراديو والانتفاخ فإن الدلائل حرب أهلية في الولايات المتحدة يصعب واقعاً لا محاولة في غضون خمسة أعوام، وذلك فإنه من السذاجة يمكن أن يقال إن حرب البوسنة أو حرب كوسوفا من بعدها انطلقتا لتفانيها بسبب الأحقاد التاريخية الدفينة بين شعوب يوغسلافيا، وأن محاولات الانفصال والاستقلال كان وراءها قوى أوروبية أو أمريكية كما يريد الصرب ويتابعهم فيه كتاب سذج عنذنا، يتحدثون بما لا يفقهون ولا



وصف «إصلاح زراعي لوضع عثمانى بالذ... بدأ برنامج الاستيطان الصهيوني في كوسوفا قبل الحرب العالمية الأولى لقانون يسمى «قانون استعمار الأرض الحرة» في فبراير ١٩١٤... وفي فبراير سنة ١٩١٩ صدر قانون جديد تحت اسم «الإصلاح الزراعي» أعلن تمسيت التملك الكبيرة التي كانت هي جوة الألبان وأهم أراضي الغابات، ولخصص مساحات شاسعة لمنح لجندو الصرب وأعضاء الميليشيات الإرهابية التابعة لشطة «شيتنك»... من صدر قانون آخر سنة ١٩٢٠ يحدد الأراضي التي يمكن توزيعها على المستوطنين الصرب على النحو الآتي:

- ١- الأراضي الخالية التي تخضع لملكية الدولة
  - ٢- الأراضي المسبوكة للمجتمعات والمؤسسات الأهلية.
  - ٣- الأراضي غير المروضة أو التي هجرها أصحابها، وكان أصحابها من لجنات الوطنية الألبانية في التقى خارج كوسوفا
  - ٤- الأراضي التي شئت مصادرتها بقتضيات قانون الاستيطان في فبراير ١٩١٩.
- وهي سنة ١٩٣٥ بدأت تظهر موجة جديدة من المصادرات للأراضي الألبانية في حرة الألبان على أساس قاعدة جديدة وهي أن أي أرض لا يملكها الصلاخ وشيئة يوضافية يملكها تصبح ملكا للدولة... وعني هذا إسقاط شرعية ملكية الأراضي التي يحمل أصحابها وثائق عثمانية. وتشريع لهذه القوانين الجماعية التي بدأ تنفيذها سنة ١٩٣٨ جرأت السلطات الصربية ألبان كوسوفا في ٤ قرية في وادي «ديوتشا» من أرضهم، وأصبح ١٠٤ أسرة ألبانية مسلمة من الفقراء المعوزين بصربية صربية واحدة.

فما الذي يمكن أن نستخلصه من كل ما سبق؟  
أولاً: إن الوصف الذي جاء على لسان شهود العيان من الصحفيين وروى في تقارير قادة الكنيسة الكاثوليكية إلى البابا وفي تحقيقات مؤسسة كارلجي في كوسوفا على الزعم الصربي سنة ١٩١٢، يعكس سياريو العنصرية الصربية الموجهة... «السياريو» القديم تكرر أمانته مرة أخرى على أرض كوسوفا قامت به القوات الصربية بعمليات التطهير العرقي والطرد الجماعي الألبان. ثانياً: إن الاحتلال الاستيطاني كان و يزال هو العلاقة الوحيدة المؤكدة بين صربيا وكوسوفا، وهي علاقة تنهار أمامها كل المرامم الصربية التي تدعى أن كوسوفا جزء من دولة واحدة هي صربيا، وأن الألبان مجرد مواطنين عاديين

ومع كل هذه الجرائم المروعة أجبر القائد العسكري بوجو ناكوفيتش، من بقي من أعيان المدينة ومجلسه منسوب إلى رؤسهم أن يمشوا برفقة شكر إلى بيت ملك الصرب في لبحراد على تحريضهم من الصمانيين... وفي سنة ١٩١٤ شكلت مؤسسة كارلجي الأمريكية لجنة تحقيق في كوسوفا كدت في تقريره أنه قد تبين لها بالادلة وجود سياسة مسخطة في تنفيذها في كوسوفا، وإذها شهدت منازل بل قري باكملها قد تحولت إلى رماذ سبب الحرائق فيها على نطاق واسع، وإن أعداد عائلته من المدنيين الأبرياء تعرضوا لجراح وخشية... وأن هذه الوسائل استخدمت في ذاتها لتزويد بواسطة القوات الصربية والقوات الجبل الأسود بهدف تغيير المعادلة السكانية والمصالحات الإثنية في المناطق التي يسود فيها الوجود الألباني.

لم يقتصر الأمر على الحار والزيادة الجماعية بل شمل أيضاً عمليات الإثنية لإجبار المسلمين والكاثوليك الألبانية على اعتناق الأرثوذكسية، وكان السيد المياشر لهذه العمليات إخراجهم أو لتغيير إحصاءات السكان بحيث يبدو الصرب على أنهم هم الأغلبية السكانية في كوسوفا، ولتأتي تعزيز الجهود الدبلوماسية في مؤتمرات لندن لتأييد حق الصرب المزعوم في أراضي كوسوفا.

البرنامج الاستيطاني في عهد يوغسلافيا الملكية كان الاحتلال الاستيطاني للصرب في كوسوفا ظاهرة مركبة استخدمت لتحقيق مجموعة من الأهداف: أولاً: تغيير التركيبة السكانية لصالح الأقلية الصربية بحيث يتحول الألبان إلى أقلية ضعيفة قسرة مضطهدة حتى تصبح هاجمة في وطنهم مستحيلة فيلجانوا إلى الهجرة من كوسوفا. ثانياً: محاولة إيقاف ظاهرة تدفق المهاجرين الشباب من صربيا والجبل الأسود إلى أمريكا الشمالية وذلك بإغرائهم بتملك أرض في كوسوفا وأيضاً مع قولهم ثانياً معالجة قادة وأعضاء حركة الألبان الثورية، كاتشاك، التي قاومت التزويد الصربي للألبان بمسألة نادرة لتسعى معود وأياً: تدعيم السياسة الأمنية للصرب في كوسوفا باستنزاف مستوطنات صربية في مرفق استراتيجي على طول الطرق الرئيسية للمواصلات بسبل يسهل تحصينها ومحايتها وفتح التجنيد العسكري إليها عند اللزوم (على غرار المبتوتات الصهيونية في فلسطين حالياً...)

لم يمد صربيا برنامجهما الاستيطاني هذا لبلهه الحقيقي وإنما أطلقت عليه

وفي آخر سؤال وجهته الصحفية إليه قائت: «أي الأفكار ترسب عندك أكثر من غيره من حرب اليوسنة؟» فقال: «من هذه الحرب تعلمت درساً شاهده فيه نظم المصلط الاجتماعي تنهار على أيدي أشرار المجتمع. هنما يتمكن السامعون وقطاع الطرق من امتلاك السلطة المحلية في أي مكان، وخصوصاً إذا كانت تسيطر على عقولهم عقيدة قومية عنصرية مثل كل شيء يصبح ممكنًا... وهؤلاء هم الدين صنعوا جرائم حرب اليوسنة على أوسع نطاق، استأثرت بجرالمهم الدول الصربية وفرضت على اليوسنة تسوية قتالة كادت فيها المعتدين يتمكنون من نصب أرض اليوسنة التي استولوا عليها بقوة السلاح ثم تخلعت عن قديمهم إلى العدالة فاستمروا جريمتهم. وعدوا مرة أخرى بكونها في كوسوفا وهزمهم أنهم سيمتلون من القناب كما افعلوا من قبل

## «حرب التحرير»

لم يكن الفكر الذي قام به الصرب على كوسوفا سنة ١٩١٢... حرب تحرير كما زعموا، وإنما حرب إبادة التخلت شكل من مباح مروع قتل فيها عشرات الألوف من المدنيين المسلمين والكاثوليك على السواء، وعلى رغم الحظر الإعلامي الذي فرضته القوات الصربية استطاعت الكنيسة الكاثوليكية في كوسوفا توفير أخبار إلى صحيفة الديلي لتفرد البيرطانية عن مباح وقت في مدينة فريوزي، حيث دعا الجنرال الصربي جميع الرجال إلى العودة إلى منازلهم في سلام وعندما استقروا فيها أحاطت بهم القوات الصربية ثم أخرجهم واحداً واحداً وأطلقت النار عليهم أمام أعين ذويهم قتلوا بذلك أربعة أربعة رجل.

أما استشهاده المذبح فقد جاء على لسان رئيس أساقفة كاتوليك «سكوبيا»، في تقرير موجه إلى البابا بتاريخ ٢٤ كانون الثاني، يناير سنة ١٩١٢ قال به: «لم يبق في مدينة فريوزي من المسلمين الألبان فوق من الخامسة عشرة سوى ثلاثة أشخاص، أما في جيتان فقد قتل جميع سكانها فلم يبق منهم أحد... وأصبحت جيتاكوفا حالية من سكانها وبيت مدينة بريزون بعد انقراض الصرب منها كأنها مدينة الأموات... تمت العنصرية في أوسع نطاق، أعمال العنف والاستيطان على جميع نطاق... فقد استباح الصرب كل شيء في المدينة، حياة الناس وأموالهم وأعراض نسائهم، ولم يكن الأمر مباحاً حينئذ ولكن كانت تخضع على الصيانات الصربية وأمر به جنودها علناً...

يعقلون، وإنما كان باعثها ومثلها مارها هو التلاع الإعلامي بالتاريخ والتلاعب بعقول الجماهير وإغراقهم في طوفان من الأكاذيب لتوجيههم من أخطار قادمة من عدو وهمي هو جيرانهم المسلمون الأبرياء...

وقد سجلت الهجمة الصربية على اليوسنة وما حدث فيها من انتهاكات إنسانية مروعة وجرالم حرب لجنة دولية استغرقت تحقيقاً لها صاميين، ولفعها الأمين العام للأمم المتحدة إلى مجلس الأمن بخطاب مؤرخ في ٢٧ أيار، مايو ١٩٩١ استجابة لقرار مجلس الأمن رقم ٧٨٠ لسنة ١٩٩٢، استعنت لجنة الخبراء في هذه التحقيقات إلى غسة وستير المصادقة من الصحافي وشهود العيان، وجمعت مئات من الوثائق والأدلة وتسجيلات فيديو بلغت ثلاثمائة ساعة، هذه الوثيقة تسمى الخطر وثيقة إبادة في تاريخ الأمم المتحدة، وكان رئيس اللجنة هو «شريف سيوني، أساقم القانون بجامعة دي بول، في شيكاغو، قد أكثر من ٢٣ كتاباً في القانون الدولي وعقود الإنسان.

ولعل من أهم ما جاء في تقرير الخبراء أنه ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الجرائم الوحشية التي ارتكبتها الصرب في اليوسنة لم تكن كما زعم قادتهم مجرد انتهاكات فريدة قام بها أفراد محرفون أو غير منظمين، وإنما كانت جزءاً من مخطط متعمد سابق وضعها خبراء وتم تنفيذها بأسلوب منظم، وطلبت في جهات مختلفة بمرطفة معطية ثابتة، وكلما التفتق بين المجموعات التي شاركت في تنفيذها على أعلى مستوى... واستطاع المحققون أن يتبعوا مسيرته التوجيه والأوامر إلى أعلى مستويات القيادات السياسية والعسكرية الصربية.

وبعد عامين من تقديم هذه الوثيقة إلى مجلس الأمن وإلى المحكمة جرائم الحرب يوغسلافية في لاهاي التحقت اليوسنة «سبيليا جابريون» من شبكة الإعلام الدولية (WSN) في ٢٤/٧/١٩٩٩ شريف يسيوني (تلمن) عن مدى هائلة هذه الوثيقة فقال: «قد تقنعنا إلى محكمته جرائم الحرب بأسماء ورائها كارلجي زعيم صرب اليوسنة، ولقد قوتها الضحال راتكو ملايتش، ولم يتم القبض عليهم حتى الآن، ويهضي شريف يسيوني فيقول: «هناك فقرة أخرى تشتمل على أسماء ورواء ولم يوزع في كوسوفا صربيا وروائيا وأسماء جزوات كبار في الجيش ومدري معسكرات الاعتقال، هؤلاء جميعاً لا بد من تقديمهم إلى العدالة لأن العمل في يوغسلافيا ليس بسود لا تحقيق العدالة».

متساوين في الحقوق مع المواطنين الصرب. هذه المراجعة كلها مجرد حرافات لا يمكن أن تنطلي على أحد لا عيون يمشر بها وعمل يكره بها

ولكن من حقيقتنا استمرارية العلاقة الاستعمارية لتصور بكوسوفا سينظر فيما يلي إلى بعض التفاصيل في برنامج يوسلافيست الاشتراكية الذي صدر في سنتي ١٩٩٠ و١٩٩١ وهو أمر لا يمكن إغفال عدم انكسار له منشور في الصحف والوثائق غير الرسمية

#### استيطان ميلوسيفتش

كانت بداية هذا البرنامج إلغاء دستور يوسلافيا الفيدرالي لسنة ١٩٧٤ الذي ضمن لكوسوفا حكمًا ذاتيًا موسعًا في إطار الاتحاد اليوغسلافي (وليس في إطار صربيا) . لذلك ألغى ميلوسيفتش هذا الدستور ثم اتبعه بمجموعة من الإجراءات التصفية لعدتها من القوانين الخاصة والقوانين المسلحة كان من نتيجتها إلغاء حكومة يوغوسلافيا وإلغاء دستورها وبرلمانها ونظامها القضائي الخاص وشرطتها المستقلة. ثم تلا ذلك سنة ١٩٩٠ صدور سلسلة من القوانين والإجراءات الصربية استهدفت تدمير البنية الأساسية للشعب الألباني وتعزيز سيطرة الأقلية الصربية عليه... من هذه الإجراءات:

- ١ إنشاء مجالس محلية في كوسوفا مقصورة على المناطق التي تسود فيها الأقلية الصربية، وموقع على الألبان ترشيح أنفسهم فيها. (لاحظ أن الصرب من سكان كوسوفا لا يزيد عددهم على مئتي ألف وأن تعداد الألبان أكثر من مليونين ..)
- ٢ تركيز جميع الاستثمارات في المناطق الصربية فقط.
- ٣ بناء مدارس جديدة لتعصب لتجنيها من هاجر منهم على العودة إلى كوسوفا وجذب صرب آخرين للإقامة فيها ..
- ٤ إقامة مراكز لتسويد النسل مقصورة على المناطق التي يسود فيها الألبان المسلمون (تفصيل سيدهم) ..
- ٥ إلغاء شريعية امتلاك الألبان لأي عمارات أو أراض سبق لهم شرائها من الصرب
- ٦ من حق أي صربي يرغب في الإقامة في كوسوفا أن يمتلك خمسة هكتارات من الأراضي بجانب ..

فلمّا اندلعت المظاهرات الألبانية احتجاجاً على هذه الإجراءات التصفية تركت الدينامية الصربية إلى الشوارع وأعلنت الأحكام العسكرية. وأصدرت السلطات الصربية سلسلة أخرى من القرارات

الاستعمارية الممنعة في ٢٦ يولية ١٩٩١ . انطقت عليها الحكومة الصربية: إجراءات مؤقتة، ولكنها استمرت لسنوات لا حصر - منع صدور الصحف المنشورة باللغة الألبانية-

إلغاء المدارس الألبانية والمناهج الألبانية وإغلاق جامعة بريشتينا وتوسيد طلابها وأعضاء هيئة التدريس فيها . - إغلاق أكاديمية العلوم والأداب الكوسوفية

- إغلاق محطة التلصاار والإذاعة الألبانية.

طرد جميع المدرسين المعلمين في المدارس الألبانية.

طرد المواطنين المسلمين من القطاع العام للدولة.

- طرد ثمانين ألف عامل ألباني من وظائفهم في المصانع

- طرد جميع الأطباء والمعلمين الألبان في الخدمات الصحية

- إلغاء التحصين الدوري لأطفال المسلمين .

بهم من أمراض بسيطة مثل الحصبة.

وهكذا صرمان استعماري واحد أحوال يوسلافيست شعباً بأكمله إلى الاستبعاد

ليتحجب جيش العاطلين والمتسولين في وطنهم الذي ترتع فيه وتتم بحيراته أقلية صربية مدللة تحرسها دبابات الجيش

الصربية .. ولكن تكتسب العاترة المهيمنة أغلقت السلطات موسسة الأم لثريرا

الخيرية التي كانت تلعم ٥٠ ألف جانيح ألباني ..

وفي أثناء تعصب هذه الإجراءات ارتكبت السلطات الصربية أبشع الجرائم ضد الأفراد

لحرد الانتداب في المقاومة. وتحمل سجلات منظمة العفو الدولية بتقارير مصصلة عن

أبواب الجرائم التي شملت قتل أطفال المدارس.. وترب مدير أكاديمية العلوم

والأدب الكوسوفية (الألباني) حتى تعطلت عظامه فكاهة وأغص عليه ثم التي

في عرض الطريق يترقد دماً ..

#### ألبان وعصافين

لقد غزت صربيا أراضي كوسوفا في

العصور الوسطى واحتلتها لمدة قرون. ولكنها

كانت خاضعة قبل ذلك للبيلغار لمدة قرون.

وكانت قبل البيلغار صربيا الإمبراطورية

البيزنطية لعدة قرون. وبعد الصرب جاء

العثمانيون فحكموا الجميع وأصبحت

كوسوفا جزءا من أراضي الدولة العثمانية.

وحدث خلال القرون الأولى، على الأقل.

امتزاج رائع من الألبان والعصافين فهد

أسلم ألبان كوسوفا وأصبحوا من القوى

المهيمنة في الدولة العثمانية وكان منهم

الوزراء العظام والمستشارون المقربون من

السلطان وأولادها لم يحكموا بلادهم

فقط ولكنهم حكموا أيضا بلادا أخرى من

الدولة العثمانية، وسعدت على باشا رأس

الاسرة الملكية التي حكمت صربيا في قيام

الثورة مثل علي كلك. داربا كلك صربيا تركب

على تاريخها الاستبدادي في حكم كوسوفا

خلال العصور الوسطى حرقوا تاريخيا

وزوجية مقدسة فإن البيلغار يقولون الشيء

نفسه. والأتراك أحق من الجميع لأنهم

احتلوا كوسوفا لمدة تقرب من خمسة قرون

استمرت حتى بداية القرن العشرين. ولذلك

فإن إلحاق صفحة القرون الوسطى نهائيا

أولى من الجبال مايباطل والتمسك مكتوبة

مقدسة شأن أو هناك أو ملك دفن في بلدة

كنا. فاستلطن مراد مدون في أرض كوسوفا

وأصبح جزءا من تراب هذه البلاد.

ونحن لا نسع في هذا الزمن حكاية

الحقوق التاريخية المقدسة إلا من جهتي

من الصرب ومن العثمانيين. وقد عثقت

مقارنة للعمل في مقدمة كتابي عن كوسوفا

رداً على تصريح صحفي أدلى به

ميلوسيفتش قصه عندما صرح بأن كوسوفا

بالنسبة للصرب مقدسة مثل القدس

بالنسبة لإسرائيل.. لننظر إذن إلى صفحة

القرون الوسطى ونظير في علاقة الصرب

بكوسوفا في العصر الحديث

أصبحت كوسوفا مستعمرة صربية بعد

غزوها سنة ١٩١٢ وخضعت بقوة السلاح لا

برغبة أهلها لا لمشورتهم لصربيا. وبعد

ثلاثة أعوام فقط طرد التساويين والبيلغار

العرب من كوسوفا ثم عادوا إليها على أكتاف

الحلفاء الأوروبيين المنتصرين في الحرب

العالمية الأولى سنة ١٩١٨. واستمرت كوسوفا

تابعة ليوسلافيا الملكية إحدى وعشرين سنة

آخرى حتى قيام الحرب العالمية الثانية عندما

احتلها الألمان وطردوا منها الصرب مرة أخرى

حتى نهاية الحرب سنة ١٩٤٥ .

فلما قامت يوسلافيا الجمهورية

الكثيرة أصبحت كوسوفا جزءاً من هذه

الدولة الفيدرالية الجديدة. وقد علمنا أن

حصلت على نوع من الحكم الذاتي يتساوى

عملياً بوضع الوحدات الجمهورية الأخرى..

وخلاصة التحليل أن كوسوفا تبعت صربيا

كأرض ٣٣ سنة ولعبت كوسوفا دوراً، حيث

لدة ٤٥ سنة. وحتى لو تجاهلنا اختلاف

وضعا السياسي في عهد نيتو وأضغان هذه

حساب صربيا لوجودنا أن مجموع هذه

السنوات كلها لا يزيد على ٧٨ سنة. ويجب

أن نتوقف قليلا بعد هذه النقطة لأن هذه

الدة لا تزيد كثيراً على الفترة التي خضعت

فيها مصر للاحتلال البريطاني...والاحتلال

الصربي كان أطول من ذلك بكثير في

الجزائر... وقد رعت فرنسا بالمثل أن الجزائر

جره لا يسجرا من دولة فرنسا. ولكن هذا

الزعم لم يغير حقيقة أن الجزائر كانت

مستعمرة فرنسية. وقد يمنع من استقلال

الجزائر ولها الاحتلال المرسي فيها

#### كوسوفا في الإعلام الغربي

حول قضية كوسوفا قدر لى أن اساهم

في عدد من الندوات وحلقات النقاش

لاحظت فيها أن كثيراً من الناس يصعب

عديم أن يعطوا حقيقة أن شعب كوسوفا

الذي يطلق عليه اسم الألبان هو ألباني حقا،

ولكنه ليس مستحراً ولا مجانياً من الدولة

الجائرة التي اسمها.. الألبانيا والتي يرجع

تاريخ إنشائها إلى طراد من مؤتمر لندن سنة

١٩١٣. وكانت المناسبة هي عملية تقسيم

أعلاك الدولة العثمانية في أوروبا

وهكذا صمت الألبان جزءاً من الدولة

الدين تصادف وجودهم في هذه المنطقة من

البلقان. ولكن بقي ألبان كوسوفا ومقدونيا

نفساً موزعة على دول أخرى. ولست أدري ما

في العصوره العقلية في فهم حقيقة

سبغة كوسوفا؟

لقد وجد الألبان في قلب هذه المنطقة

واستقر فيها قبل أن يأتي الألبان القادم

ان تسلطوا أرض الألبان القدماء الصرب

لسلاطين عديدون؟؟

نفا نقول عرب فلسطين وعرب مصر

وعرب المغرب ولا نقول عن هؤلاء أنهم

المتحدون من أصل عربي. فلماذا لا نقول

ألبان كوسوفا دون، خذرو،؟ فهذه صياغة

صربية دعائية تبثها أجهزة الإعلام الغربية

ولفتها أجهزة الإعلام الغربية لأنها لا شك

وسائل للبحث والتدقيق وليس لدينا مراكز

للدراست المقننة ولا حتى كتاب واحد جيد

يحتوي على دراسة جادة يشرح هذه الألفاظ

وإنما أصبنا ببعض كتاب استسهلوا ما كتبه

اليهم وزارة الإعلام الصربية مترجماً في

بعض الأحيان باللغة العربية فرددوه

كالبيانات وهم لا يعلمون أنهم يخفونهم في

بحر من الأكاذيب

وحد في لغراء مركز للدعاية الصربية

مخصص لفظون العربي يسمى «مكتب

الصحافة العربي» في بلغراد، ويصدر بصرة

تحت عنوان: «شجرة المسامع العربي

ويوسلافيا اليوم، يديره عربي فحبيب

تستشره الإذاعات والصحفيات التصفية

ويطالع بصوت وصوتونه في كل برنامج

إخباري مصداقاً من الأكاذيب الصربية

مضالفة لا تحير لها والناس يستمعون

كأرهين لأنهم لا يمكنون وسيلة للفرجة



## كتاب الزاوية

### تربية سلامة موسى

#### الكاتب المصري

هذا الكتاب هو ترجمة حياة الكاتب المصري والباحث الاجتماعي الأستاذ سلامة موسى بقلم نفسه، وترجمة الحياة التي يكتبها الكاتب لنفسه، فن غير مألوف كثيراً بين الكتابات في الأدب العربي الحديث وإن كان الأدب العربي القديم يحتوي على درر قليلة منه. ولكنه فن مألوف واسع الانتشار في الأدب الغربي؛ فهو في بعض الأحيان يبلغ فن يد الكاتب مبلغ القصص، وفي بعض الأحيان يكون صورة للحياة الاجتماعية في عصره، وفي بعض الأحيان يكون حديثاً معاداً يتلوه به القراء. وهو في كل هذه الأحوال يكون عبرة وموعظة.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا يجمع مزايا الأنواع جميعها. ففيه القصص. وفيه صورة لحياة العصر الذي نشأ فيه الأديب، وفيه من الحديث ما يتلوه به القارئ. ولئن أراد الأستاذ سلامة موسى أن يقصره على تربيته، كما قد يفهم من عنوانه، فإنه لم يوفق في حصر الموضوع. ونستطيع أن نقول إنه لم يوفق في اختيار العنوان؛ فإن الكتاب أشمل وأكبر من أن يكون وصفاً لتربية الأستاذ سلامة موسى وحدها. ولا يزال منفرداً به في كتبه الأخيرة.

فما هو طابع سلامة موسى في آرائه وطابعه في رأي - وقد أكون مخطئاً - أنه يسبق الفكر الشرقي إلى الآراء الأوروبية. فهو قد نادى في كتبه بأزاة اجتماعية جديدة، حين كانت الأمة المصرية لا تلتفت ولا تهتم إلا للأدب القديم، وشيء من الأدب الحديث البعيد عن الإصلاحات الاجتماعية.

(مارس ١٩١٨)

ولا سابق معرفة بحدود القضية، ولا بأسولها التاريخية أو القانونية.

لم يستطع أحد أن يقدحها بأن الجزائر جزء من فرنسا لأنها تعرف تاريخ الجزائر العربية وتاريخ احتلال الفرنسيين لها، ولم يستطع أحد أن يقدحها عندما ادعى أن فلسطين هي أرض إسرائيلية، ولم يقدحها عندما رغب أنها لأرض بلا شعب، ولا عندما ادعى بأن له حقوقاً تاريخية مقسمة في أرض فلسطين. لأن الأجيال التي شهدت الاحتلال لاستطاعت لمسلطتين لا تزال حية تترق ولا يزال الفلسطينيون المدين طردوا من وطنهم ولا يسمح لهم بالعودة إليه يعيشون بين ظهرانيها، أن عندما قيل لنا إن كوسوفا جزء من صربيا أوشكنا أن نصدق هذه الأكاذيب لأننا نجهل أصل القضية وجديورها التاريخية.

وشاعت في إصمنا أفكار خاطئة عيرت عنها مصطلحات وتعبيرات خاطئة، وعندما اشتعلت الحرب، في كوسوفا تدخل شمال الأطلسي (الناثو) بالقصف الجوي على صربيا، وشاعت على الأعلام وفي التصريحات السياسية إشكالية السياسة الوطنية وعدم شرعية التدخل العسكري للناثو، وانتشر الصرب هذه الهستيريا فربطوا بين قصف الناثو لهم والقصف الجوي على العراق وليبيا والصون للإزالة الربيع في البلدان العربية. فارتفعت صيحات التحذير من التمدد في البلية الأمريكية التي قد تكون دولاً في المستقبل القريب أو البعيد.

وكررت تصريحات المفكرين والمحللين الاستراتيجيين حول الناثو حتى غرقنا القضية في معارك أكاديمية، وبدلاً من أن نتوقف لحظة لنشعر دمة على الشعب الطرد من أرضه قاطعاً مع المعتدي ونسبنا جرائمه الجارية في كوسوفا وجرائمه السابقة في البوسنة والهرسك، ورفنا الدموع على يوسفلافيا ميلوسيفيتش آخر حصص للاشتراكية في أوروبا، وورقة تيتو العظيم بطل الحياض الإيجابي وصديق عد الناس، وصعدنا حرافقة أن أمريكا تشغل لأن يبيها ويبي يوسفلافيا شراً مبيتاً، وأنها تريد تمسكك يوسفلافيا، بينما كانت أمريكا متعاطفة مع يوسفلافيا وكانت ضد تفكيكها من البداية، ومن أراد أن يفهم هذه النقطة

بالنظر عليه أن يقرأ كتاب الصمير الأمريكي الأسبق في بلغراد، بوارين زيممرمان، جودو الكارثة، يهرف بالتصديق الموثق الموثق الأمريكي الحقيقي في ذلك الوقت... والحقيقة التي لا تحتاج إلى دكاء كبير تفهمها ولنا حصراً أين ترى وتبصر أنه لا يوجد في يوسفلافيا المروعة اشتراكية ولا قلعة حصينة لها في بلغراد، ولا توجد حتى يوسفلافيا حقيقية اللهم إلا بالاسم فقط.

هذه الثروة الطبيعية جعلت كوسوفا هدفاً لغزو الجيوش الأجنبية منذ العصر الروماني إلى العصر الحديث. وقد حرص هنتر أثناء احتلاله لبوسلافيا في الحرب العالمية الثانية أن يضع شرق كوسوفا تحت سيطرة قواته العسكرية. وكانت القنصارات الألمانية تسجل يومياً حسمانة طس من معدني الرصاص والزئبق من مناجم كوسوفا إلى مصانع ألمانيا الحربية.

هذا لأن هو السبب الحقيقي لأن تمض صربيا عليها بالتواجد وتثير الضيق حول استقلالها. وتمتلك ملايين المولات على أجزء دعايتها وعلى أبوابها في مصر وفي البلاد الحربية. وتشتري ضمانات الكتاب الصغار والكبار في كل مكان. وكل أسباب أخرى مدعاة لبنا هي من قبيل المفترقات والحكايات الأسطورية تمطى بها على أصداها الحقيقية. ■



اشتعلت حرب أكتوبر بينما كانت واشنطن وموسكو تحاولان نقل علاقتهما من حالة المواجهة إلى التفاوض

# الروس وحرب أكتوبر

السيد أمين شلبي



كيسجر



هورن

الحرب من الموقف الحطير والمتفجر في الشرق الأوسط، بل وذهاباً إلى التحذير أنه ما لم تنسحب إسرائيل من الأراضي العربية فإن حرباً جديدة في الشرق الأوسط قد لا يمكن تجنبها. ويتساءل المخرجون حول ما إذا كانت هذه الإشارات تعتبر تحذيراً؟ ويأخذون على الاتحاد السوفيتي بأنه لم يكن محمداً وأن البيانات السوفيتية تلك بمزاوجتها التأكيدات بالحالة المتغيرة في الشرق الأوسط بمطالبة إسرائيل بالانسحاب ودعوة الأمم المتحدة للقيام بعمل ما فإن الاتحاد السوفيتي لم يكن يحدد الولايات المتحدة بشكل أكيد أكثر من محاولة إقناعها بالضغط على إسرائيل من أجل التسوية وباعتبار استبعاد الولايات المتحدة لاستبعاد احتمالات هجوم عربي على إسرائيل فإنه لم يكن مدهشاً أن تتجاهل هذه التحذيرات أو أن تأخذها مأخذ الجد. وقد أجاب كيسنجر على سؤال حول ما إذا كان السوفيت يعلمون مقدماً بالثوابا العربية في الهجوم وأنهم على هذا كان عليهم تحذير الولايات المتحدة وقال بأنه الأمر الذي ليس لدينا الآن أي شهادة كل هذه المسائل، فإذا كان الاتحاد السوفيتي قد شجع هذا الهجوم وهو السوفيتي قد علم من هذا الهجوم من جانبنا كمشكلة خطيرة جداً، ما إذا كان الاتحاد السوفيتي قد علم عن هذا الهجوم من خلال مخابراته الخاصة أو بطريقة أخرى ولم يخبرنا فهدد مسألة أخرى، وفي عالم تحكمه المخابرات فإن المرء يمكن أن يتوقع مشاورات وثيقة ولكن باعتبار احترام الوضع في الشرق الأوسط فإنه سيكون من المسئولية الثقيلة إعلان معلومات حصل عليها.

لا تخدم بأي حال الوفاق المولى وأنها قد اتخذت بشكل واضح لإخافة الاتحاد السوفيتي، ولكن هؤلاء الذين وراء هذه الخطوة يجب أن يقال لهم إنهم اختاروا العنوان الحاطئ.. ويبدو أن السبب الرئيسي لإعلان حالة التأهب الأمريكي كان دبلوماسياً، لذلك وبعد اتصالات أمريكية سوفيتية وتحرك في مجلس الأمن قضى بعدم مشاركة دول مجلس الأمن الدافعين في قوات حفظ سلام، رفعت الولايات المتحدة حالة التأهب بشكل جزئي، وهكذا وكما عبر الرئيس الأمريكي فيكونس ثلاثت اصعب أزمة واجهت البلديس منذ الصواريخ الكوبية.



وقد أثار الدور السوفيتي في حرب أكتوبر جدلاً واسعاً في الولايات المتحدة حول دلالات وتأثير الحرب على بناء الوفاق الأمريكي السوفيتي ومستقبله، فقد انتقد البعض السلوك السوفيتي واعتبره خرقاً لإعلان المبادئ، وفي مقابل هذا رد القادة السوفيتي بأنهم بالدعم عملوا وفقاً لهذه المبادئ حين حذروا قبل

موسكو خلال اشتعال حرب أكتوبر أن السفير السويدي في موسكو جورانج يارنج قد طلب في اليوم التالي لاشتعال الحرب مقابلة السفير المصري آنذاك في موسكو يحيى عبد القادر ونبيهه إلى أن كلا من واشنطن وموسكو سوف يلجأ إلى استخدام إعلان المبادئ لإدارة هذه الحرب وهو ما تحقق حين زار هنري كيسنجر موسكو يوم ٢٠ أكتوبر بناء على دعوة من بريجنيف، وفي هذه الزيارة تم الاتفاق على الأسس والمبادئ التي صمد على أساسها قرار مجلس الأمن ٣٣٨ في ٢٢ أكتوبر الذي دعا إلى الوقف العاجل لإطلاق النار وتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ وهو ما لم تلزم به إسرائيل وأدى إلى تحركات عسكرية سوفيتية فسرهما وزير الدفاع الأمريكي سلتزجر بـ • مصاعفة حجم الأنطوط السوفيتي في البحر المتوسط. • إعلان حالة التأهب لقوات الإنزال السوفيتية. • إعداد طائرات نقل القوات. وهو التطور الذي أدى إلى قرار أمريكي برفع حالة التأهب الاستراتيجي السوفيتي على هذا الإعلان سبب شديد الهمجية بموله، إن هذه الخطوة من جانب الولايات المتحدة

■ كان الموضوع الأساسي في محاضرة السير اليستير هورن التي ألقاها في الجامعة الأمريكية بدعوة من مؤسسة هيكل للصحافة العربية، وأعادته وجهات نظر، نشرها في عدد مارس ٢٠٠٨، هو دور كيسنجر في حرب أكتوبر ١٩٧٣. وليس غريباً أن يركز السير هورن على هذا الدور فهو من الأدوات التي حولت مجرى الصراع في الشرق الأوسط، وكانت بداية ترسيخ الدور والدبلوماسية الأمريكية في المنطقة. وعندما يؤرخ لدبلوماسية هنري كيسنجر وإساليه في السياسة الخارجية الأمريكية، فإن دوره في صراع الشرق الأوسط وتوجيهه لأحداث في أعقاب حرب أكتوبر، تقف في المقدمة، إلى جانب أدواره الدبلوماسية الأخرى التي صنعت مكانته الدولية مثل إنهاء الحرب في فيتنام، والانفتاح على الصين. وأهم من هذا إعادة ترتيب العلاقات مع الاتحاد السوفيتي. لذلك استمعت وأعدت قراءة محاضرة السير اليستير هورن في سياق أضمل وهو العلاقات السوفيتية الأمريكية، وعملية الوفاق التي شرع فيها فيكونس، وقدم هنري كيسنجر أساسها الفلسفي والدبلوماسي. وكما نعلم فإن حرب أكتوبر قد اشتعلت والقوتان تعيدان بناء علاقتهما من أجل نفعهما من حالة المواجهة إلى مرحلة التفاوض والتعاون وهي العملية التي عرفت بسياسة الوفاق. في هذا السياق سبق اشتعال حرب أكتوبر مؤتمراً للجنة الأمريكية السوفيتية. قمة موسكو في يوليو ١٩٧٢ وقمة واشنطن في أغسطس ١٩٧٣، وهما الممثلان اللذان صدر عنهما العديد من الاتفاقيات وبشكل خاص اتفاقية الحد من الأسلحة الاستراتيجية (SALT I) (Principles) وهو الإعلان الذي كان مقصوداً به أن تهدئ من القوتان في التعامل مع الأزمات الإقليمية والدولية بشكل لا يؤدي إلى مواجهة بينهما، ولكن أنه خلال عملي في سفارة مصر في





## التنمية المبتورة

أبو زيد راجح

نشكر «وجهات نظر» الذين استجابوا لدعوتها إلى حوار معمق حول مشروع القاهرة ٢٠٥٠ الذي طرحه وزير الإسكان المهندس أحمد الغريبي على صفحات المجلة عدد أغسطس الماضي.

وهنا نوالي نشر المشاركات بمقال لأحد المتخصصين في مجال بحوث الإسكان والبناء والتخطيط العمراني ومساهمة من قارئ مهم بالقضية.

البحر

واعية ومستتيرة، فقد اشركت معها أهالي سيناء في كل مراحل التنمية بحيطط وتعميد. وكان ذلك هو السبب الرئيس وراء النجاح الكبير الذي تحقق على أرض سيناء، والانصراف عن تنمية سيناء شمل أيضا - وهذا ما يدعو للأسف - الانصراف عن تجربة زائدة وفريدة في إدارة التنمية كان من الواجب أن تكون نموذجا يحتذى في كل مناطق التنمية الأخرى.

وعندما ظهرت بعض الصعاب التي تواجه مشروع توشكي بدأ الحديث يتجه نحو محور تنموي جديد وهو المحور الذي يقترحه هاروق الباز في الصحراء العربية والممتد طوليا بمحاذاة الحيز الحالي من الشمال إلى الجنوب، ويعطى هذا المشروع الآن نفس الجريق الذي أعطى لمشروع توشكي من قبل.

ثانيا صياغ دم التنمية العمرانية بين الضائل.

ونسوق للدلالة على ذلك الأمثلة التالية.

اشتد الصراع في يوم ما بين وزارة السياحة ووزارة التعمير والإسكان عن أيهما أحق بتنمية سواحل مصر. وقد تم تقسيم السواحل بينهما بالتساوي إرضاء للطرفين المتنازعين، فأعطى ساحل البحر الأحمر لوزارة السياحة وأعطي ساحل البحر الأبيض لوزارة التعمير والإسكان، ورصى كل منهما بتخصيص من الغنيمة.

فأقامت وزارة السياحة ما هي متخصصة فيه وتعيد صناعات وهو إقامة سلسلة شبة متصلة من القرى السياحية بطول البحر الأحمر. كما أقامت وزارة التعمير ما هي متخصصة فيه وتعيد صناعات وهو إقامة سلسلة متصلة من المدن السكنية بطول البحر الأبيض.

ولذا فقد جاءت تنمية كل من الساحلين تنمية فاصرة ومبتورة. فساحل البحر الأحمر برمته أصبح أحادي النشاط المتمثل في السياحة وهو نشاط تعليمية غير مستمر وغير آمن. وتنقص المشروعات السياحية القائمة به اليد العمراني القادر على جذب السكان والاستقرار البشري الدائم.

أما ساحل البحر الأبيض فقد تحول إلى سلسلة من المدن السكنية للإقامة المؤقتة ويقتصر المشروعات التي تمت به اليد السياحي تماما. ويقتصر هذا الساحل المزيد من أكثر مناطق العالم إمكانات للسياحة العالمية بدءا من قلل عن ثمانية أشهر في العام. وهكذا ضاع على مصر مصدر هام من مصادر الدخل القومي كان يمكن أن يصح في اقتصادها الوطني دما جديدا بصمة مستمرة.

٥٥ يمكن أن توصف تحارب التنمية التي تحققت على أرض مصر خلال الحقبة الحالية بأنها هي مجموعها تنمية مسانرة ومتعذرة بل يمكن أن توصف أيضا بأنها تنمية مبتورة.

وللدلالة على ذلك يكفي ذكر الظواهر الآتية والتي تمثل السمات الأساسية للتنمية في مصر.

أولا الضمر المكاس المستمر لمشروعات التنمية.

غالبا ما ينتقل الاهتمام العام للدولة بمشروعات التنمية جغرافيا من مكان لآخر قبل أن يستكمل المكان الأول مقوماته التنموية الكافية ليصير قادرا على السمو الذاتي دون ما حاجة إلى دعم إضافي منها.

أو تعبيرا آخر فإنه كثيرا ما تنصرف الدولة عن الاهتمام بتنمية إقليم معين وهو لا يزال في مراحل التنمية الأولى ولم يبلغ بعد ما قد يسمى «بسن الرشد التنموي» وتوقف الصفر عليه وتوجه نحو تنمية إقليم آخر دون ما سبب واضح.

ففي خلال الثمانينيات كان الاهتمام العام منصبا على تنمية إقليم سيناء، وكان لهذا الاهتمام ما يبرزه، فالأسباب الأمنية معروفة ولا داعي لدكرها، ولكن الأسباب الموضوعية كثيرة ومتشعبة، منها أن هذا الإقليم غنى بإمكانياته التنموية المشبوعة والتي بها يسكن أن تتحقق فيه تنمية شاملة متكاملة. كما أن العائد من الاستثمارات في مشروعات تنمية هذا الإقليم ليس عاندا بعيد المدى بل هو في حقيقة الأمر عائد سريع قصير المدى. كما أن النواة البشرية أو ما يسمى بالقاعدة السكانية والتي تبدأ التنمية بها متوافرة به بدرجة كافية.

وما إن بدأنا لنسأل لماذا الأولى لتنمية هذا الإقليم الواقع في الركن الشمالي الشرقي للبلاد حتى انصرف الاهتمام عنه بعد تنفيذ ١.٢٧ فقط من الخطة الاستثمارية لتنميته. وانجبه الاهتمام نحو إقليم آخر يقع في الاتجاه المضاد تماما في الركن الجنوبي الغربي لمصر في توشكي وشرق الدقيوتات. وكيف يختلف عن الإقليم الأول في كل شيء. فليس به قاعدة بشرية مستقرة يمكن أن تبدأ التنمية بها. كما أنه في تنميته أحادي النشاط وهو النشاط لزراع وليس متممدا الأنشطة مثل إقليم سيناء. ويحتاج إلى استثمارات ضخمة والعائد منها ليس قريب المدى.

وهذا التحول شبه الماخن ليس له ما يبرره وكان يجب أن ينتظر بعض الوقت حتى يستكمل إقليم سيناء مقوماته التنموية الأساسية. ويحب الإشارة إلى أن إدارة التنمية في سيناء في ذلك الوقت كانت إدارة



## صار لدينا في البحر الأحمر سياحة بلا إسكان وفي البحر الأبيض إسكان بلا سياحة. ولو تعاونت الوزارتان لتنمية الساحلين لتغير وضعهما تماما ولاختلفت صورة التنمية فيها عما هي عليه الآن



الأراضي الصحراوية لوزارة الدفاع لديها وزارة استصلاح الأراضي ثم تأتي في المرتبة الثالثة هيئة المجتمعات العمرانية. ولكن في عناق الأرمات الساحلين لتغير وضعهما تماما ولاختلفت صورة التنمية فيها عما هي عليه الآن.

المرحلة الثانية

في عام ١٩٩١ صدر القانون رقم ٧ لسنة ١٩٩١. وقد نص هذا القانون على إجراءات محدلة لتحديد استخدامات الأراضي الصحراوية. فلم يعد يتم هذا التحديد بصورة منفردة تقوم به كل وزارة على حدة كما كان الحال حسب القانون السابق بل يتم بموجب قرار جمهوري بعد موافقة مجلس الوزراء وشيء على عرض الوزير المختص ولكن بقيت الأولويات الترتيب في تحديد استخدامات الأراضي كما كانت عليه في القانون السابق. إذ أعطيت الأولوية الأولى للأغراض العسكرية ثم يتم بعد ذلك تحديد مساحات استصلاح الأراضي ومناطق إقامة المجتمعات الجديدة والمناطق السياحية بعد أخذ رأي وزارة الدفاع. أي أن وزارة الدفاع بقيت لها الصوابية على أرض مصر بموجب هذا القانون كما كان عليه الحال بموجب القانون السابق.

المرحلة الثالثة

في هذه المرحلة صدرت ثلاثة قرارات جمهورية متتالية كالآتي: - القرار رقم ١٥٢ لسنة ٢٠٠١، بموجب هذا القرار تم تحديد المساحات الاستراتيجية ذات الأهمية العسكرية من الأراضي الصحراوية.

القرار رقم ١٥٣ لسنة ٢٠٠١، بموجب هذا القرار تم تخصيص المساحات الموصحة الحدود والمناطق على الخريطة القريبة بالقرار لاستخدامات أراضي الدولة حتى عام ٢٠١٧ في الأغراض والأغراض الزراعية والصناعية والتجارية والعمرانية وخدمات النقل والكهرباء والمطافئ. وقد أعدت هذه الخريطة وزارة الإسكان والمرافق والتنمية العمرانية.

والنقص واضح بين وجهات نظر

وهفت المدن والمجتمعات الجديدة - وما زالت - عنصرا هاما من عناصر الحذب السكاني إليها وهو توافر الخدمات الاجتماعية، الطبية والتعليمية والثقافية وغيرها حتى في حدها الأدنى اللازم للمقيمين فيها. ويرجع ذلك أساسا كما سبق توضيحه إلى عدم مشاركة وزارات الدولة الخمسة والإنتاجية في مصر وتعمير المدن الجديدة مع وزارة الإسكان. وتكررت البنية كلة على عاتق هذه الوزارة. حتى باتت نه واصبحت عاجزة عن الصيام به. وتعثرت تبعا لذلك تنمية هذه المدن رغم ما صرف عليها من مبالغ طائلة تعد بمئات الملايين من الجنيهات.

هذه أربعة على فخذان المتوازيين الوزارات المسؤولة عن التنمية. وكان لا مهيأ تعمل في دولة مختلفة خاصة هنا ولا تعمل جميعها في دولة واحدة اسمها مصر. ثالثا، أرض مصر سداخ مداح: مرت حيازة أرض مصر خارج الوادي والدلتا بالمراحل التالية:

المرحلة الأولى:

صدر القانون رقم ١٤٣ لسنة ١٩٨١ بشأن الأراضي الصحراوية والذي يوجب يتم الأولى تقوم وزارة الدفاع بتحديد المناطق ذات الأهمية العسكرية واستغلالها والتصرف فيها للأغراض العسكرية.

بعد أن تقوم وزارة الدفاع بتحديد المناطق العسكرية تقوم الوزارة المسؤولة عن استصلاح الأراضي بتحديد المناطق اللازمة لمشروعات استصلاح الأراضي وتقوم بالتصرف فيها واستغلالها بعد أخذ رأي وزارة الدفاع.

تقوم هيئة المجتمعات العمرانية الجديدة باستغلال والتصرف في المواقع الجيدة الواقعة في المناطق العسكرية أو في مواقع الاستصلاح بالتنسيق مع وزارة الدفاع. وبذلك أعطيت الأولوية في استغلال

وليس بمدينة السادات كما كان محطها له. فلم تكن في حقيقة الأمر أسبابا موضوعية بل تكاد أن تكون أسبابا شخصية. وبمرور هذا التحول عن السافر الذي يسود أحيانا علاقات الوزارات والوزراء بعضهم بعض.

والحال الرابع يتمثل في أن مصر أقامت خلال الثلاثين سنة الماضية ١٨ مدينة جديدة على ثلاثة أجيال متعاقبة. منها القائمة. وحسب محطاتها الأصلية فإنه كان يجب أن تستوعب هذه المدن في الوقت الحالي أكثر من ٦ ملايين نسمة. ولكن مجموع عدد سكانها حاليا لا يتجاوز ٨,١ مليون نسمة. وذلك حسب بيانات وزارة الإسكان (روسان) من يتشكل في صيغة هذه الرقم - وأنا أحدهم - ذلك لأنه يعتمد على عدد المشتركين في عدادات الكهرباء وليس على حصر حقيقي للسكان الحقيقيين فعلا في هذه المدن. ويرجع عدد نجاج المدن الجديدة في جذب السكان لأسباب عدة معروفة لا داعي لدكرها. ولكن من أهم هذه الأسباب هو عدم توافر الخدمات الاجتماعية الضرورية للمدينة الحضرية بدرجة كافية وعلى الأغص المستشعرات تخصصاتها والمدارس بأنواعها. وتقع مسؤولية توافر هذه المنشآت مستويا على الوزارات المختصة بها. ولكن هذه الوزارات

امتعت عن إقامتها فلم تجد وزارة الإسكان بيا من بناء بعضها حتى تقع تحت المهن الجديدة جزءا ولو يسيرا من هذه الخدمات الأساسية. وبعد الانتهاء من إنشائها دعت وزارة الإسكان الوزارات المعنية باستلام المنشآت التي تشيها والقيام بمسؤولياتها. ولكن هذه الوزارات امتعت عن الاستلام والتشغيل كما امتعت من قبل عن الإنشاء والتشييد ونظرا لأن تشغيل وإدارة مثل هذه المنشآت يخرج تماما عن نطاق قدرات وزارة الإسكان فقد تم العديد من هذه المستشعرات والمدارس خاوية على عروش لسنوات طويلة.

أما المثال الثالث فهو يتعلق بمدينة السادات والتي يطلق عليها عادة مدينة الأسيوط. فقد تم الاتفاق عند تخطيط المدينة في مرحلها الأولى أن يشأ منها مجمع كبير لتجديد والعصب والصناعات الكملة له ليكون القاعدة الاقتصادية الصلبة التي ستقوم عليها المدينة. وشأن على ذلك أقيمت المدينة بمساحتها وخدماتها ومرافقها استعدادا لاستقبال هذا المجمع الكبير. ولكن في المخطط الأخيرة غيرت وزارة الصناعة رأيها وأثرت أن تقيم هذا المجمع الصناعي على شاطئ البحر الأبيض في منطقة الدخينة بمنطقة المحمي بالإسكندرية. وإقامتها ما يلزمه من مدينة سكنية ومرافق وخدمات في مناطق محاذرة لها وتكرت مدينة السادات بمساحتها ومرافقها وخدماتها وتحت من بنائها. ونحن نعلم أن شواطئ البحار تستخدم في أغراض معروفة ليس بينها قطعا إقامة الصناعات الثقيلة عليها. ولو أقيم هذا المجمع في الموقع الذي خصص له أصلا لتكانت مدينة السادات اليوم مدينة عاصرة، وليست مدينة أشباح، كما يحب البعض أن يسميها. أما الأسباب التي دعت وزارة الصناعة إلى إقامة هذا المجمع بالدخينة في منطقة المحمي

وباختصار صار لدينا في البحر الأحمر سياحة بلا إسكان وفي البحر الأبيض إسكان بلا سياحة. ولو تعاونت الوزارتان لتنمية الساحلين لتغير وضعهما تماما ولاختلفت صورة التنمية فيها عما هي عليه الآن.

والثال الثاني هو ميناء دمياط. فقد أشدت مصر أيضا بين وزارة النقل والمواصلات ووزارة التعمير والإسكان حول من هو آحق بإقامة المواني في مصر. ولسبب ما كسبت وزارة التعمير الجولة الأولى بإنشاء الميناء بكل ما يلزمه من أرصفة ومحارز وخدمات رغم أن مسؤولية إقامة مثل هذه المشروعات تقع بداهة على كاهل وزارة النقل والمواصلات وليس على وزارة التعمير والإسكان. ولكن الميناء ظل غير مستخدم لسنوات عدة ذلك لأنه لم تكن هناك شبكة طرق رئيسية تربطه بباقي مدن وأقاليم مصر حتى يمكن نقل البضائع منه وإليه. ولم تلم وزارة النقل بإنشاء شبكة الطرق الإقليمية هذه في الوقت المناسب ربما ردا على ما أصابها من هزيمة في الجولة الأولى من المفاوضة وفاتت هذه الوزارة بإنشاء هذه الشبكة من الطرق فقط عندما تدخل رئيس الدولة وطالب بتفشيها حتى يمكن الاستفادة من البنية بعد أن ظل ميناء أشباح لسنوات طويلة.

أما المثال الثالث فهو يتعلق بمدينة السادات والتي يطلق عليها عادة مدينة الأسيوط. فقد تم الاتفاق عند تخطيط المدينة في مرحلها الأولى أن يشأ منها مجمع كبير لتجديد والعصب والصناعات الكملة له ليكون القاعدة الاقتصادية الصلبة التي ستقوم عليها المدينة. وشأن على ذلك أقيمت المدينة بمساحتها وخدماتها ومرافقها استعدادا لاستقبال هذا المجمع الكبير. ولكن في المخطط الأخيرة غيرت وزارة الصناعة رأيها وأثرت أن تقيم هذا المجمع الصناعي على شاطئ البحر الأبيض في منطقة الدخينة بمنطقة المحمي بالإسكندرية. وإقامتها ما يلزمه من مدينة سكنية ومرافق وخدمات في مناطق محاذرة لها وتكرت مدينة السادات بمساحتها ومرافقها وخدماتها وتحت من بنائها. ونحن نعلم أن شواطئ البحار تستخدم في أغراض معروفة ليس بينها قطعا إقامة الصناعات الثقيلة عليها. ولو أقيم هذا المجمع في الموقع الذي خصص له أصلا لتكانت مدينة السادات اليوم مدينة عاصرة، وليست مدينة أشباح، كما يحب البعض أن يسميها. أما الأسباب التي دعت وزارة الصناعة إلى إقامة هذا المجمع بالدخينة في منطقة المحمي



والنقص واضح بين وجهات نظر



الضرائب الجمهورية السابق ذكرها  
فصنور القرار رقم ١٥ لسنة ٢٠٠١ لم تعد  
هناك حاجة لإنشاء جهاز لتحديد  
الضرائب الأرضية. فقد تم تحديد  
استخداماتها بالعمل بموجب هذا القرار  
أو بمعنى آخر فإنه يصور هذا القرار  
الآخر أصبح القرار رقم ١٥٣ لسنة ٢٠٠١  
السابق له والخاص بإنشاء المركز الوطني  
لتخطيط وتحديد استخدامات الأراضي  
غير ذي موضوع ولكن من الملاحظ أن  
المركز الوطني قائم بالفعل الآن ويقوم  
بتحديد استخدامات أراض سبق تحديد  
استخداماتها بموجب قرار جمهوري لاحق  
لقرار إنشائه.

وفي هذا الشأن يجب ملاحظة ما يلي:  
١- أنه في مجال تخصيص الأراضي  
أعطيت الأراضي العسكرية والأوقاف معلقة  
على الإنشئة ولاغراض التنمية كما أن  
وزارة الدفاع أعطيت هيمنة كاملة على  
جميع أراضي مخرج خارج الوادي والدلتا  
٢- عندما ترك للوزارات تحديد مواقع  
ما تحتاجه من أراض لتحقيق أهدافها  
فإنها باءت كثير في تحديد مساحة هذه  
الأراضي وضعت يدها على مواقع أكبر  
مساحة مما تحتاجه فعلا.

٣- إن بعض هذه الجهات سعت إلى  
تحويل استخدام بعض الأراضي المخصصة  
لها إلى تحقيق منافع خاصة للعاملين  
فيها مثل إنشاء مدن سكنية أو مدن  
ساحلية لهم ولعائلاتهم أو بيعها بالمزاد  
العسلي وإيداع حصيلة هذا البيع في  
صناديق خدمات خاصة ب هؤلاء العاملين.  
٤- تعدد الجهات المختصة بتحديد  
استخدامات الأراضي كما هو موضح في  
القرارات الجمهورية الخاصة بهذا الشأن  
ومثل هذا التعدد يمثل تدخلا وتضاربا في  
المسؤوليات بين هذه الجهات، وسوف ينتهي  
لامر حتما إلى عدم تحديد استخدامات  
أراضي مصر حسب تخطيط قومي سليم  
ويستمر الأمر - كما هو عليه الآن - أشبه  
بشاحن بين جهات مختلفة أي يحظى  
تسميت الأسد به أرض مصر.

#### تصرف الدولة في أراضيها،

تسعى الدولة إلى تحويل أراضي مصر  
خارج الوادي والدلتا من ملكية عامة إلى  
ملك خاصة وهي في سبيل ذلك تسلك  
مسلكين متناقضين.  
أولهما، بيع الأراضي للأفراد والشركات  
الخاصة إما بسعر مبدئي أو أن يتم البيع  
بالمزاد العلني.  
ثانيهما، بيع الأراضي بسعر مبدئي فعلا  
ما يكون هذا السعر حوالي ٢٠٠ جنيه للمتر  
ولكن سرعان ما يصل المهر

السوقي للمتر بعد سنوات قليلة إلى ٢٠٠٠  
جنية أي عشرة أمثال سعره الأصلي.  
أما إذا بيعت الأرض بالمزاد العلني  
فعلا بما يحصل سعر البيع إلى ما يزيد عن  
٤٠٠٠ جنيه للمتر الواحد أي ما يزيد كثيرا  
عن سعر السوق السائد للأراضي. ويعد  
إتمام المزاد مباشرة ترتفع أسعار الأراضي  
منصه معاجنة لكي تلحق بالسرعة الجيد.  
وهكذا في كلتا الحالتين تسيير الأرض  
سلعة قائمة بذاتها يوقع معدل الزيادة في  
أسعارها المعدل العام للزيادة في أسعار  
السلع الأخرى بدرجة كبيرة. وبذا تصير  
مجالا للمضاربة وسيلة للثراء السريع.

وثانيهما، إباحة مناحات شاسعة من  
الأراضي لرجال الأعمال تعد بملامبي  
الأمتار أو بالآلاف الأفدنة بسعر منخفض  
أو بسعر رمزي. فقد بيعت أراض في ساحل  
البحر الأحمر بقرش قليلة للتمتع وبيع  
أراض سيناء بسعر جنيه ونصف للمتر  
وبيعت أراض بمدينة ١٦ أكتوبر بخمسة عشر  
جنيها للمتر كما بيعت أراض واسعة  
بطريق مصر - إسكندرية الصحراوي  
بأسعار زهيدة. وفي ذلك ما يشبه منح هذه  
المساحات الشاسعة من الأراضي بدون  
مقابل حقيقي لرجال الأعمال المقربين  
وتفجيرهم من المستثمرين وهذا مثل ما  
حدث تماما للأراضي المصرية عندما فتح  
ولا مصر في منتصف القرن التاسع عشر  
الأعداء والقبائل والقبائل والسوايا والعرب  
لعمالهم وعمالهم وأتباعهم  
إن الأرض وما تحويه مثل رأس مال  
الدولة والدم والى ليست ملكا للجيل واحد  
بل ملك للأجيال كلها. ولذا فيجب أن تبقى  
ملكاً للمجتمع وتتاح للأفراد والشركات  
بحق الانتفاع لمدة معينة طالت أو قصرت  
بدلا من أن تترك لها للوزارات من ناحية  
والأفراد والشركات الخاصة من ناحية  
أخرى.

رابعاً، صياغ المسؤولية  
جاء في قرار إنشاء المركز الوطني  
لتخطيط استخدامات الأراضي والدولة وهو  
القرار رقم ١٥٣ لسنة ٢٠٠١ السابق الإشارة  
إليه أن يقوم هذا المركز بالآتي:

حصر وتقييم الأراضي الدولة خارج  
الزمام وإعداد التخطيط العام لتسميتها  
واستخدامها

إعداد الخرائط التفصيلية  
لتخطيط استخدامات الأراضي الدولة من  
واقع خريطة التخطيط العام.  
المشاركة في اختيار وتحديد المواقع  
اللائمة للمشروعات الرئيسية للدولة  
(طرق سكة حديد - مناطق صناعية  
وغيرها)  
أي أن هذه الجهات سيستولى إعداد  
التخطيط الشامل والذي يوجهه سيتم  
تحديد استخدامات الأراضي للأغراض

الزراعية والصناعية والساحلية  
والعمرانية. كما ستؤول الجوار إعداد  
المخططات القطاعية والمخططات  
التفصيلية لهذا التخطيط الشامل.  
وقد قامت من جانبها وزارة الإسكان  
والمرافق والتنمية العمرانية ممثلة في  
الهيئة العامة للتخطيط العمراني بإعداد  
الدراسات والمخططات الإقليمية لمعظم  
الأقاليم مصر وذلك بموجب القانون رقم ٣  
لسنة ١٩٨٢ الخاص بإنشاء هذه الهيئة  
والتي نص مادته الأولى على ما يلي.

وتكون الهيئة العامة للتخطيط  
العمراني لإدارة الدولة المسئول عن رسم  
السياسة العامة للتخطيط العمراني  
وإعداد خطط برامج التنمية العمرانية  
على مستوى الجمهورية.

ولكن كل هذه المخططات التي أعدتها  
الهيئة العامة للتخطيط العمراني لأقاليم  
مصر معقدة ولم توضع موضوع التنفيذ  
ولذلك لأن الوزارات - سواء أكانت وزارات  
إنتاج ووزارات خدمات غير معلنة بتحديد  
كل أو بعض ما جاء بمخططات وزارة  
الإسكان - إلا أن هذه المخططات لم يتم  
إعدادها بمشاركة فعالة من هذه الوزارات  
من قامت بها وزارة الإسكان منفردة. فضلا  
عن أن أغلب وزارات الإنتاج والخدمات  
لديها خطط التنمية لتنفيذ برامجها.  
ولكن هذه الخطط هي خطط قطاعية  
من خطة النقل والمواصلات وحطة الطاقة  
وحطة الصناعة وحطة المياه. وهذه  
أعدت كل خطة منها بمعدل عن الخطط  
الأخرى دون تنسيق فيما بينها.

وفي كل قامت وزارة التخطيط  
بتقسيم المحلى الجغرافي المصري بحيزه  
الصغرى السطحية وتصميراته وسواها إلى  
سبعة أقاليم تخطيطية وذلك بموجب  
القرار الجمهوري رقم ٤٧٥ لسنة ١٩٧٧. وقد  
نصت المادة الثانية من هذا القرار على ما

يلي:

تشكل بكل إقليم لجنة عليا للتخطيط  
الإقليمي تشكل من محافظي المحافظات  
التي يتكون منها الإقليم.

كما نصت المادة الثالثة على ما يلي  
تشكل لكل إقليم هيئة للتخطيط  
الإقليمي تأسس لوزارة التخطيط تختص  
بالتقديم بالبحوث والدراسات اللازمة  
لتحديد إمكانات موارد الإقليم الطبيعي  
والإنشئة ووسائل تطويرها واستخدامها  
الاستخدام الأمثل وكذلك إعداد  
التخطيط الإقليمي للإقليم.  
ويعد مرور ثلاثين عاما على صدور هذا  
القرار والذي بموجبيه أصبحت وزارة  
التخطيط هي المسئولة عن إعداد  
التخطيط القومي والإقليمي لم يتم  
الوزارة تنميت شيء يذكر مما جاء فيه  
حتى الآن.

مما سبق يصح وجود تدخل شديد  
في الاختصاصات بين الأجهزة المؤك اليها  
إعداد التخطيط القومي والإقليمي  
خصوصا بين وزارة التخطيط من ناحية  
وزارة الإسكان والمرافق ولجنة  
العمرانية من ناحية ثانية والمركز الوطني  
لتحديد استخدامات الأراضي التابع  
لحس الوزراء من ناحية ثالثة. وقد جاء  
هذا التضارب والتضارب كنتيجة حتمية  
للتدخلات بين لخصوص القوانين  
والقرارات الجمهورية المختصة بالتخطيط  
والتخطيطية. واختصار فإن التخطيط  
القومي والإقليمي تقوم به ثلاث جهات  
مختلفة تعمل كل منها بموجب قانون أو  
قرار جمهوري خاص بها. كما تعمل كل جهة  
على حدة دون تنسيق أو تعاون مع الجهات  
الأخرى. والتنمية الحتمية لهذا التضارب  
في الاختصاصات أن مصر حتى الآن ليس  
لها تخطيط إقليمي قومي تتم التنمية  
على دهاء.

#### الأحادية والافتراقية والتشابكية

إن تعثر التنمية في مصر هذا التعثر  
غير المحبوس يرجع إلى أسباب ثلاثة:  
الأحادية والافتراقية والتشابكية. أحادية  
المشروع وافتراقية صانع القرار والتشابكية  
في المسؤوليات والاختصاصات.

أولها، أحادية المشروع  
إن ما يجري باسم التنمية في حاليته  
الامر هو تنفيذ مجموعة من المشروعات  
الغمر أو المنفعة وبغير المترابطة. هكل مشروع  
منها يتم التفكير فيه ودراسته وتنفيذه  
على حدة متفصلا عن غيره ولكنه كيان  
قائم بذاته

إن ما يجب التنبه فيه هو حطة  
استراتيجية التنمية القومية الشاملة من  
تدري المشروعات لكي تحققها في مراحل  
متتالية أي أن كل مشروع غير غير  
متفصل عما يسبقه وما يتبعه من مشروعات  
الشاملة بكل أطيافها كتوجه قومي عام  
تخطيطية واحدة متكاملة.

ولا ظن أن الدول التي يضرب بها المثل  
في النجاح التنموي الاقتصادي  
والاجتماعي كانت تفكر في «القامة»  
مشروعات بغير ما كانت تمرر في التنمية  
الشاملة بكل أطيافها كتوجه قومي عام  
وإذا كان التوجه العام يركز على مشروع  
أحادي فعلا ما يجري تنفيذه في إطار  
سياسي، وتبنى في إطار متقنوي. ويكون  
تنفيذ هذا التوجه عام مرتبطا إما بقرار  
أو بظلمة مرحلة ما، ويستمد المشروع  
بقائه من بقاء الصمد أو من بقاء المرحلة  
ويشترى عادة بانتهائها  
وثانيها، افتراقية صانع القرار



## رأي

د. محمد عبد الحليم

عما سيكون متاحاً لها من فرص استثمارية كبرى ولا يخفى على أحد ب هدير الشروع في خططها الضخمة سيحقق آلاف من فرص العمل سواء في القاهرة أو في بقية مدن جديدة أو في ربط هذه العاصمة لجديدة بباقي مدن الجمهورية وكل هذه المشروعات مشروعات كثيفة العمالة بما يستوعب أعداداً من تسب ساحت عن عمل كما يستتبع ذلك إنشاء عدد هائل من المصانع لتحويل المواد الخام إلى منتجات نهائية على فروع عمل هذه

رأيت مشاكل القاهرة عاصمة مصر المحروسة عن حد نموها والتعامل مع ما سيأتي من زيادة عدد السكان في إطارها و المتزايدة عليها وكلما ازدادت هذه المشاكل شدة كان لها أثر سيئ شديد سواء على حالة المواطنين المعيشية والنفسية أو الصحية لأسباب معروفة، وعلى حالة التنمية الاقتصادية والإدارية، وهي الأونة الأخيرة كثر الحديث عن الحلول التي يمكن للسكان معيشة هادئة وانتقالاً مريحاً للإدارة سلسلة ونجاحاً والمتزايدة عليها حسن الخدمة والتجارب المطلوبة.

ولقد كان الحرب الأولى صادراً إلى تقديمه تصور عن ما ستكون عليه القاهرة بعد ٢٠٥٠ لو ظل الأمر على ما هو عليه والبدائل المقترحة ما يبدو لنا تكون القاهرة على في هذا التاريخ، وهو اتجاه محمود، ففي كافة دول العالم يفكر المخططون ليلادهم للخمسائل عاماً القادمة ويصوغون البدائل المختلفة التي تؤدي إلى رخاء ورفاهية مواطنيهم، ومبادرة القاهرة ٢٠٥٠ ستسهم للدرجة لحلول تحويل القاهرة من عاصمة إدارية إلى عاصمة إقامية أو سياحية أو ترفيهية حسبما تفضل إليه الدراسات وهو ما سيؤدي إلى إبقاء خطط ترحيل للأشعة الحديثة المعتمدة لتسيير كافة الخطط القطاعية نحو نفس الهدف الذي تم الاستقرار عليه.

ويتكامل مع هذه الخطط ما تقدمت به الحكومة من خطة لنقل العاصمة الإدارية لحدود مدينة جديدة يتم اختيارها لهذا الغرض وبعد، يتم تفرغ القاهرة من العديد من المؤسسات أو تغيير نشاطها بما يتواءم مع الدور الجديد الذي ستلعبه القاهرة ومستجذب الاستثمارات الأجنبية والعربية سواء للأشعة الحديثة في القاهرة أو لإنشاء العاصمة الجديدة

كثيراً ما نشهدنا نردد مسوولاً ما يتأخذ قرار مصري مهم في التسمية العمرانية دون أن يستند في اتخاذ هذا القرار إلى دراسات علمية يقوم بها المتخصصون في مجال العمران بل يستند إلى رأي شخصية ذاتية تنقسم عادة بقصر النظر وتهدف أساساً لتحقيق مصالح شريحة اجتماعية واحدة ومحددة على حساب مصالح المجتمع الأخرى توصيت بذلك لسوق الخلل التالي، جاء في استر سحية لحطيط القاهرة الكبرى التي منتصف السبعينيات من القرن العشرين إنشاء عشرة مجمعات سكنية خارج القاهرة بهدف إخماد اشتداد الضواحيات بها وإيضاً نقل بعض الأنشطة من داخل القاهرة إلى خارجها وخلقة الكثافة السكانية بأحياء المدينة العالية الكثافة، ولكن تم اتخاذ قرار معان في التسعينيات بتغيير الهدف من إنشاء المجمعات العشرة وتوجيه بعضها في شرق القاهرة في تجمع كبير أطلق عليه «العاصمة الجديدة» بمساحة قدرها ٤٥٠٠٠ فدان (يمكن أن تسع ٥.٤ مليون نسمة) وخصص هذا التجمع الضخم للإسكان الفاخر ووفق التوسعة، وصرف النظر عن نقل الأنشطة الصناعية والإدارية من داخل القاهرة إلى خارجها وخلقة الكثافة السكانية بها ووفق الأمثلة المتوافقة المشتركة حولها من كل جانب وبقيت مشاكل المدينة كما هي لم ادرات سوءاً.

كما صر قرار وراري آخر زيادة الحيز العمراني لمدينة ٦ أكتوبير غرب القاهرة لتسع أيضاً ٥.٥ مليون نسمة. وقد اتخذت هذه القرارات رغم اعتراضات معجمو المخططين العمرانيين ومجموع المعماريين، وسوف تؤدي هذه القرارات إلى مزيد من التركيز السكاني الشديد في إقليم القاهرة عكس ما ينادى به المخططون من ضرورة وقف النمو السكاني بالراكز المصرية الكبرى وتوجيه الاهتمام بعمارة المدن الصغيرة والمدن المتوسطة في الحيز الحالي وبعمارة محاور التنمية الواقعة في الحيز الجديد بهدف إعادة التوزيع السكاني على المسطح الجغرافي المصري بصورة متوازنة وتقليل الاعتمادية المطلقة والتوغل في الدائبة لتحد القرار في أنه يرفض تماماً التعاون مع غيره وعدم الاستماع إلى رأي قد يخالف رأيه.

والله! التشاكسية في المسئوليات والتخصصات التصاع مع سبق مسبق التشاكيل بل تنصرب في شهادات الخاصة بإدارة العمران وعلى الأخص في مجال تخصيص الأراضي وإعداد التخطيط القومي الشامل للتنمية، ونتيجة لهذا التصارب والتداخل في المسئوليات وتكليف

أكثر من وزارة ساءة نفس العمل ينص القوانين والقرارات الجمهورية كان لا بد من حدوث ما نعاى منه مصر حالياً وهو التصارب في الإدارة والتنفيذ، ويحسم الأمر في النهاية لصالح من له النفوذ الأكبر والقلبية في صراع القوى بصرف النظر عن مدى أهليته للقيام بهذا العمل، ول كانت التنمية العمرانية شأنها شأن مجالات التنمية الأخرى لا تتم إلا بتعاون مشترك فذل بين جميع الأطراف ذات الصلة بهذه التنمية فإن التشتت الحالي في القوانين والقرارات الجمهورية وفي الإدارة في يؤدي إلى تنمية حقيقية في يؤدي إلى النهاية إلى تنهية متنازلة وبمعترة ومبتورة وفي أغلب الأحيان غير مجدية.

ويمكن إيجاز ما سبق في أن التنمية الحقيقية المستدامة تستلزم الواحد بالتفكير، النهوض الشامل، وليس التفكير، الشروع في الأحدى، مهما كان حجم المشروع ومهما كان بريقه، كما تستلزم الأخذ بالتفكير الجماعي في تفكير الفريق وليس التفكير الفردي، والادنى، وتستلزم أيضاً تجديد المسئوليات والاختصاصات لتجديد وإصلاح كل طرف من الأطراف المشاركة في العملية التنموية مركزياً وإقليمياً ومحلياً، وجمع استراتيجية ورسمية وخطط، لتنمية بكل أبعادها وعلى كل مستوياتها في منظومة واحدة.

## السؤال الجائر

في عام ١٩٧٧ وإنشاء العقاد مؤتمر دولي خاص بالقاهرة ومساكنها وقضت إحدى المشتريات وأسات سؤالاً محمداً وهو: أريد أن أعرف من هو متحد القرار في شؤون القاهرة، وقد وجهت سؤالها هذا بعد أن صار واضحاً أن هناك عدة جهات تتكاسم فيما بينها الشأن القاهري وهي لقاء خاص عقب هذه الجلسة مع اللواء سعد مامون محافظ القاهرة وقتئذ أخبرني أنه منذ أن طرح هذا السؤال وهو في حيرة شديدة من أمره تم تساءل بدوره، «بمى محافظت لتستمد من من القرار في أمور القاهرة إين هم المسئول عن اتخاذ مثل هذا القرار».

أصل أن هذا السؤال على جانرا منذ أن طرح وحتى الآن وأظن أنه ينبغي جانرا طاماً بقينا على ما نحن عليه، أن نضع الإصرار في سؤالنا على ما يجب اهتمام أغلبية على حدود الدائر دون أن يقد إلى حدود الوطن، وأن يقتصر ويمر الزمى على الحاضر ومشاكله وليس على المستقبل

بناقاه الواسعة

مهندس عادل لطفى



إلى العالم وهي الحالة الثانية جعل  
الوصول بحالة ثنائية تقتل المصلحة التي  
نبعث عنها في الشعر، وتترك القارئ عاطلاً  
عن العمل، شأنك إذا، ما هو أسوأ من  
العوض الممت، هو الوصول التعليمي الذي  
يخرج القارئ من المشاركة في عملية الإبداع،  
وإعطائه أبعاداً ثانية للمصلحة.

يطرح محمود درويش أسئلة عديدة  
ويشير إشكالات نقدية وسياسية وثقافية  
المعاصر المعتم، وهو يوضح صديقا أو ينثر في  
وادي مبدع، وهذه هي القيمة الحقيقية  
التي تقدمها لنا هذه الكتابات الشعرية التي  
لا تقل أهمية عن كتاباته الشعرية

## كيرياليسون

هاثي عبد الحريد

القاهرة دار النشر ٢٠٠٨  
١٢٠ صفحة



تطعمك الصفحات الأولى من الرواية  
في مواجهة الحالة، شاب ضائع يسكن في  
حي الرزايين بمشقة ناصر، إحدى  
المشروعات بمصر، في تلك المسكن أكثر  
من ٧٠ منطقة عشوائية، أبوه الشيخ تيسير  
أحد هؤلاء الذين يتسببون بخرافات طنا  
مهم منها أن صلب الصبر، أو لأن هذا  
التمسك بالدين يجب عليهم منافع شتى،  
ثم صدام واضح بين الابن وأبيه، حين  
غاب الابن في عزلة اختار فيه ورج الأب ورقة  
وأوصاف هذا الابن خرج ولم يعد، كتلك  
التي تصف الحرس النسيين أو المتخلفين  
عقلياً، الابن الذي تخرج في الجامعة  
لهذه البطالة، قبل أخيراً أن يعمل حارساً  
لعزارة بين عديد من الشقق العشوية التي  
تتأرجح فيها الدعارة، قرر أن يدخل في  
المسعة وأن يجاري الجو ليعيش، صار  
يحصل "رسم مرور" من الصليات اللاتلي  
يصعد إلى هذه الشقق، لا يتأرجح حيناً  
وبالرأى حيناً آخر، يستكشف بعد قليل،  
أن الشيخ تيسير فلائلي أن يتخرج عن فعل  
الخاصة، فرض حمايته على أبو عامر  
ويحتاجه بدعوى أنه شهيد، لكنه تناوب  
مصاحبة البنات في غرفة الخزنة.

تدخل الخسوف والأحداث بعد  
ذلك بطريقة تعجب مع ما ملاحم الصمد  
التي يتسلل بها وهناك كدريات من فترة  
التجديد، أخرى عن علاقات بنات هن  
القمامة وخصوصاً جوليا وشريتا، ثم  
فترة أخرى يحكي فيها الرواية عن بدايات  
عشوره بجرجولي والحلقات العصبية  
والأخرى السعيدة التي صادفها، وأصدقاء  
المدرسة الإبداعية الذين كانت معاناتهم  
من صنف معاناهه

فصل آخر من الحال الذي كان يجب

تناهض العكرة التي يتوهم عليها هذا  
الكتاب، العكرة اليابسة التي نأدي بها  
صومول هنتنوتات، في كتابه دافع الصيت  
في صمد الحاضرات، هنا محاولة للتأكيد  
على تكامل الحضارات وتلافيها، وعبره  
بحاول الخلف أن يبعد الاعتبار للمصالح  
الإسلامية وتترك المسلمين الذين يمكنون  
برأيهم، الجذور العميقة لحضارة أوروبا، ومن  
ثم تظهر أسماء مثل ابن سينا وابن الهيثم  
في لخوازمي والغزالي والطوسي وغيرهم،  
يوسفهم أباء لتفكيرهم في حضارة الغرب،  
ديون وكوبرنيكس وجاليليو وسواهم، وهو  
في صميمه هذا يستعرض تاريخ الدولة  
والحضارة الإسلامية منذ دولة الرسول عليه  
والسلام مروراً بالخلفاء الراشدين  
والأمويين والعباسيين والديوليات  
الإسلامية التي قامت في شتات الأرض  
ومغارها، وكان هذا بالغ إلى الحضارة  
الإسلامية، وهو يستعمل معظم مصطلحه  
متراجمة ما هي مدينة من المدن الإسلامية  
التي عاش بها أحد العلماء، منتبهة إلى أن  
قرار المدينة المعمورة وأجاء الحكم فيها  
تتسل حليفه، المشهد الذي عاش فيه العالم  
أو المخترع العربي، وهو يقدم تصوراً مهماً  
في الختام لأبواب التي قامت إلى هذه  
التحضرات ذات الساعات الثورية في تلك  
العصبة السالمة، ويراه في القبيدة  
الإسلامية المستمرة للإمبراطورية الأولى  
كانت سبباً في ظهور العصور الذهبية  
العربية، وهو الرؤية للقبيدة بالرغم من  
العدول عديدة، استطلعت أدلة ثمانية  
قرون إلهام مناه من الاختراع والتميز والوفرة  
العكرية المريدة، والتي تفتلت في الكتابات  
والجاعات المعنوية وروح العدالة  
والصاوة الاجتماعية وقبيل الأخر الخلف

النراة، وبكت الشعر وزيته المصاح لكه  
صار بعد فترة مجرد مواطٍ ياتل خلف  
لقطة العيش، ومن خلال الحال تستمر  
شينا عن يحيى، الشاب الطيب الذي  
حدهته الدنيا والحاجة فتحوّل إلى قواد،  
وعن العيش، الذي فر من الزايب إلى  
فرسا، وعن سلوى الإحصائية  
الاجتماعية التي صارت متاحة أكثر من  
دي قبل، وينتهي به الحال في عزلة داخل  
فرقة المظلمة وقد استعد للصلب متملا  
حالة الصليح عليه السلام الذي اقتدى  
بذاتاته المظلمة البشر أجمعين، ظل يردده  
بلا نولف كيرياليسون

## حياة زوجية رائعة

زورنا شبيب

القاهرة دار النشر ٢٠٠٨  
١٢٠ صفحة



مؤلف الكتاب يعمل أستاذاً للمصالح  
البولية بجامعة كولومبيا بنيويورك،  
وخلال ستة عشر عاماً من ممارسة المهنة،  
شهد آلاف الحالات التي يتكو أصحابها  
من متور العلاقات الجنسية أو شعورهم  
بالقصور الجنسي لأسباب مختلفة، وكانت  
النتيجة المألوفة التي انتهى إليها هي  
الطريقة الوحيدة لعلاج تدني الرغبة  
الجنسية والأداء هي في تحسين الصحة  
العام للرجال والنساء على السواء، وأن  
العلاقة بين القصور الجنسي والتقدم في  
العمر ليست حتمية، واقترح المؤلف ٧  
خطوات لمساعدة الرجال على تحسين  
حياتهم الجنسية، والحد من سوءها، وأن  
تتضمن المواقف التي تحول بينها وبين  
الاعتراف بقصور الوظيفية الجنسية، وهي  
في معظمها راجعة إلى الخجل أو الخوف  
من الضممة عند العرض على طبيب، إذ  
إن ملايين الرجال يعانون من ضمت لكن  
الشكلية التي تحمل من تلقاء نفسها، وعليهم  
الاعتراف لها لتحقيق ما ينشونوه من  
متمة.

الخطوة الثانية هي وضع أسلوب  
صحي للحياة، يتضمن الإقلاع عن  
التدخين والكحوليات وإصباح الورن  
وإتباع نظام غذائي سليم وممارسة  
الرياضة بشكل منظم وتقليل المعصم  
العصبي وإدارة الوقت بطريقة متحكم  
فرصة للاستمتاع بالحياة.

الخطوة الثالثة التي تدع الجسم كله  
يشارك في تحسين صحتك الجنسية، وتبدأ  
ويصن ذلك إجراء فحوصات شاملة  
لكيفية أداء أجهزة الجسم كلها، القلب  
والجهاز الهضمي والجهاز التنفسي  
والأوعية الدموية، فسلامة أداء الأجهزة

لوططها بعض سلامة الأداء، لحمس  
وأي قصور في أي منها يؤثر بالضرورة على  
الوظيفة الجنسية

الخطوة الرابعة تتعلق بالسلامة  
النفسية، ولعل عبارة "ألم هو أكثر الأوصاف"  
جنسية، ليس محاربة، فالجنس  
العظيم، شعير الحديث، يتطلب كلاً من  
الجسم والعقل، حيث تتحقق الثقة  
المتأصلة عن التفرغ والإحساس وتنشئة  
الرفضا (والشؤون التي يتحدث في  
مخف في لحظة الدروة هو ما يصل بك  
في الجم، من ألمه إن لم تسطر على  
قلبك وأن تقلل من صاها كتناكث وإن  
تصر على الاستمتاع بإجازات قصيرة، وإن  
تقلل من الاحمال التي تعرضها على  
نفسك في كثير من الأحيان دون مقتضى  
الخطوة الخامسة يضعها المؤلف تحت  
عنوان "لا بد للزوجين من رافضين، وهو  
عنوان يشير إلى أن الجنس ليس نشاطاً  
متمرداً إذ يلزمه بالضرورة شريك، ويشتر  
تعاقل الشريكين وحسن الأدبهما يكون  
الاستمتاع، وفي هذه الخطوة يقدم المؤلف  
نصائح عديدة لتحقيق جماع مثالي

أما الخطوة السادسة فهي معالجة  
وتعنى بتقديم وصمات طبية للاحال  
القصور في أداء الوظيفة الجنسية مثل  
سرعة القذف وضعف الانتصاب وفقدان  
الرغبة والانتصاب المستمر واحساس  
الضعف وغيرها

والخطوة الأخيرة هي وصفة لوضع  
الخطوات السابقة كلها موضع التنفيذ،  
والحقيقة التي يؤكد عليها المؤلف في  
الختم هي أن بإمكان الغالبية من البشر  
تحسين حياتهم الجنسية دون تدخل طبي

## مقالات غاضبة

جابر عصفور

القاهرة دار النشر ٢٠٠٨  
١٢٠ صفحة



دون شك، فإن ما يعجبني في والقنا  
المرس أكثر كثيراً مما يعجبني على البهية،  
عنف وتطرف وتعصيب مقصود للعلل  
والبحرية، وخصم صحتك للحضارة  
والاستبداد والقمع، وألم صريحة غصب  
تواجهك، تلك التي يطغىها في  
مواجهة المشهد الثقافي العربي الذي يراه  
ماروماً، ويعاني تلقائياً فاضحا بين قاهره  
ويأبانه، إذ هي وقت نمشتر في الجامعات  
وتشديد الأكاديميات، وتراجع مستوى  
التعليم وينهجر البحث العلمي، وهي وقت  
ينعق فيه يدع على الظلم، التي تربت  
مساحة المسكون عنه وتعيب تماماً الجراء

## العيب في ذات أفندينا

يونس لبيب رزق

القاهرة دار العيب ٢٠٠٨ ٢٨ ٢٣٤ صفحة



أفندينا هو حاكم مصر، حديد،

سلطان، ملك، أيا كان لقبه،

ويرغم أن مصر عرفت المجالس

النابية بأكراً (١٨٦١)، وكان الهدف أن تتم

معالجة المسائل العامة وتوجيه الانتقادات

لأداء الحكومة، وكذلك انتقاد الحاكم، فإن

ذلك لم يتم، من ناحية ولا أعصاه هذه

المحاكم كان يتم تأجيله وفق مواصلته

خاصة كما أن مكانة الحاكم كانت معصونة

لا يجوز المساس بها، إلا عبر غير ذلك أحد

الذئاب بقوله: إذا كان أحداً لا يستطيع

أن يجابو المدير في أمر يرضهه الإنا

سوي بقوله حاضر، أي عيني ورأس،

فهل يمكن أن تحسر على مقاومة أفندينا

الذي يملك أعناقنا وفق التصرف في

أعمالنا، ويستطيع في أي وقت أن يحسف

الأرض تحت أقدامنا

لكن أحمد حلمي فعلها، فكان أول من

انتقد «أفندينا»، وأحمد حلمي شاب عمل

مع الزعيم مصطفى كامل في جريدة

الحزب الوطني، «الوشاء»، فلما قام الزعيم

أسس جريدة «القطر المصري» الأسبوعية

في ١٩٠٨، ونشر فيها في يناير ١٩٠٩ مقالات

عن جريدة العدل التركية التي تضمنت في

أسبوعها تاريخاً عن حثوث عن مصر

للمصريين، وجهت هجومها كشديا على

الأسرة العلوية، ويرغم التحذيرات التي

وجهت إليه ومحاولة استمالته من قبل أفراد

مقربين من الخديو عباس حلمي منهم

أمير الشعراء أحمد شوقي فإنه لم يرجع

استمر في هجومه، أصدر المصطفى

٢٣ مارس ١٩٠٩ مرسوم بتجميد صديقه في

دأ أفندينا ذلك فشرع شهره في إلقاء

أحمد حلمي عليه تهمة خروجه من السجن،

كتب مقالاته هذه عنوانها: «صلاح الرعية

صلاح ملوكها»، و«لستفك حكومة العرد»،

فكان من الحكومة أن أصدرت قراراً

بعد استئذان المدير السامي بإغلاق جريدة

«القطر المصري» ٨ يناير ١٩١٠.

وحين صدر دستور ١٩٢٣ صار لعيب

في الذات الملكية قانونه الخاص، وكان

المكون محمود عزمي هو أول من مثل

أمام المحكمة بمقتضاها، حين كتب في

السياسة ١٩٢٧ جريدة الأحرار الدستوريين

منايا بإعمال أداء الدستور التي تنص

على أن الملك يملك ولا يحكم، وأسفد

تدخلات الملك في شؤون الحكم قائلاً:

يحب وضع حد لهذه التدخلات ولا كان

الستور مجرد حجر على رزق، وقد حكم

في عزمي بالسجن ستة أشهر ثم في

تخفيف الحكم في التقاضي إلى العزلة

كما تثير التعاون «جرس إندار وتحذير  
من سوء التحصيل، وسوء الإدارة وصالة  
الإذبح في الاقتصاد كما هي السياسة  
والشؤون العامة

يحدث الملك مثلًا من ترك المصاد  
يعيش في المواقع المختلفة، فإذا ما انتهى  
ويبدأ ملاحقة المصدين وتجهيزهم، تكون  
ملايين الجنيهات تذهب أو أهدرت ولم  
يعد في الإمكان استردادها. يحذر أيضاً  
من سيادة روح جديده في حياتنا  
الجامعية، لا تهمش كثيراً بالتحقق  
والابتكار، وإنما بالتلخيص والتعميم دون  
إصافات علمية جادة، وإعلاء قيمة المال

والمصنوع بين صفوف أستاذة الجامعة  
وقيام ما كان يعرف بالاعتدية العلمية  
التابعة في الإصفيات والمفسدات  
والسياسيات، ويرى أن الاعتبار الحقيقي  
لنستقل الظواهر الديمقراطية في مصر  
يقاس بثلاثة معايير: مدى استقلال  
الحكومة وإعلاء الاعتبار لروها في مجال  
البحث والتعليم، مدى استقلال القضاء  
وعدم التدخل في شؤنه، مدى مراعاة  
الانتخابات البرلمانية لإحداث نوع من  
التوازن يخرج البلاد من فوضىة الإحباط  
واحكام السلطة

يصرح المؤلف كذلك في الإهدار  
الحادث في مجال الموارد البشرية، إعادة  
بناء رصيد رأس المال البشري بالنسبة لنا  
فقدية، حارس أو علة، فلا خير في نخبة  
تكون رافعية معونة لا ترتبط بشعور  
وتمتعة، ولا خير في كوارثيات وهي  
التي تهاجم علينا، فمدى لها من عظمة  
وتكوين على يسمح لها بإدارة عملية  
التنمية. يحد أيضاً من عدم التوازن في  
العلاقات وإعادة التركيبة، مدعى حوافر  
المستثمرين من إعلاء حوافر معاملة  
للمعامل وهو ما يؤدي إلى زيادة التوتر بين  
الإدارة التي تمثل رأس المال من ناحية،  
والمساعد الإنتاجية من ناحية ثانية، وهو  
ما نشهد مساهمة في الإضرابات  
والظواهر العنصرية الأخيرة.

ويذكر ناقوس الخطر باستمرار الخلل  
في تقديم الخدمات وسد المرافق، والتهميز  
في منافع يسكنها الأثرياء وأخرى يقيم  
فيها محرومين الدخل والفقر، والخلل  
الذي في رايه يضرب فكرة المواطنة في  
المصمم، ويقسم المجتمع إلى شرائع عليا  
وشرائع دنيا، ويمنع بحرق وحقن  
اجتماعي لا يعرف أحد مهاد.

وهناك تحذير مستمر من شيوع  
ثقافة الشفطرة والمهولة وسد الذرائع،  
بدلاً من تشابه الأجهاد والعمل  
والإنجاز، وهذا النوع من الثقافة مسئول  
لا ريب عن كوارث عدة شهدتها مصر  
خلال السنوات الأخيرة، بينها كارثة  
العبارة وكوارث الشطارات المتتالية  
والانهيارات في المباني وحواشي الطرق  
وعيرها.

بعد بعض نواقيس الخطر، تجدي -  
رماً، لو أسمعتم حيا

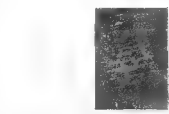
والكتاب مكون من ثمانية فصول  
يصحب فيها المؤلف لتعلم الهيروغليفي  
خطوة بخطوة، ماندا بالعلامات ذات  
الصوت الواحد، والتي تعبر كل علامة  
هيروغليفي فيها عن صوت كعما في  
الاحداث الحديثة وبينه المؤلف هنا إلى  
من محاولة نطق الكلمات المصرية القديمة  
كما كانت بالصلب لم يكن أمراً مفيداً أو  
عملياً، خصوصاً أن حروف الحركة لم تكن  
تكتب في اللغة الهيروغليفي، والأجدى  
أن يستطيع الشخص قراءة الترجمة  
الصونية ويقوم بنطق الكلمات بالكامل  
بدلاً من قراءتها علامة بعلامة.

وهي الفصل الثاني يقدم المؤلف نماذج  
عديدة للعلامات ثنائية وثلاثية الصوت.  
بمعنى أن علامة واحدة قد تعني حرفين  
أو ثلاثة، إضافة إلى العلامات التي لها  
معنى وصوت في آن معاً، أي في علامة  
تصويرية، وهي هذا الفصل يورد المؤلف  
عديداً من الأسماء والألقاب الملكية  
وكيفية تغيير المعنى القديم عن صيغ  
الجمع وكيفية لتسجيل التاريخ خصوصاً  
في الحوادث الكبرى، ويخصص الفصل  
الثالث لبعض الكلمات والهجاءات  
التميزة، وأسلوب المعصر القديم في  
الكثابة المختصرة، والكثابة بفرض  
التجيز، وكيفية تعبيره عن  
والألقاب وضع الخواصين.  
ويركز الفصل الرابع على كيفية وصف  
الأعمال التي تعبر عن فعل ما أو حدث أو  
حالة، وفي الفصل الخامس والسادس  
تعريف بزعم الماضي، بالتاريخ في النقوش  
والنصوص التي يحكي الموقى ويصنف فيها  
حياته الرطيفية، وكذلك المصانير وكيفية  
استخدامها في اللغة المصرية القديمة،  
ويتميز الفصل السادس بتقديم معوص  
تعمي بالوصف السري أكثر من أي شيء  
آخر وتداخل الأمانة في هذا السرد.

وهي الفصل السابع تركيز على  
المصنوع والبوت التي تصمص صاحب  
اللوحة كشخص عاش حياة أخلاقية أو قام  
بديارات عظيمة، وكيفية استخدام اسم  
المصنوع واسم المصنوع، في الفصل الثامن  
عدد وأهم من النصوص الداعية إلى الأحياء كما  
استخدمها المصريون مناجيا أجيالهم  
المستقبل لتلحظ على عائلته الجانزيه.

## نواقيس الأناذر المبكر

محمود عبد الصبيل  
القاهرة دار العيب ٢٠٠٨ ٢٨ ١١٢ صفحة



يضم الكتاب دراسات نشرها المؤلف في  
منايات مختلفة، وهي في مجملها تمثل

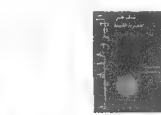
في بعد لناب وكشف عيوبها وهبها  
يصيحب الحكام والشعوب بشعارات  
الديمقراطية والعددية، ممارسو قصص  
درجات شهر لسموت وتكميم أفواه  
للمصريين، والأمر كذلك يسحب على  
المثقفين الذين لا يتكلمون على إعلان  
تقسيمهم للاختلاف في الرأي والحوار مع  
الآخر، أيا كان هذا، الأمر في وقت  
يصحرون من محاضراتهم ويتهمونهم  
بإبشع السموت، بل ويحصرصون على  
تصنيفهم معنويًا وحسبياً مرغم أنهم  
خوباء وحارصون على الملة

صححة عند أخرى يملئها مؤلف  
لعباب العلم من حيائها، مستفيداً مقولة  
العالم الكسائري محمد عبدالسلام  
الجانزيه «عاجت دول في التبطية»  
والتي تقول فيها أنه «ما من حضارة على  
أرض صفت فيها العلم كما في صفت  
أرض الإسلام»، ويبحث عصور فيما وراء  
المقولة ليتنقى إلى أن صفت العلم كان  
نتيجة منطقية لغياب الحرية عن عالمنا  
الإسلامي أو تعريبها عمداً، خصوصاً مع  
تقلص الشروع الليبرالي في مصر عقب  
قيام ثورة يوليو ٥٢، ففي غياب الحرية  
خضعت الثقافة المصرية لشروط الدولة  
السلطانية، والشتت الأصولية الدينية،  
فشاعت الخرافة والعيب وتقلعت مسرحة  
الاحتجاج وحوصلت العلم والعلماء، واختلف  
الإبداع والبدون

صياحات غضب متتالية على غياب  
ثقافة حقوق الإنسان، وتراعى حرية الفكر  
والعبير، والاعتداء على الحق والمصادرة في  
مجانبات القسوس والأنا على وجه  
الخصوص، والأخبار الهائل والمتمرد  
مجانبات التعليم والبحث العلمي، التناحر  
الذي لا يتوقف بين المثقفين على عطاء  
منهم معيرة دون أها، فبدأ لم تكن هذه  
كلها مما يهضب كتابنا، فما الذي يهصفه؟

## كيف تقرا المصرية القديمة؟

مارك كوك - بل منسى  
ترجمة حب  
القاهرة مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٨ ١١٦  
صفحة



يقدم الكتاب دليلاً عملياً كيفية تعلم  
الهيروغليفي من خلال فصوص حقيقية  
موجودة في المتحف البريطاني، وخصوصاً  
المصوص الجانزيه الخاصة بالموطنين  
المصريين، إضافة إلى المناظر المرسومة  
على نواياص الجدار، وكذلك قائمة الملوك  
الشهيرة بقائمة إيدوس التي ترجع إلى  
عصر الملك رمسيس الثاني

عشرين جثتها، ويعدّها بمسوات ثلاث، كان كبرى أهدافها العيب في ذات أهدنيا حين قال العقاد داخل مجلس النواب اعتراضاً على خرق الملك فؤاد للدستور ليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعد أن يسحق أكبر إرأس في البلد في سبيل وسمرة الدستور ومحابته.

وبعد محاولات العقاد التراجع عما قاله، وبرغم بلاغة محاميه مكرم عبيد ناشأ، فإن الحكمة قصص بحسبه تسعة أشهر حساً سيخطف شهوة العيب في ذات أهدنيا

إلى جانب وقائع العيب في ذات أهدنيا، يضم الكتاب ملاحق عن وقائع المحاكمات وقائع التمهيم واليهود القانونية التي حوكموا بموجبها.

القاهرة، دار العين، ٢٠٠٨، ١٢٢ صفحة



مثل اليهود إشكالية أساسية لأوروبا، خصوصاً في المصور الوسطى. وقد صدر لنا العرب هذه المشكلة في صورة الدولة الصهيونية التي تم غرسها في المنطقة بقوة السلاح. يندد المؤلف الأسباب التي قادت إلى بروز المشكلة على عهد النحوي لفصل الأول، ثم يبدأ في المصطلح التالية عرضاً لتصورات بعض الأدياء من اليهود عن اليهودية، واليهودية، ثم تصورات الصهيونية عنهم، في الفصلين الآخرين يتناول اليهود في عقل جمال حمدان ثم في عقل روجيه جازوتي

بين هؤلاء مثلاً هانريتش هاينس وهو أحد أشهر الشعراء الرومانسيين الألمان، وهو ما يعادلي اليهودية حتى إنه لم يعثرها أحد أمراء ثلاثية شريرة إلى جانب الفلاح والألم، واعتبرها معادية للإنسانية، إلا أنه حين أهدن المرض بدأ يصح لليهودية كجزء من حبسنة الدينري العام، وأما فرانز كافكا، فهناك من اعتبره صهيوليا حتى النجاء، وهناك من رآه معادياً للصهيونية. أما المؤلف فينتهي إلى أن عمق إرأس فلكاها في الحضارة الغربية يبتح مدى جذرية التثكيل الحضاري الغربي، ومن ناحية ثانية، يشير إلى هاشمية خصوصية اليهودية

أيضا كان يعير من وجهه السطوئ الاستيطانية بكل شراسيتها. وفي دراسته عن جمال حمدان التي تحتل القسم الأكبر من الكتاب، يركز المؤلف بشكل أساسي على التكتيد الإمبراطوري الذي صعدت عروش اليهود من ناحية الأثروبولوجيا. وبعد شرح محلول لتهجية حمدان في التكتيد والكتاية، يشير المؤلف إلى ثلاثة محددات، إن موقع مصر مهدد أبداً وبانظام والاحتياط والشلل الحضري ما نصبت إسرائيل، ومن ثم فإن الجدا الأسترانجي الأول للأمن المصري هو. دافع عن سيناء تنافع من القفزة تدافع عن مصر جميعها، ولا ضمان بالتالي إلا بزهاب العدو، ثم ثلاثة أخرى تشير إلى إسرائيل ما عاينها أخطر ماساقل العدوانية الإمبراطورية في العالم الثالث، حيث يصعب معادلة عالمية تتألف من عدة متغيرات الإقليمية. مصر الإمبراطورية العالمية يتوقف على مصر العالم الثالث، مصر العالم الثالث يتوقف على مصر العالم العربي، مصر العالم العربي يتوقف على مصر فلسطين، إسرائيل، وأما روجيه جازوتي. فقد حطم عدا ما الأساطير المعلقة التي كسدت إليها الصهيونية على أسطورة الوعد، أسطورة الشعب المختار والنفاء العرفي. وهو ما استلزم إقدام الصهيانة على إبادة الفلسطينيين

**أوجاع منحوسة**  
د. مبر  
المنصورة - ٢٠٠٨  
٩٩ صفحة



ديوان جديد في شعر العامية الذي يشهد امتعاشة كبيرة في شهور الأخيرة. ينشئ صاحبه إلى صعيد مصر، وينشئ أهدافه إلى أوجاع جبل بياض وحده واعترا وأعد وعدم تحقق. يضم الديوان. وهو الخامس بعد فضفاضة التحليل، وعزيزه وأعاني انجاز السند، والهدامة، عدا من الفضائل القصيرة وخمس قصائد طويلة، مرقا في الديوان فضحك/ ولعب/ وثاكل الحياة في أكل/ وقلل المجر ما تشفق/ أرفع كل ليلة بهزيمة شكلا/ وثقرا أيضا

العبد الماشي ورا الباشا/ تقولشي عبد ماسلك بيد أبود/ لو/ جرب مرة يخطي مشال/ لو/ جرب مرة يخطي يمين/ لو/ جرب مرة/ أكيد راجع يوصل/ ومؤكد خالص مش هابتو

**الإصلاح السياسي من أين يبدأ؟**  
عالمف الممرز  
المنصورة - ٢٠٠٨  
٢٩٩ صفحة



تعددت الكتابات حول الإصلاح وتعددت الرؤى حوله. ويرى كثير من الكتاب - ومنهم المؤلف - أن الإصلاح السياسي هو أصل كل إصلاح وهو القاطرة التي ستقود قطار الإصلاح في اتجاهاته المتعددة المتصاعدة والناحوية والإلغ. والديمقراطية هي وقود القاطرة من دونها لا يمكن التطور أن يتقدم خطوة واحدة. ويسبق دوماً برامج مكانه. يخصص المؤلف الفصل الأول للتحالف حول معنى الدولة الوطنية ولائها، ويلاحظ أن شمة حوجة بين نظرية الدولة ونظرة الناس لمهموم الوطنية ومصالح الأمن القومي. وهي فحوة لم تكن موجودة أبداً في دول أوروبا التي سبحت في تحقيق تقدمها الاقتصادي والحفاظ في الوقت مبسه على أمنها القومي، أما في بلداننا العربية فإن النظام لم يحل أم الدولة والاحتياط السياسي بين الرأي العام والنظام السياسي وظهروا تصورات عديدة تتمتع من نهاية نظرية الدولة الوطنية. ارتبط بهذه الفجوة عياب قسري لفكرة التعددية، والعبية الاختلاف في الرأي. وهما شروطان أساسيان لوجود الديمقراطية التي يرى المؤلف أن لها معالم ثلاثة في التعددية وتداول السلطة وحرية التعبير. ويشير إلى أن إصلاح نسيج الدولة الوطنية بزعزعة فكرة الواحدة داخلها، يؤثر بالضرورة على الدولة القومية، ويؤكد على الدور المهم للدولة القومية في الحفاظ على السيادة الوطنية

ويتساءل المؤلف في الفصل الثاني عن أسباب توقف موجاب التغيير في مصر قبل ملوغ غايتها، ويحسد بعد استمراره لعديد من هذه الموجبات في التراجع المصري المعاصر، من هذه الموجبات لا تحري وهما لإيقاع عصرها. مصر ثورة المحتلوات والاتصال بالنفلة والذي تحكمه مغايير رسمية تختلف كاليا عن تلك التي حكمت العالم في عهد الثورة الصناعية. فما كان يحتاج عشرون عاماً لحدوثه آنذاك صار يحتج حدوثه في عامين فقط كما يؤكد على نقطة بالغة الأهمية التي أهدت الثورة الموي الدافعة للتغير في العرب ولم تحته قوى الإصلاح والحلية والتمسك باستهالة من أمعية. وفي عصرنا هذا الثورة الدائمة للفرد تعليميا ونمبيا وجسمانيا وصحيا في ترتيب أكبر مما كان عليه في فترة سابقة كانت نموذج الديمقراطية فيها أمعية قصوي. وأخيرا أهمية إالة الحوة الثقة بين المواطن

والدولة عبر البات أكثر شفافية ومشاركة أكثر فاعلية وهو ما يتعلما مباشرة إلى ما يناقشه المؤلف في الفصل الثالث والرابع والذين يتناول فيهما الحرية الحزبية الحزبية وشائنا خصوصا مع عياب حرب سبسي قوي مساس للحرر لحاكم واستعاد الأحرار عن وق عدها السبسية لأسباب مختلفة والأساطير الفاضح في نسب المشاركة في الانتخابات البرلمانية وهو العملية الحزبية رسمتها وبسرى شعور المواطن محدوا

**لحظات ضعف**  
حجى مصل  
المنصورة - ٢٠٠٨  
٢٩٩ صفحة



لمصر طويلة كان يبريد الجمعة هي مصححة الأهرام متسمة يثلف حولها القراء في مصر والدول العربية. واستطاع الكاتب الرأجل عبد الوهاب مطاوع. يم له من إرأس إرأس رقيق وشفاقة موسوعية أن يحشد جماعير القراء حول قضايا عامة وخاصة. وأن يشترك لخطات مصحهم وكاشهم. وأن يشارك لهم التسمية بحكمة وحسية حقيقية. وقد صار القراء فيما بعد يتشاركون في البحث عن حلول لشاكل مشاكلهم لبعض كمجموعة أصدقاء تتجمعهم هوم واحدة وزغات حقيقية في إحدى العاصم. وقد حمل المؤلف - حجى رمضان - عبء تحرير هذا الباب المهم عقب وفاة مطاوع واستطاع أن يجمع طرائقه. وأن يبريد الأواصر بينهم. وأن يتشبه بحزم عديدا من القضايا الشائكة التي تدخل في باب المسكوت عن. مثل تلك الموضوعات المعقدة لتجربة الروحية ما عوق لآباء أو الصور من الروحيين أو السلفاء من المحبين وغيرها. واختار المؤلف بين مئات القصص الإنسانية التي تملأ أوسيو عدا يشير إلى لحظات ضعف أعضابه ليس بهدف كشف سرهم بطبيعة الحال. وإنما لآل لخلق الجارب على لحظات الضعف تلك. يشاء الحاضر بعد الثورة أمام القراء. ويؤكد. اعتمادا على القصص قدر من الصراحة والكاشفة. أنها جميعا بشر خلعن ولصبي. وأن اعتراف مصما الضعف وكشفه لتجربته معصمه. هو أول الطريق نحو تصحيح الخطأ. واستعادة النفس لوضوئها وقدرتها على مواجهة الواقع بكل تحولاته

ونجاحها بفشلها في إقامة علاقة سوية مع والدتها. ونعقد شخصية الفتاة وعلاقتها داخل السجن مع زملائه المسجونين الآخرين والسحايل

## Liberal Fascism

الفاشية الليبرالية  
Jonah Goldberg  
Doubleday, 2008, 496PP,  
27.95\$



في هذا الكتاب المثير، المحدث جيد، يقدم الكاتب، جونا جولدبرغ، قراءة في مفهوم الليبرالية الحديثة ويربطها بعاشية أوائل القرن العشرين. مصمم أن العاشية كانت دوما ظاهرة يسارية، دارسا وراسطا التداخل بين مفهوم العاشية وبعض الممارسات الحالية للحركات السينية وهوليود والحزب الديموقراطي والحركات اليسارية بطريقة ساخرة وتثير الدهشة

يعرض جولدبرغ ملامح من تاريخ الليبرالية واسطأ إياها بالحركات العاشية القديمة. عارضها لبعض الممارسات الأمريكية التي يراها قريبة من العاشية

## Retribution

Max Hastings  
Knopf, 2008, 656PP, 35.00\$



بحلول صيف 1944 كان واضحا أن هزيمة اليابان أمر لا مفر منه، ولكن الطريق إلى انتصار الحلفاء لم يتضح بعد، والحرب تدور على الساحة بأرجاء آسيا، الاشتباكات بحرية وجوية ضخمة، والقتال يستند في العبايات، والوحشية غير المبررة من كل جانب، هي أكثر الحروب دموية عرفها التاريخ.

هاستينز يحكي قصة الحرب الآسيوية، مستقرا للحرب ضد اليابان في شرق آسيا، عارضها لحلفاء مارك أوش هب الطويل، والمبارزة في أيوا جاباما وأوكيناوا، والهجوم السوفيتي في منشوريا،

التحصية، ويعد حارطة طريق للمساء للنجاح في أعمالهن والمشاركة في الحياة العامة

## Climate Confusion

Roy Spencer  
Encounter Books, 2008, 150PP,  
21.95\$



العديد يشعر الآن أن هناك كارثة بيئية في الطريق. قد يتبع العالم وتدمر الحضارات، نشية للاختلال البيئي الذي سيؤثر في كل شيء، الكتاب يتحدث عن طاهرة الانبعاث الحراري. عارضها لكل الآراء حولها. بدءا من الحقيقة المزعة التي أطلقها آل جور، إلى التشكك حول آثار انبعاث ثاني أكسيد الكربون الكتاب يحدد ونشرة من آثار طاهرة الاحتباس الحراري وتغير المناخ العالمي، موضحا لآثاره الخطيمة على الأرض والمناخ والإنسان والحضارات

## Change of Heart

Jodi Picoult  
Atria, 2008, 464PP, 26.95\$



الرواية الأكثر مبيعا في الولايات المتحدة للرواية المبدعة، جودوي مكنوت، التي تقدم فيها المعنى الحقيقي لأن يكون عند المرء قلب.

النهار، شاي دور، يمصى عامه الحادي عشر خلف الأسوار تنقيها لمقوية حكا بها عليه بعد قتله لطفلة صغيرة وأبيه الشرطي، وأخت الفتاة بالخارج تحتاج إلى عملية نقل قلب، والقتال يريد التبرع بقلبه لها، وتتوالى الأحداث.

يكن جمال الرواية في مدى تعقيد الشخصيات فالكاهن الذي يعمل كمستشار لشاي كان أحد الحلفاء الذين حكموا عليه، ومثلة أصدا الحروب القدية التي تتابعه. تحاول التوازن بين حياتها العملية

ولكن على الرغم من كثافة الصعوبات عليهم، الأطر الزمنية القصيرة، استطاع العديد من المرء والمرء التنفيذي تحقيق نتائج مبهمة واستثنائية وهي وقف قصير جدا. وهذا الكتاب يوضح كيفية حدوث هذا، عن طريق إجراء مقارنات أكثر من أربعين مديرا تنفيذيا سواء المعاصرين نالطاعات الصناعية أو نالطاعات غير الهادفة للربح. كما يساهم المؤلفان بحبرتهما التحصية التي تعد لأكثر من خمسة وعشرين عاما في مجال الاستشارات الإدارية ليصلوا في النهاية إلى أربعة مبادئ بسيطة ولكنها قوية تشكل ملحوظ: التكاليف والأضرار دائما تنحصر، المركز التنافسي يحدد الاختيارات المتاحة، التماس والأرباح لا تطل ثاشة المصلحة تحصل على نتائج.

هذه، هي أي مدير لتلك المسائل كميل مساعدته على تحقيق نتائج رائعة. وتحدد طريقة في تحقيق أهدافه الاستراتيجية.

## Why Women Should Rule the World

لماذا يجب أن تحكم المرأة العالم؟  
Dee Dee Myers  
Harper, 2008, 288PP, 24.95\$



ماذا سيحدث لو حكمت النساء العالم؟ تقول الكاتبة، السكرتيرة الصحفية السابقة لبيت الأبيض، دي دي مايرز، إن كل شيء في العالم سيتغير، فالسياسة تصبح أكثر جماعية، والأعمال تصبح أكثر إنتاجية، وستكون المجتمعات أكثر صحة. وبالتالي سيكون العالم مكانا أفضل، ليس بسبب أن المرأة مثل الرجل وإنما بسبب أنها مختلفة.

دي دي مايرز، تتحدى الجميع بأن المستقبل أنثوي، فهي ترى أن النساء في المستقبل القريب سيهيمن العديد من المناصب السياسية والقانونية ويصنعن أفضل العلماء والأطباء، وفيه تعتمد على هذا على تحريرها الشخصية في العمل مادارة، ككنيتون، كمصلحة سياسية ومعلقة على وسائل الإعلام، ومستشارة لشبكة NBC الأمريكية، ضمن خلال خبرتها، توضح، مايرز، نقاط قوة النساء التي يتجاهلها الجميع، فهي متمثلة جيدة، ومستعمعة ممتازة، والأفضل في تشكيل الآراء.

الكتاب يقدم قراءة في قدرات النساء

## Where Does the Money Go?

اين تذهب النقود  
Scott Bittle, Jean Johnson  
Collins, 2008, 336PP, 16.95\$



الاقتصاد الأمريكي يعني في العديد من المحاضر هي الصرة الحالية مواجهها لتسبح الانهيار، ما دفع مرشحي الرئاسة الأمريكية إلى التركيز على القضايا الاقتصادية بصورة كبيرة طمعا في صوت الناخبين. هذا الكتاب يقدم لك دليلا لهم القرارات الحكومية الخاصة بالموازنة العامة التي تخرج من جييبك، فالتدوين الصيرالية تؤثر وسوف يستمر تأثيرها على مدخرك، ومصرفك، نقادك وعشارتك، وحتى رعايتك الصحية ومصاريف أطفالك.

الكتاب يقدم للأمريكيين المعلومات التي يهتمون بها ولديهم الحق في معرفتها، حول ميزانية الدولة والدينون لتسيرة لية التي وصلت إلى ما يقرب من تسعة تريليونات دولار ولا تزال تسوء. فهم لهم الثلاثين سنة الأخيرة، تحدثت مصاريف لمولة على البرامج والخدمات أكثر مما تجمع من مال الضرائب، وهذا ما فشلت جميع الحكومات السابقة في السيطرة عليه، هذا الكتاب فالت عنه ليوهورن تايمز، إذا كنت ستشتري كتابا واحدا فقط أثناء الانتخابات الرئاسية ليكن هذا الكتاب

## The Breakthrough Imperative

تحمية الاختراق  
Clark Gottfredson, Steve  
Schaubert  
Collins, 2008, 384PP, 26.95\$



كل مدير مؤسسة اليوم، ليضع قديمية على طريقة ليصبح مديرا تنفيذيا CEO، يتوقع منه أن يحقق نتائج مبهمة وجيدة بأسرع مما يكون، ولا يجد نفسه في إطار الباحثين عن عمل، وإنما فالندرون اليوم سواء بالشركات أو المؤسسات يدهشهم الوقت دائما، لأنهم ليس لديهم وقت للوقوف على الأخطاء أو للعودة إلى الوراء ليصلوا ما كان من المقرر أن يفعلوه



## Economic Facts and Fallacies حقائق ومغالطات اقتصادية

Thomas Sowell

Basic Books, 2008, 262PP,  
25.00\$



هناك العديد من الأفكار الشائعة حول الاقتصاد لدى الأفراد العاديين، ومعظم تلك الأفكار ما هي إلا مغالطات. قدم بنشرها السياسيون ووسائل الإعلام المختلفة. بعض تلك المغالطات مثل الزواجر في الدخل بين الفكين والإثبات، والمشاكل الضمنية، وأيضا بعض المغالطات الاقتصادية عن الأسعار، واقتصاد دول العالم الثالث.

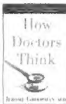
الكاتب يستعرض تلك المغالطات بصورة مبسطة تصل إلى عقل القارئ العادي بكل سهولة، مفسرا وجود تلك المغالطات إلى استخدامها كسلاح سياسي يمنع ناشريها من الاحتفاظ بالسطة.

## How Doctors Think

كيف يفكر الأطباء

Jerome Groopman

Mariner Books, 2008, 336PP,  
15.95\$



لماذا يخطئ بعض أطباء أحيانا، ولماذا يصيب البعض، وكيف تدخل أحيانا شخصية الطبيب الخاصة بشكل لا يدركه في تشخيص الأمراض، في هذا الكتاب طبيب مختص يربط بين طريقة الأطباء في تشخيص الأمراض واعطاء العلاج والإرشادات.

هل للمريض دور في صحة تشخيص الطبيب لمرضه، وكيف يمكن للمريض أن يصف أعراض مرضه بأدق طريقة ممكنة.

العديد من القصص الحقيقية، والتجارب الفنية، ومحاولة تحليل شخصية الطبيب، كتاب مفيد لكل من الأطباء والمرضى على حد سواء.

والدائرة العاشرة)، تأتي برواية جديدة تربط في بعض الشخصيات مع رواياتها القديمة.

بلدة صغيرة باستراليا، تعيش حياة حادثة. لا تعرف الجريمة ولا تعاند العنف. في تسع عشرة قطة فقط، كان هناك عشرة فتى، وتسعة عشر جريحا، نتيجة لإطلاق نار عشوائي على مدرسة ثانوية بها، لتنتهي البلدة الصغيرة نتيجة لهذا العمل الوحشي.

الجاني، بيتر، هو مجرد طالب من طلاب المدرسة، يقبض عليه الحقن القادم من روايات، بيكولت، السابقة، بآرتيك دوشام، ليقدمه لمحاكمة، ولتقدم المحامي، جوردون مكافي، للدفاع عنه.

التيكس كورنير، القاضية، تحاول المحافظة على موضوعيتها، في مواجهة شهادة ابنها صديقه، بيتر، منذ الطفولة، والتي تعتمد عدم إيداعها بينما كانت وسط الحشد، وإن كان قد قتل صديقه.

## The Three Trillion Dollar War حرب الثلاثة تريليونات دولار

Joseph E. Stiglitz, Linda J. Bilmes

W. W. Norton, 2008, 192PP,  
22.95\$



الاقتصادي الحائز على جائزة نوبل للاقتصاد لعام 2001، جوزيف ستيجليتز، وأستاذة المالية العامة، ليندا بيلمز، يقدمان في هذا الكتاب حسابات التكلفة الحقيقية لحرب العراق التي تعدت ما كان مقررا لها بكثير، فمع بدء الحرب أعلن البيت الأبيض أن ميزانية تلك الحرب ستتراوح حول مبالغ خمسين بليون دولار، ولكنها وصلت حتى الآن إلى ما يقرب من ثلاثة تريليون من الدولارات، طبعا لحسابات الكاتبيين.

الكاتبان يفسحان الضوء على المصاريف الخفية على دافع الضرائب الأمريكي مثل مصاريف تحرك القوات العسكرية، أو مصاريف العناية الصحية بالجرحى، ومعارض أهل الألق القتلى، والعديد من بنود المصاريف المخفية الأخرى التي يدفعها دافع الضرائب الأمريكي، والتي كان استثمارها في نمو الاقتصاد الأمريكي أفضل له بكثير.

هاجسا قويا، فانت لا تستطيع أن تحصى كم أفعال التخريب الذاتي التي تحدث في مجتمعاتنا، وفي دائرة معارفنا، وعلى الرغم من كل النوايا الحسنة فإن هناك أفراد يفعلون أشياء لا يعرفون لماذا فعلوها.

الكاتبة ترشد القارئ إلى معرفة ما بداخله من قوى تجبرنا على العيش بقبينا، واعطاء الحب، وللقبح، وللخراط في المجتمع، ويأخذ القوى التي تخرب جهود الإنسان وتجذبه للخلف دافعا إياها إلى فعل أشياء سيئة.

## The Digital Photography Book التصوير الرقمي

Scott Kelby

Peachpit Press, 2008, 240PP,  
25.00\$



بعد كتابه الأول عن التصوير الرقمي، يأتي سكوت كيلبي، بهذا الكتاب ليعريف فيه العديد من الأشياء الجديدة التي لم يتطرق إليها من قبل، مثل تقديمه نصائح حول كيفية استخدام الفلاش الضوئي، والتصوير من قرب، وتصوير الرحلات، وتصوير الأشخاص، كما يقدم بعض النصائح لجعل الصور تبدو أكثر احترافية. كما يستعرض، كيلي، كيفية بناء استوديو تصوير من الصفر ويروي أي تكلفة لتذكر. الكتاب مقدم بطريقة بسيطة جدا، فكل حد قول مؤلفه، في هذا الكتاب أضر لك كما لو كنا بالخارج لنصور سويا، فانا انقسم خبرتي مع صديق لي.

الكتاب مرجع جيد لأعو للتصوير الرقمي، يستطيع من خلاله التحول إلى محترف.

## Nineteen Minutes: A Novel

Jodi Picoult

Atira, 2008, 464PP, 26.95\$



الكاتبة الروائية «جودي بيكولت» صاحبة الأعمال الرائجة (مراقب أختي

ومحلا لعملها صنع القرار التي سبقت قرار إطلاق القنبلة الذرية على هيروشيما وناجازاكي.

هاستنجز يسرد قصة الزمان والمكان مقدما تصورا لشخصيات كان لها التأثير الأكبر في الحرب، مثل مالك آرثر روزفلت وتشيرل وسميثان وماو ومونتيان وشان كاي شيك فورا كما يقدم صورة للجندو العاديين الذين نزلوا الكثير من دماهم في تلك الحرب.

## Fair Tax

الضرائب العادلة

Neal Boortz, John Linder

Harper Paperbacks, 2008, 272PP,  
14.95\$



بعد كتابها الأول الضرائب العادلة الأكثر مبيعا في الولايات المتحدة، والذي ساعد على تحريك القوى التشريعية على الثورة على النظام الضريبي الأمريكي الذي يمتسح الدخل وملائيته بإصلاح النظام الاقتصادي، يأتي هذا الكتاب للمرد على الانتقادات التي وجهها الكتاب الأول، والتطرق إلى أفكار جديدة لم يتطرق لها الكتاب الأول الذي كان يعرض خطة شاملة لتطوير نظام الضرائب الأمريكي. كتاب الضرائب العادلة يقدم تلك الوسيلة المثلى للحفاظ على أموالك بعيدا عن نظام الضرائب غير العادل.

## Why Good People Do Bad Things

لماذا يفعل أشخاص جيدين أفعالا سيئة

Debbie Ford

HarperOne, 2008, 256PP, 24.95\$



الكتاب قراءة في الأسباب التي تقود وراء فعل الأشخاص الجيدين أفعالا سيئة، فالصحف والأخبار تمتلئ بأخبار هؤلاء الأشخاص الذين ذهبوا في ضلال وفعلوا ما لم يتوقعوه أبدا.

تلك القصص الدرامية أصبحت

نشر بتفاصيل خاطئة جدا. النضج للكتاب أن الأخبار التي يتم التاكيد على تفاصيلها في الجرائد البريطانية لا تعدد عشرية مائة من إجمالي ما ينشر في جميع أنواع الجرائد. ولا يقتصر ما تخصصه المؤلف على هذا النوع من الأخبار الشعبية ولكنه يناقش استخدام شركات المخابرات العامة للجرائد في تسويق مفاهيم أو منتجات معينة عبر الأخبار كما يفعل جريدة الجارديان التي يعمل بها بتقيد لأذ خاصة فيما يتعسف بالأخبار والتحليلات التي سبق غزو العراق. ورغم النقد الكبير للكتاب إلا أنه حتى اشرر ناقديه وصوفه بأنه يحوي الكثير من الحقائق. وبذلك النظر لوضع مؤلفه قائم بالفعل.

## Predictably Irrational: The Hidden Forces That Shape Our Decisions

غير منطقي كما هو متوقع

Dan Ariely  
HaperCollins Publishers:  
304pp, £10.19, 2008



يناقش هذا الكتاب بما هو واضح من العنوان الكيفية التي يعمل بها العقل البشري في تحديد التفكير والتصرف. وهو ليس كتاباً متخصصاً إذ أنه يندرج تحت قائمة العلم النفس الشعبي. الكتب التي تخطب للقارئ العادي، يتحدث الكتاب أن أمورا عديدة تساعد على فهم النفس والأخلاق، من طريق معلومات مختصرة ولحظيات تبدو بدوئية مثل أن الحسد عادة صحيح، ينقسم الكتاب إلى فصول ويتضمن كل فصل تجارب بسيطة تختبر أو تفحص أحد جوانب اتخاذ القرار ذهنيا. على سبيل المثال يختبر أحد الفصول الكيفية التي تؤثر فيها توقعاتها على الطريقة التي تختبر بها الألم، وكيف أن التوقع الشديد في الاختبارات ليس بالأسهل الجيد بالضرورة. تتكون الاختبارات من أسئلة تم توجيهها لمجموعتين أو أكثر من الطلبة ولكن الكتاب لا يوضح في كل الأحوال الطريقة التي تم بها اختيار العينات لتفادي عدم الحياد. كما أنه لا يعطي إرقاما في جميع الحالات وإنما يستخدم تقديرات من نوع «أكثر، من أو أقل» العينة.

بالتاريخ الكثير عن أن بولين إحدى زوجات الملك هنري الثامن والتي اعدمها فيما بعد ولكن القليل يعلم أن شقيقتها الكبرى ماري كانت شقيقة الملك قبل أن يتمرد على شقيقتها الأشهر وأنها كانت أماً لأبنائه غير الشرعيين. تسرد الكاتبة فيليبيا جريجوري حكايات الأختين في واحدة من رواياتها الرومانسية التي تبنى أحداثها على وقائع تاريخية. تحكي الرواية عن استغلال العائلة الملوحمة لابنتها كوسائل للترقي في البلاط الملكي. تحقق العائلة التي تبدأ بين الملك وماري بولين الرخاوية لعائلتها فعلا ولكن عندما يبدى الملك اهتماما بأختها فإن عليها أن تستغل إرادة العائلة وتقسف المجال لأختها التي من المقرر أن تصبح الملك ولي عرشه. تصوغ الكاتبة القصة بتسويق وتلصق صورة للأختين تظهران فيها خصائص شريرة ومتآمرة فتعوض الفائر عن معرفته المبكرة بصير بولين ولا تستعطف هذه المعلومة الأساسية أن تقدم نسخة الرواية على الفائر. ويبدو أن الكاتبة قامت ببحث مفصل حول جميع جوانب هذه الفترة فتقدم صورة شنية للحياة اليومية داخل القصر الملكي ولكنها أبقت الأحداث التاريخية التي تجري خارج المسرح مجرد معلومات عابرة تشكل خلفية للقصة.

## Flat Earth News: An Award-winning Reporter Exposes Falsehood, Distortion and Propaganda in the Global Media

أخبار الأرض المستوية: صحفي حاصل على جوائز يكشف المغالطات والتشويش والدعاية في الإعلام العالمي

Nick Davies: Chatto and Windus, 416pp, £10.69, 2008



بنات قصة هذا الكتاب يخبر نشر في جميع الجرائد الإنجليزية المحافظة منها والمضالعية من محاولة أطفال شفق زميل لهم بتعليقه من رفيتة في شجرة ولكن الطفل نجح في إقلاق رفيتة من الجبل. أثار هذا الخبر فضول الكاتب وهو صحفي أيضا لأن من الصعب جدا أن يتم يكن من المستحيل على شخص ولم يشقه أن يقلت نفسه. بعد طول بحث اكتشف أن الطفل ربط إلى شجرة ولم يشقه ويرغم علم جميع المحيطين بالحدث بالأمر إلا أن الخبر

يستعرض ستين من المعالم الرئيسية في الفاحرة التي بنيت في خلال تلك الفترة. الكتاب يعتبر مرجعا لطلاب الفن والعمارة. حيث يحتوي على العديد من الصور والتخطيطات الملونة.

## Great Hatred, Little Rooms: Making Peace in Northern Ireland

كراهية كبيرة. حجرات صغيرة، صناعة السلام في أيرلندا الشمالية  
Jonathan Powell  
The Bodley Head Ltd: 352pp, £12, 2008



تعتبر المفاوضات والمحاولات التي قامت بها حكومة لوني بيلر للوصول إلى اتفاق سلام في أيرلندا الشمالية من أهم منجزات السياسة البريطانية. لقد كانت تلك المفاوضات صعبة بشكل خاص وكان من المتوقع باستمرار أن تسبب الحساسيات القديمة في انفجار الوضع في أي لحظة حتى بعد بدء المفاوضات حتى مع مستوى البراءات وصور المفاوضات ببساطة دليل على اصبر واستمارة العاملين عليها. كان جوناثان باول هو المفاوض الرئيسي باسم الحكومة البريطانية وهو لذلك مؤهل بشكل خاص لمثل هذه الأحداث التي أدت إلى نهاية العنف الممتد لسنوات في أيرلندا الشمالية. يعتبر الكتاب لهذا السبب وثيقة تاريخية من الأغنى في الاعتبار أنه وكما هو الحال في أغلب المجالات فإن الكتاب يقدم بالضرورة وجهة نظرا ووجهة نظر بريطانية القوة المحتلة والتي تتناوى أصعب مع ضرورة الحذر من تبني وجهة نظره وحدها.

## The other Boleyn Girl

فتاة بولين الأخرى  
Philipps Gregory  
HaperCollins Publishers:  
544pp, £5.19, 2008



يعلم العديد من القراء المهتمين

## The Rest is Noise: Listening to the Twentieth Century

الباقى ضوضاء، الاستماع إلى القرن العشرين  
Alex Ross  
Fourth Estate: 624pp, \$19.80, 2008



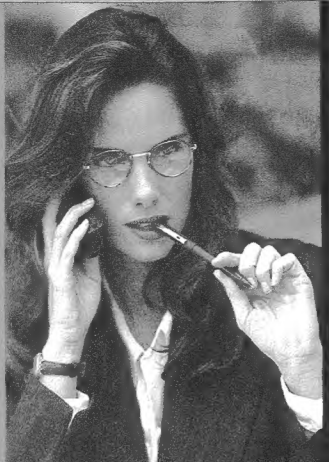
ترتبط الموسيقى الكلاسيكية الغربية في ذهن أغلب الناس بالصور القديمة وعلى الحصص لتقدير بمشخص القرن العشرين وتحديد ما مع المؤلف الموسيقي الشهير أيجور سترافينسكي. إلا أن التأليف الموسيقي الكلاسيكي استمر بعد تلك الفترة وبما قد يدهش البعض أنه مستمر حتى الآن. يقدم الناقد الموسيقي الأمريكي لكس روس دراسة مميزة عن أهم المؤلفين الموسيقيين التجريبيين. ويركز على كتابه على المؤلفين الذين استمدهوا أكبر عدد من المستمعين. ولا يقتصر روس كتابه على الأعمال المعقدة ولكنه يركز أيضا على الحياة الشخصية للمؤلفين والسياق السياسي والتاريخي للمؤلفات. فيتحدث في الكتاب عن دور الحكومات المختلفة في تشجيع التأليف الموسيقي أو معارضة ما يجعل عملا شاملا في السياق العام الذي ظهرت فيه المؤلفات الكلاسيكية الأحدث. ويستطيع روس بمهارة أن يشرح التطور والتجديد في الموسيقى حتى للقارئ غير المتخصص باستخدام لغة بسيطة وتشبيهات موحية كما أنه يوضح سبب انحسار شعبية الأعمال الكلاسيكية الحديثة بتجربيتها الشديدة وأنها موجهة بالأكثر لدارس الموسيقى أو على الأقل من يمتلك القدرة على قراءة النوتة الموسيقية لكي يرى التركيب الحساس للكافة في الموسيقى.

## Cairo of the Mamluks

قاهرة المماليك  
Doris Behrens-Abouseif  
I. B. Tauris, 2008, 400PP, 75.00\$



العصر المملوكي كان له تأثير عظيم في التاريخ، وهذا الكتاب يمتدح آثار ما يقرب من ثلاثة قرون من فترة حكم المماليك (1250 - 1517). الكتاب



# تعاقد على خدمة ال PRI

٣.

خط تليفون  
ارسال و استقبال  
بنفس الرقم

كفاءة أعمالك .. مسئوليتنا

## و احصل على ...

■ خصم ٢٠٪ على مصاريف التركيب

■ ADSL بسرعة 1 ميجا لمدة ٣ شهور مجاناً

■ العرض ساري حتى ٢٠٠٨/٥/٣١

■ لمزيد من المعلومات اتصل برقم ١١١ بسعر المكالمات العادية



المصرية للاتصالات  
Telecom Egypt

شبكة واحدة ..  
.. بتقربنا كلنا

أحدث إصدارات

# دار الشروق



مدينة نصر، سيتي ستارز مول ت، ٢٥٤٤ - ٢٤٨ - ١٦٥٥٨٧٢٩  
 الجيزة، هرسيت مول - ٣٥ شارع الجيزة ت، ٣٥٣٥٠٣٥ - ٣٥٨١٨١٨٧  
 الإدارة، ٨ شارع سيدييه المصري - مدينة نصر ت، ٢٥٠٢٣٣٩٩

وسط البلد، ١ ميدان طلعت حرب ت، ٢٣٩٣٠١٤٣ - ٢٣٩١٢٤٨٠  
 مصر الجديدة، ١٥ شارع بغداد - الكورية ت، ٢٤١٧١٩٤٤ - ٢٤١٧١٩٤٤  
 الإسكندرية، سان ستيفانو مول ت، ٠١٠١٦٣٣٩٥٠ - ٠٣/٤٦٩٠٣٧٠

www.shorouk.com email: dar@shorouk.com